**أحمد الكاتب**

**الامام محمد الباقر:**
**لستُ**
# نبي أهل الكوفة!

**"هذا نبي أهل الكوفة ، هذا محمد بن علي "!**

روى الكليني في (الكافي) عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر (ع) في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تَدَاكَّ عليه الناس؟ فقال: "هذا نبي أهل الكوفة، هذا محمد بن علي "!

- **"إن شيعتك بالكوفة يزعمون أنك نبي!"**
- **الامام الباقر:" ما لكم؟ لعلّكم ترون أنّي نبىّ الله؟ والله ما أنا كذلك "**.
- **"من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله".**
- **" أبرأ ممن يزعم أنا أنبياء".**

**الفهرس**

**المقدمة**
**ما هو الهدف من هذا البحث؟ وما هي ضرورته؟**
**منهج البحث**
**مدخل: من هم الشيعة؟.. وما هو التشيع؟**
**أهم ملامح نهج الامام علي في الحياة**
**انقراض نظرية الإمامة: وهم الولاية والتشيع**
**التفكير داخل الصندوق الامامي: الأزمة الاخبارية**

**الباب الأول: الفكر السياسي الشيعي الأول**
**ف1 الفكر السياسي للامام علي وابنيه الحسن والحسين**
**اعتزال الامام زين العابدين عن السياسة**
**ف 2- الحركات الغالية المنحرفة عن أهل البيت**
**الامام الباقر في مواجهة الغلاة**

**الباب الثاني:**
**الامام محمد بن علي الباقر (57 – 114 هـ) والإمامة العلمية (الفقهية)**
**الهوية الشخصية**
**هل بعث النبي تحية خاصة الى الباقر؟**
**مصادر علم الباقر: كتب الامام علي (ع)**
**علامات استفهام**
**هل كان الباقر ينطق في أيام أبيه؟ أم بعد رحيله بسبع سنوات؟**
**حصر العلم الديني وتفسير القرآن في أهل البيت**

**الامام الباقر وظاهرة (التقية)**

**الوقوع في شرك الغلو**

**تراجع بعض الشيعة عن الامامة**

**ف 4 - الامام الباقر والتصدي السياسي**

**أ - شعار "أهل البيت" في مقابل "العترة"**
**ب - حصر الإمامة في الفاطميين وإخراج سائر العلويين منها، وإخراج الحسنيين**

**ج - وراثة سلاح رسول الله (ص)**

**د - ولاية الدم**

**هـ - العلم**

**ف 5 - الامام الباقر والخلفاء الأمويين.. من الولاء الى المعارضة**

**هل كان الامام الباقر يمهد للثورة على الامويين؟**

**لماذا نهى الباقر أخاه زيدا عن القيام؟**
**الامام الصادق: بين الوعد بالخروج والشعور بقلة الأتباع**

**ف6 - من هو خليفة الإمام الباقر؟ وهل أوصى لأحد من بعده بالإمامة؟**

**متى ظهر قانون الوراثة العمودية في الامامة؟**

**الباب الثالث : نظرية الإمامة الإلهية**
**ف 1- الارهاصات الأولى لنظرية الإمامة**
**ضرورة الامامة عبر التاريخ**
**ف2 النصوص على الامامة الالهية**
**النص على الامامة في كتاب مختوم نازل من الله تعالى**
**الوصية كتاب مسجل نازل من السماء**
**حديث الغدير وحديث الثقلين**
**لعصمة والتطهير**
**أسطورة تآمر قريش على الامام علي**
**انتقال الامامة الى الحسن والحسين**

**اثبات إمامة زين العابدين**

**"معجزة تكلم الحجر الأسود"**

**"معجزة حصاة أم أسلم"**

**ادعاء "علم الغيب"**

**كيف أثبت الباقر إمامته الدينية؟**

**الاثنا عشرية**

ف 3- نقد **نظرية الامامة السرمدية الأبدية**

تقييم **النصوص على الامامة الالهية**
**العصمة والتطهير**
**ما صحة روايات التآمر على الامام علي؟**
**انتقال الامامة الى الحسن والحسين**

**امامة زين العابدين**

**كيف أثبت الباقر إمامته؟**

**الامام الصادق يتبرأ من نظرية "الإمامة"**

**ف4 قانون انتقال الامامة الدينية من واحد الى آخر**

**ف 5 - وجوب الولاء للأئمة المعينين من قبل الله**

**من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية**

**ف 6- الأرض كلها للامام و الخمس أيضا**

**الباب الرابع: نظرية الامامة المشابهة للنبوة**
**ف1 – الامام محمد الباقر.. نبي أهل الكوفة؟**
**دعوى (المحدَّث)**
**صعوبة حديث آل محمد**
**ما هو الفرق بين (المحدَّث) وبين النبي والرسول؟**
**هل كانت دعوى (المحدَّث) خاصة وسرية؟ أم عامة وعلنية؟**
**هل كان الصادق "محدَّثاً" ؟**

**الأئمة وروح القدس**

**الأئمة أعلم من الأنبياء!**

**العلم الجديد المستمر**

**الأئمة وعلم الغيب**

**لسنا انبياء**

**ف2 ـ تفويض الأئمة في التشريع**

**التفويض في التشريع**

**ف3 ارتكاز نظرية الامامة على تحريف القرآن وتأويله بصورة تعسفية**

**تأويل القرآن أو التفسير الباطني**

**ف4 - المعجزات دليلا على الامامة الإلهية في غياب النص الجلي**

**ولادة فاطمة الزهراء الغريبة**

**فاطمة الزهراء محدثة**

**رد الشمس للامام علي**

**تكلم الحجر الأسود**

**الباب الخامس: الامامة الكونية**

**ف1 تفضيل الأئمة على الملائكة والأنبياء والرسل**

**طبيعة خلق الأئمة الخاصة**

**انّهم (ع) أول ما خلق الله**

**ف2- شيعة الأئمة من الملائكة المقربين**

**ف3- شيعة الأئمة من الجن**

**ف4- التفويض في التكوين (الولاية التكوينية)**

**ف 5 - الأئمة يحاسبون الخلق يوم القيامة، ويدخلون شيعتهم الجنة وأعداءهم في النار**

**حضور "الأئمة" عند احتضار الشيعي**

**يوم المحشر.. مملكة الأئمة الخاصة**

**الباب السادس: الوجه الآخر لنظرية الامامة: الموقف السلبي من الشيخين واتباعهم، ومن الزعماء المنافسين للأئمة**

**ف 1- الموقف الإيجابي من الشيخين**

**ف 2 - الموقف السلبي من الشيخين**
**ف 3- الموقف السلبي من الزعماء المنافسين للأئمة**

**الباب السابع: موقف الزيدية من نظرية الامامة الإلهية**

**الخاتمة**
**نهاية نظرية الامامة ووصولها الى طريق مسدود**
**الامامة الإلهية من بداية الدنيا الى آخر يوم**
**التطور الاثنا عشري: حركة واقفية**
**تناقض (الغيبة) مع فلسفة الإمامة**

**المقدمة**

## ما هو الهدف من هذا البحث؟ وما هي ضرورته؟

انقسم المسلمون عبر التاريخ الى سنة وشيعة، فقال أهل السنة بأن الامامة بالشورى، وان النبي الأكرم (ص) لم يعين أحدا من بعده، ولم يترك نظاما معينا للحكم، وأن الصحابة اجتمعوا بعد وفاة الرسول في سقيفة بني ساعدة، وحاول الأنصار أن ينتخبوا أميرا لهم هو سعد بن عبادة، ولكن المهاجرين القرشيين اقترحوا أن يكون الخليفة منهم، فاتفقوا وبايعوا أبا بكر، ثم رشح أبو بكر عمر بن الخطاب، أو عينه من بعده، وعندما قتل عمر أوصى الى شورى مؤلفة من ستة من زعماء المهاجرين القرشيين، وانتخب هؤلاء عثمان بن عفان، ثم حدثت ثورة على عثمان أدت الى قتله، وانتخاب الامام علي بن ابي طالب من بعده، الذي لم يوص ولم يعهد الى أحد من بعده، فانتخب شيعة الامام علي ابنه الحسن، الذي حكم لمدة ستة أشهر ثم تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، الذي حول الخلافة الى ملك وراثي من بعده فأوصى الى ابنه يزيد واستمر النظام السياسي قائما على القوة والوراثة الى نهاية الخلافة العثمانية في القرن العشرين.

وقال الشيعة بأن الامام علي كان أولى، من غيره بالحكم والخلافة.

وانقسموا الى زيدية يقولون بالأولوية، وإمامية يقولون بالنص.

وكان محور العقيدة الامامية: القول بأن الإمام، أي الحاكم في المجتمع الإسلامي، يجب أن يكون معصوما ومعينا من قبل الله ومن السلالة العلوية الحسينية. وان النبي الأكرم قد نص على الامام علي نصا جليا أو خفيا، وان الامامة تتسلسل في ذريته الى يوم القيامة.

وانقسم الامامية الى اسماعيلية يقولون بحصر الامامة في إسماعيل بن جعفر الصادق، وذريته الى اليوم، والى آخر الدنيا، وموسوية اثني عشرية حصروا الامامة في اثني عشر اماما فقط، وان الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) ولد سرا في منتصف القرن الثالث الهجري وغاب عن الأنظار، ولا يزال حيا، وسوف يظهر في المستقبل.

وقد ظهرت هذه النظرية السياسية الدينية في عهد الامام محمد بن علي الباقر (57 هـ 114هـ)، ونسبت اليه، وحدثت فيها انشقاقات عديدة في القرن الثاني الهجري، كان أبرزها الإسماعيلية والموسوية والواقفية والقطعية، وفيما نجح الخط الإسماعيلي بإقامة الدولة الفاطمية في نهاية القرن الثالث الهجري، وصل الخط الموسوي الى طريق مسدود بوفاة الحسن العسكري (سنة 260 هـ) دون خلف ظاهر، رغم القول بوجود ولد له ولد في السر هو (محمد بن الحسن العسكري)

الذي قيل فيما بعد أنه (المهدي المنتظر) الغائب منذ ذلك الحين الى اليوم. وهو ما شكل العقيدة (الاثني عشرية) التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، واستمرت الى اليوم، وغلبت على عموم الشيعة.

وبالرغم من تبني الشيعة المعاصرين لنظرية الشورى وقبولهم بحكومة الملوك أو الفقهاء العدول، أو الرؤساء العاديين المنتخبين، وعدم اشتراطهم النص والعصمة والسلالة العلوية الحسينية في الأئمة الفعليين، تلك الصفات التي كانت تشترطها النظرية (الامامية)، الا أنهم ظلوا يحملون اسم (الشيعة الامامية) بسبب "اعتقادهم" بتلك النظرية التاريخية، وإيمانهم "بالأئمة الاثني عشر المعصومين المعينين من قبل الله تعالى" الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى.

وبالرغم من عدم وجود أي إمام ظاهر من تلك السلالة العلوية الحسينية اليوم، واستحالة تطبيق تلك النظرية في الواقع، منذ "غيبة" ذلك الامام المفترض، فان الإيمان بنظرية (الامامة الإلهية) أدى ويؤدي بالشيعة الامامية الى الافتراق عن الأمة الإسلامية، بسبب توابع تلك النظرية، السلبية، والتي تمثلت في ثلاثة أمور:

1- الغلو بالأئمة الاثني عشر، ورفعهم الى درجة قريبة من النبوة، أو أعلى منها، وحتى القول بتمتعهم بالولاية التكوينية. وهو ما يصل الى حد الشرك بالله تعالى.
2- الموقف السلبي من خيار الصحابة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، بتهمة الانقلاب على النص النبوي المعين للامام علي كخليفة من بعده، واغتصاب الخلافة، واجبار الامام علي على البيعة للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، وما رافق ذلك من اقتحام بيت الامام علي وعصر زوجته فاطمة الزهراء وراء الباب وكسر ضلعها واسقاط جنينها واحراق باب دارها. وهو ما أدى ويؤدي الى لعن "الظالمين" وسبهم والبراءة منهم.
3- الاضطرار لتأويل بعض آيات القرآن الكريم تأويلا تعسفيا، للاستدلال بها على نظرية الامامة الإلهية، وكذلك الزعم بتحريف القرآن من قبل الخلفاء الثلاثة الذين جمعوه، وحذف الآيات "الصريحة" النازلة بحق الامام علي وأئمة أهل البيت. ورغم رفض شيوخ الاثني عشرية المجتهدين، منذ القرن الرابع الهجري الى اليوم، لمقولة التحريف الصارخ التي انتشرت في القرن الثالث الهجري، وتفسير الروايات الواردة حول التحريف الصريح، بأنها تعني التفسير، وليس كونها جزءا من التنزيل، فان الأخباريين الذين استمروا الى اليوم يتشبثون بتلك الروايات الواردة عن الامام الباقر والصادق، أو المنسوبة لهما، حول تحريف القرآن وحذف الآيات النازلة بحق أهل البيت.

ان تلك الآثار السلبية الثلاثة الناتجة عن الاعتقاد بنظرية الامامة الإلهية، أدت الى اتخاذ عامة المسلمين، موقفا سلبيا من الشيعة الامامية، واستنكار الغلو بأئمة أهل البيت، والعداء للصحابة الأخيار، والقول بتحريف القرآن. والحكم على الشيعة أحيانا بالكفر والشرك وانكار ضروريات الدين. وذلك رغم التطورات الإيجابية التي حصلت في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، الى درجة التخلي العملي عن نظرية الامامة، وتبني الفكر الشوري الديمقراطي، والدعوة للوحدة الإسلامية.

وهذا ما يدفعنا لدراسة نظرية الامامة الإلهية، ومدى صدق نسبتها الى الامامين محمد الباقر وابنه جعفر الصادق، أو اختلاقها من قبل الغلاة الذين التفوا حول أئمة أهل البيت، وغالوا فيهم كثيرا الى حد دعوى النبوة والألوهية لهم، أو تفويض الخلق والرزق والحياة والموت والحساب في الآخرة اليهم.

وسوف نقوم بدراسة الفكر السياسي الشيعي في الجيل الأول في عهد الامام علي وابنيه الحسن والحسين، ثم ندرس تراث الامامين الباقر والصادق، وتطور نظرية الامامة الى (اثني عشرية)، معتمدين في دراستنا على أهم المصادر الشيعية الامامية الأولى كـ: (المحاسن) للبرقي و(بصائرالدرجات) لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار، و(الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني، و(الامامة والتبصرة من الحيرة) لعلي بن با بويه القمي، وكتاب (فرق الشيعة) للنوبختي، و(المقالات والفرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي، و(الغيبة) للنعماني، و(كمال الدين) لمحمد بن علي الصدوق، و(الارشاد) للمفيد، و(الغيبة) للطوسي، وغيرها من كتب التفسير والحديث والتاريخ.

وبما أن هذه الكتب قد ألفت في أواخر القرن الثالث الهجري، والقرن الرابع وما بعده، فانها لم تصلنا مباشرة من الأئمة الذين لم يتركوا وراءهم كتبا معروفة ومعتمدة، وحتى كتاب (نهج البلاغة) المنسوب للامام علي، لم يصلنا مباشرة ومسندا للامام، وانما وصلنا عبر سلسلة من الرواة أو بدون سند، فكان لا بد من التوقف عند ما احتوت عليه تلك الكتب من روايات وأحاديث منسوبة لأئمة أهل البيت، ودراسة سندها، بصورة مستقلة، أو بالاعتماد على علم الرجال الشيعي الذي ولد في تلك الفترة المتأخرة، بالرغم من أن توثيق الشيعة الامامية لتلك الكتب ورواتها، وذلك لعدم جواز الاعتماد على توثيق أصحاب المذاهب لشيوخهم وكتبهم، ووجود نسبة كبيرة من الكذب والتدليس والحشو والتناقض في تلك الكتب والأحاديث، مما يلقي بالشك على معظم ما ورد من أفكار ونظريات ومواقف عن أولئك الأئمة. وهذا ما يدفعنا الى التوقف في كل ما ورد من أحاديث وعرضها على القرآن الكريم والعقل والتاريخ المتواتر، وتنزيه أئمة أهل البيت عن كل ما يروى من غلو.

## منهج البحث

وسوف نقوم في بحثنا هذا باعتماد المنهج التاريخي الفكري، ودراسة وتحليل الروايات والأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت، وخصوصا الامام علي بن ابي طالب وابنيه الحسنين واحفاده زين العابدين علي بن الحسين، وزيد بن علي، ومحمد الباقر وجعفر الصادق، وبقية الأئمة المعروفين بالاثني عشر. وذلك اعتمادا على المصادر الشيعية الأولى الموثوقة والمعتمدة، و (علم الرجال الشيعي) والاجتهاد فيه، ومقارنة الأخبار بعضها ببعض، وعرضها على القرآن الكريم والتاريخ الثابت المتواتر المجمع عليه.

وسوف نحاول ان ندرس نظرية الامامة الدينية المنسوبة للامامين الباقر والصادق، من زاوية مستقلة محايدة، أي لا تخضع مسبقا للايمان بعصمتهما أو تقديسهما، كما يفعل الشيعة الامامية، وذلك لأنه لا يمكن دراسة النظرية من داخلها، أو اعتمادا على الأحاديث المنسوبة اليهما، تجنبا لحصول الدور المنطقي الباطل، ووجود احتمال ولو ضعيف بابتداعهما لتلك النظرية، واضفاء طابع مقدس عليهما.

وربما كان سبب تقبل الشيعة الامامية المعاصرين لتلك الأقوال الثلاثة هو التقديس التاريخي لأئمة أهل البيت ولا سيما الامامين الباقر والصادق، والايمان بكل ما صدر عنهم، ومنه ما ورد عنهم من تعظيم لأشخاصهم واضفاء صفة العصمة عليهم، وهو ما أحدث نوعا من الدور المنطقي الباطل، الذي يعتبر كلامهم كأنه كلام رسول الله (ص) ولا يسمح لأي شيعي برفضه أو التشكيك به، كما يقول الحديث المشهور الوارد عن أحد الأئمة: "الرد علينا رد على الله وهو على حد الشرك بالله". في الوقت الذي كان ينبغي التوقف للسؤال عن حجية أقوال الأئمة قبل الإيمان بنظرية الامامة.

وقد حاول بعض الشيعة المعاصرين التشكيك بصحة التاريخ الاسلامي المكتوب في زمن الأمويين والعباسيين، بتهمة إخفاء الحقائق المتعلقة بأهل البيت والنص عليهم، وتقديم قراءة مخالفة تقوم على روايات خاصة للتاريخ مروية عن الباقر والصادق تؤيد نظرية الامامة وتزعم وجود نصوص وأحداث تصب في صالحها منذ زمن رسول الله (ص). ومع وجود هكذا احتمال بتزوير التاريخ، من قبل الأمويين والعباسيين، يوجد احتمال بمحاولة الامامية تزوير التاريخ وكتابته من جديد لصالحهم أيضا. ولا سيما ان الشيعة لا يجمعون جميعا على رواية واحدة للتاريخ، وانما يختلفون فيما بينهم أيضا حيث يروي كل فريق ما يشاء من

الأحداث والأحاديث من أجل تعزيز نظريته السياسية الخاصة. ومن يقرأ المصادر الشيعية الأولى المؤلفة في القرنين الثالث والرابع، ككتاب (بصائر الدرجات) لمحمد بن الحسن بن فروخ الصفار، و (الكافي) للكليني، و (فرق الشيعة) للنوبختي، و (المقالات والفرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي، و (المحاسن) للبرقي، و (الامامة والتبصرة من الحيرة) لعلي بن با بويه القمي، وغيرها من المصادر الأولى، يجد فيها روايات متناقضة، ومناقضة لنظرية الامامة الدينية، ونسختها الأخيرة (الاثني عشرية) وذلك قبل أن يأتي الشيخ المفيد في القرن الرابع الهجري، وتلامذته في القرن الخامس كالمرتضى والطوسي، ويقوموا بكتابة التاريخ الشيعي من جديد، على ضوء نظرية الامامة الاثني عشرية.

تقول مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، التي قامت بتحقيق كتاب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (413 هـ) : (الارشاد في معرفة حجج الله علي العباد): "لعل التأمل اليسير في مجمل أسماء المؤرخين وزمن كتابتهم للتأريخ يبين بوضوح إن أسس التأريخ المعروف لدينا الآن قد بنيت أبان الحكمين: الأموي - المغتصب للخلافة الشرعية برائده معاوية بن أبي سفيان – والعباسي - المتاجر بشعار آل محمد - ولا يخفى على ذي لب فطن ما دأب عليه رجال وساسة الدولتين من محاولات متكررة لإضفاء هالة الشرعية والقدسية على حكميهما مع دفع أصحاب الحق الشرعيين عن مناصبهم التي رتبها الله تعالى لهم. ولعله من الطبيعي أن يعمد النظامان وأتباعهما إلى تشذيب كل الأصول التأريخية التي قد لا تتوافق مع الخط الذي تنتهجه الدولتان، أو تسخير الأقلام لأن تتوافق في مساراتها والتي تتناغم مع التوجهات غير المشروعة لرواد هاتين الدولتين".[1]

وتضيف: "ولكن ورغم كل ما أحاط عملية كتابه التاريخ من كذب وتزوير وقهر وتنكيل، فإن هذا لم يمنع من أن يعمد البعض إلى اعتماد المنهج العلمي الرصين في كتابة التاريخ، وأن ترث منهم الأجيال اللاحقة صفحات بيضاء ناصعة لا تشوبها أدران التعصب ولا التحزب. ولعل كتاب الارشاد لشيخنا المفيد رحمه نموذج حي - مع غيره من النماذج القديرة لرجالات الشيعة الأفذاذ - في

[1] - المفيد، الارشاد، ج 1 مقدمة المحقق، ص7

رسم صورة التعامل العلمي والصحيح مع التاريخ باعتماد المنهج العقائدي الذي اختطه لأمته رسول الله (ص).[2]

ومن هنا فلا يسع المرء وهو يتأمل ويطالع صفحات كتاب (الارشاد) للشيخ المفيد رحمه الله إلا أن ترتسم في مخيلته جوانب من الابعاد الرائعة لذهنية مؤلفه، وجهده في إخراج صورة تمثل البناء الأساسي الرصين لما يسمى بعلم التاريخ، رحم الله الشيخ المفيد، وأسكنه في فسيح جنانه".[3]

ولكن من ينظر الى كتاب (الارشاد) للمفيد، وكتبه الأخرى، وكتب الامامية بصورة عامة، يجد بوضوح أنهم يقترفون ما انتقدوا الآخرين عليه، من كتابة التاريخ بصورة أيديولوجية (عقائدية) وتعسفية، بعيدة عن العلم والموضوعية والحياد.

فان المفيد يقول بأن شيعة الامام علي (وهم بنو هاشم وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري، وأمثالهم من جلة المهاجرين والأنصار) قالت، يوم وفاة رسول الله (ص): "بأنه كان الخليفة بعد رسول الله (ص) والإمام، لفضله على كافة الأنام بما اجتمع له من خصال الفضل والرأي والكمال، من سبقه الجماعة إلى الإيمان، والتبريز عليهم في العلم بالأحكام، والتقدم لهم في الجهاد، والبينونة منهم بالغاية في الورع والزهد والصلاح، واختصاصه من النبي (ص) في القربى بما لم يشركه فيه أحد من ذوي الأرحام".[4] وهذا غير صحيح أو لم يثبت ولا يوجد عليه دليل، وانما كان هناك بعض التريث من الامام علي في بيعة أبي بكر، وتبعه بعض الهاشميين والمقربين منه، الذين كانوا يفضلون انتخاب الامام علي لمنصب الخلافة، في الوقت الذي لم يكن هناك أي نص معروف على أحد من المسلمين.

ولكن الشيخ المفيد حاول كتابة التاريخ بناء على إيمانه بنظرية الامامة الدينية للامام علي وأبنائه، التي دافع عنها في كتاب (الارشاد) وكتبه الأخرى، بناء على تأويل بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، التي لا تصرح بموضوع الحكم والخلافة. وذلك كتأويله لآية: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" التي اعتبرها نصا من الله على ولاية الامام

---

[2] - المفيد، الارشاد، ج 1 مقدمة المحقق، ص9

[3] - المصدر، ص 10

[4] - المفيد، الارشاد، ج 1 ص 6

علي، رغم أن الآية بصيغة الجمع وتتحدث عن (الذين آمنوا) وعن الولاية العامة (لا السياسية) بين المؤمنين.

وتأويله أيضا لـ (حديث الغدير) الذي قال فيه رسول الله (ص): "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله".[5] وذلك انتصارا للامام علي في قضية خلاف بينه وبين بعض الصحابة، ولكن الشيخ المفيد يروي الحديث بصيغة خاصة فيها إضافة: أن النبي قال: "ألست أولى بكم منكم بأنفسكم "؟ فقالوا: اللهم بلى، فقال لهم (ع) - على النسق من غير فصل بين الكلام -: " فمن كنت مولاه فعلي مولاه ". ليستنتج منه ويقول: "فأوجب له عليهم من فرض الطاعة والولاية ما كان له عليهم، بما قررهم به من ذلك ولم يتناكروه. وهذا أيضا ظاهر في النص عليه بالإمامة والاستخلاف له في المقام".[6]

ويضيف المفيد في كتاب آخر تفصيلا آخر تعقيبا على حديث الغدير، فيقول: "ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام".[7] ويدعي أنه "قد أجمع أهل الإسلام على أن رسول الله (ص) نصب عليا (ع) يوم غدير خم، في رجوعه من حجة الوداع للأمة جمعاء".[8] الا انه لم يذكر الفقرة الأولى "ألست أولى بكم منكم بأنفسكم ". وهذا ابرز شاهد على تلاعبه بالرواية التاريخية انطلاقا من موقفه العقدي المسبق.

وهكذا يسارع المفيد للاستشهاد بخبر واحد غريب، وهو (حديث الدار) الذي رواه ابن إسحاق في (السيرة النبوية) بلا سند: ان النبي (ص) جمع بني عبد المطلب للإنذار، وقال لهم: " من يؤازرني على هذا الأمر يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي" فقام إليه أمير المؤمنين (ع) من بين جماعتهم، وهو أصغرهم يومئذ سنا (حوالي عشر سنين) فقال: " أنا أؤازرك يا رسول الله " فقال له النبي (ص): " اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي."

ليستنتج المفيد منه: هذا صريح القول في الاستخلاف.

ان الشيخ المفيد يصور الأمر وكأن الرسول الأعظم قد عين الامام علي خليفة له منذ أول يوم للدعوة، ويدعي اجماع أهل الإسلام على تنصيب الرسول له، اعتمادا

---

[5] - الإفصاح في الامامة، ص ٣٢-٣٣

[6] - المفيد، الارشاد، ج1 ص 8

[7] - النكت الاعتقادية، ص ٤٥

[8] - النكت الاعتقادية، ص ٤٥

على أحاديث يعترف المفيد نفسه بأنها أخبار آحاد ضعيفة، حيث يقول: "فان قال قائل من أهل الخلاف: ان النصوص التي يروونها الامامية موضوعة والأخبار بها آحاد، والا فليذكروا طرقها، أو يدلوا على صحتها بما يزيل الشك فيها والارتياب. قيل له: ليس يضر الامامية في مذهبها الذي وصفناه عدم التواتر في أخبار النصوص على أئمتهم، ولا يمنع من الحجة لهم بها كونها أخبار آحاد، لما اقترن اليها من الدلائل العقلية فيما سميناه وشرحناه، من وجوب الامامة وصفات الأئمة ".[9]

ولكن المفيد يغض الطرف عن جميع عيوب تلك الأحاديث، ويقول: "أما الاظهار من النبي (ص) فقد وقع ولم يك خافيا في حال ظهوره، وكل من حضره فقد علمه ولم يرتب فيه ولا اشتبه عليه". [10]

اذن.. فان الموقف العقدي المسبق هو الذي دفع الشيخ المفيد للابتعاد عن المنهج الموضوعي المحايد، وتقبل الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والقيام بتأويل بعض الآيات والأحاديث، من أجل تبرير نظرية الامامة، وهو ما يشرحه بالتفصيل في في كتاب (الجمل) حيث يقوم بالتنظير لضرورة العصمة في الامام، ثم يحصر العصمة في الامام علي، ثم يدعي حصر الطريق الى الامامة بالنص، ويرفض الشورى واختيار الامام بالرأي، ليقول بعد ذلك: "أجمعت الأمة على أنه لو كان بعد النبي (ص) إمام على الفور تجب طاعته على الأنام وجب القطع على أنه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب دون غيره ممن ادعيت له الإمامة في تلك الحال للإجماع على أنه لم يكن لواحد ممن ذكروه العصمة التي أوجبناها بالنظر الصحيح لأئمة الإسلام وإجماع الشيعة الإمامية على علي (ع) كان مخصوصا بها من بين الأنام ... (وان) فساد ثبوت الإمامة من جهة الشورى والآراء وإذا فسد ذلك وجب النص على الأئمة وفي وجوبه لثبوت إمامة علي". [11]

وفي الوقت الذي كان الشيخ المفيد يندفع لاثبات النص على الامامة، فانه كان يهمل كل النصوص الواردة عن الامام علي حول الشورى، مثل الحديث الذي ورد في (كتاب سليم بن قيس الهلالي) ويكشف عن إيمان الإمام علي بنظرية الشورى وحق الأمة في اختيار الإمام، حيث يقول في رسالة له: "الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل .. أن لا يعملوا عملا ولا يحدثوا

---

[9] - الجارودية، ص ٤٧

[10] - المفيد، الفصول ، ص 19

[11] - المفيد، الجمل، ص 31- 32

حدثا ولا يقدموا يدا ولا رجلا ولا يبدؤوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضاء والسنة".[12]

وعندما واجه المفيد قول العباس للامام علي، في مرض رسول الله: " أي ابن أخ ادخل معي الى النبي فاسأله عن الأمر من بعده، هل هو فينا؟ فتطمئن قلوبنا له، أم هو في غيرنا فيوصيه بنا؟" فدخلا عليه فسأله العباس عن ذلك فلم يجبه هل هو فيهم أو في غيرهم فقال لهم:" على رسلكم معشر بن هاشم، ثم أنتم المظلومون وأنتم المقهورون".[13] حاول أن يأوله بصورة تعسفية، وذلك بالقول: ان العباس انما سأل النبي عن كون الأمر فيهم بعده على الوجوب وتسليم الأمة لهم، وهل المعلوم عند الله عز وجل تمكينهم منه وعدم الحيلولة بينهم وبينه، فتطمئن لذلك نفسه، ويسكن الى وصوله الى غرضه، وعدم المنازع وتمكينهم من الأمر أو يغلبون عليه، ويحال بينهم وبينه، فسأل النبي أن يوصي بهم في الاكرام والاعظام، ولم يك في شك من الاستحقاق والاختصاص بالحكم". [14]

كما أهمل الرواية التاريخية الشيعية التي تتحدث عن إيمان الامام علي بالشورى، وعدم معرفته بنظرية النص، وعدم العهد بالخلافة لابنه الحسن، وهي الرواية التي تتحدث عن دخول المسلمين على الامام، بعدما ضربه عبد الرحمن بن ملجم، وطلبهم منه أن يستخلف ابنه الحسن، فقال:" لا، إنا دخلنا على رسول الله فقلنا: استخلف، فقال: لا، أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم". وسألوه أن يشير عليهم بأحد، فما فعل، فقالوا له: إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن. فقال:" لا آمركم ولا أنهاكم. أنتم أبصر".[15]

## مدخل

---

[12] - كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص 182،

[13] - المفيد، الفصول، ص 253-252 والارشاد، ج1 ص 184

[14] - المفيد، الفصول، ص 252 – 253 والارشاد، ج1 ص 184

[15] - ابن ابي الدنيا، مقتل الامام أمير المؤمنين، ص 43

## من هم الشيعة؟.. وما هو التشيع؟

يعرف كثير من مؤرخي الفرق الإسلامية التشيع، بصورة جامدة وعقيمة ومرتبطة بشخص الامام علي بن أبي طالب (ع) ومحدودة في زمان حياته، كما يقول النوبختي – مثلا- بأن التشيع هو الاعتقاد بأن الامام علي أفضل الناس بعد رسول الله، وأولاهم بالإمامة. أو وجود اشارة اليه من النبي بالوصف، أو النص الصريح من النبي (ص) عليه بالامامة والخلافة. [16] أو كما يعرفه أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (330هـ) بأنه مشايعة علي وتقديمه على سائر أصحاب رسول الله (ص) .[17]

ويتوسع بعض المؤرخين في تعريف التشيع بحيث يضم داخله حتى الغلاة والمتطرفين، بينما يضيقه آخرون، كالشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (413هـ) الذي يعرف التشيع بأنه: "اتباع أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الولاء والإعتقاد لإمامته بعد الرسول (ص) بلا فصل، ونفي الامامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء".[18]

وكما هو ملاحظ فان معظم هذه التعاريف تعتمد على رؤية المؤرخ في كل زمان ونظره الى الصورة السائدة من التشيع فيه. وانها لا تعبر بالضرورة عن مفهوم التشيع في زمان الامام علي نفسه، أو حسب نظرته هو اليه، وانما نظرة أصحاب الفرق الشيعية المختلفة المتأخرة، أو المنحرفة عنه. فان الامام علي لم يكن يفضل نفسه على أبي بكر وعمر، مثلا، كما لم يكن يعتقد بأنه منصوص عليه بالخلافة من النبي الأكرم، أو أن الامامة تستمر في ذريته الى يوم القيامة، وانما هذه نظريات ظهرت مع الزمن، وكان أولها قول عبد الله بن سبأ، اليهودي اليمني المسلم الذي كان يقول في يهوديته بوصية النبي موسى الى يوشع بن نون، ثم قال بأن الامام علي وصي رسول الله، واتخذ موقفا سلبيا من الشيوخ الثلاثة الذين سبقوا الامام علي، واتهمهم باغتصاب الخلافة منه. [19]

وسواء قلنا بأن الامام علي كان أفضل الصحابة، وأحق منهم بالخلافة، أو لم نقل بذلك، فان هذا الجدل لا يترتب عليه أي أثر، في الزمن اللاحق، بعد رحيل الامام علي عن الحياة، وبالتالي فان الاعتقاد بامامته يغدو بلا معنى، ولا أثر عمليا. وانما يتحول الى قضية ذهنية تاريخية فقط، وهذا يعني أنه مفهوم شخصي عقيم وخاطئ.

## أهم الفوارق بين النهج الأموي والنهج العلوي

---

[16] - النوبختي، الحسن بن موسى فرق الشيعة، ص 21 و22 و ص 63 – 66، والأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 18 و ص 68 والشهرستاني، الملل والنحل، ص 159 و الكشي، الرجال، ص 152

[17] - الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل (-330)، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، ص 65 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1990

[18] - المفيد، أوائل المقالات في المذاهب، ص 35
http://www.al-shia.org/html/ara/books/lib-aqaed/avael-maqalat/a01.htm

[19] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 44

بيد أنا لو نظرنا الى الامام علي كمنهج في الحياة، وجوهر وروح وأسلوب معين في الحكم، فان التشيع له يصبح تشيعا حيا وحيويا وقابلا للاستمرار الى الأبد، لأنه يعبر عن روح الإسلام والترجمة الصحيحة له في مقابل النموذج الأموي المضاد له، المفعم بالظلم والجور والطغيان. كما يعبر عنه الامام بقوله: "غار الصدق ، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً". [20] والفكر السياسي "السني" الذي تبلور في العهد الأموي مثل:

1- جواز الاستيلاء على السلطة بالقوة. الذي يعبر عنه إمام "أهل السُنَّة" أحمد بن حنبل بقوله: "من ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن استولى عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي (أمير المؤمنين) فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، براً كان أو فاجراً". حسب رواية عبدوس ابن مالك العطار. [21]

2- "السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البَرّ والفاجر". وقول الغزالي: "إن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له". [22]

3- اسقاط شرط العدل في الحكام.

4- تحريم الثورة على الظالمين.

5- اعتبار السلطة القهرية، إحدى طرق الحكم الثلاثة، كفتوى أبي حامد الغزالي بجواز تعيين الإمام بواسطة شخص واحد إذا حصلت له الشوكة. [23]

6- النص والتفويض من رجل ذي شوكة. [24]

7- منع محاسبة الحكام ومراقبتهم ونقدهم وتغييرهم. كما قال أحمد بن حنبل في (أصول السُنَّة): "قسمة الفيء ... إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم". وذلك بناء على مجموعة من الأحاديث مثل:

1- حديث عبادة بن الصامت، قال: "بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله".

2- وحديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص): "ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم". مسلم، وغير واحد من اصحاب الصحاح والسنن.

3- وحديث وائل بن حجر قال:" سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله فقال: يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض، ثم سأله في الثانية أو الثالثة، فقال: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم". مسلم، كتاب الامارة، ج 4 ص 515.

---

[20] - نهج البلاغة

[21] - الفراء، أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص 28

[22] - الغزالي، إحياء علوم الدين الجزء 2 ص140

[23] - الغزالي، فضائح الباطنية، ص 178 – 179

[24] - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 105، 106، 107

4- وحديث أبى هريرة عن النبي (ص) أنه قال: "إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء وكلما هلك نبي خلفه نبي، وانه لا نبي بعدي، وانه سيكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا لهم ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم الذي جعل الله لهم، فان الله سائلهم عما استرعاهم". رواه أحمد في أول كتاب المسند حول (ما يبتدأ به من طاعة الإمام وترك الخروج عليه وغير ذلك). وقد قال أبو عبد الله: ما أحسن هذا الحديث. كأنه أعجبه.[25]

وخلافا لتلك الثقافة الأموية "السلطانية" المغلفة باسم السنة النبوية، فقد كان الإمام علي نموذجا باهرا يمثل تجربة الخلافة الراشدة، مما جعله رمزاً متلألئاً للعدل والشورى في العصور اللاحقة، ولا سيما بعد انقلاب الخلافة الى ملك عضوض، وتفشي الظلم والتمييز والطغيان. وربما يمكن تلخيص منهج الامام علي بالنقاط التالية:

## 1- إتباع الكتاب والسُنَّة والاجتهاد.

وقد عبر الإمام علي عن منهجه هذا يوم الشورى، عندما عرض عليه عبد الرحمن بن عوف الخلافة على شرط اتباع الكتاب والسُنَّة وسيرة الشيخين، فوافق على الشرطين الأولين، ورفض الشرط الأخير واستبدله بالاجتهاد.

وهذا ما فعله لاحقا عندما تولى الخلافة بعد عثمان، وكان يعلن عنه بين آونة وأخرى، ويقول: "نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استن النبي (ص) فاقتديته".[26] و"إنه ليس على الإمام إلا ما حمِّل من أمر ربه: الابلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسُنَّة".[27]

## 2- الإيمان بالشورى

وتمثل ذلك في رفض الامام علي الاستيلاء على السلطة بعد وفاة النبي، بالقوة، رغم قدرته على ذلك، وقد رفض الاستجابة الى دعوة زعيم قريش أبي سفيان، له بالتحرك ضد أبي بكر.[28]

وقد بايع الإمام علي أبا بكر ورفض استقالته قبيل وفاته، عندما قال:" أقيلوني، إن الله ردَّ عليكم أمركم فأمِّروا عليكم من أحببتم". فقام إليه علي فقال:" يا أبا بكر، لا نقيلك ولا نستقيلك".[29]

---

[25] - الخلال أبو بكر، السنة، ج 1، ص 78

[26] - الإمام علي، نهج البلاغة، من كلام له رقم 205، ص 322 والتزم سنة النبي بعدم الوصية أو العهد الى أحد من بعده بالخلافة، فقال:"إنا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف، فقال: لا .. أخاف ان تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم ". ابن كثير، البداية والنهاية ج 8 ص 15

[27] - الامام علي، نهج البلاغة، من خطبة له رقم 105 ص 152

[28] - سوف نبحث موضوع "التشيع الديني" الذي يعتقد بوجود النص على الإمام علي بالخلافة، في الفصل القادم، ونبين موقف الامام وبقية أئمة أهل البيت من ذلك.

[29] - المصدر، ج20 قسم 2 ص 146

وقال للثوار الذين قتلوا عثمان واتجهوا صوبه، وطوقوا منزله ثلاثة أيام مطالبين إياه بتولي الخلافة:" لا تعجلوا فإن عمر كان رجلا مباركا، وقد أوصى بها شورى، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون".[30] وأمسك يده قائلا: "ليس ذلك إليكم وإنما هو لأهل الشورى وأهل بدر". وفي رواية أخرى قال:" إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضى".[31]

## 3- الزهد في الدنيا، والخلافة وسيلة وليست غاية

وتمثل ذلك في زهد الإمام علي بالسلطة، ورفض العرض المقدم له من قبل الثوار بتولي الخلافة، و قوله لهم:" دعوني والتمسوا غيري ... واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً".[32]

وعندما قبل الثوار شروطه، وأصروا على اختيارهم له، قال الإمام علي:" فان أبيتم ..فان بيعتي لا تكون سراً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين..ولكن اخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني فليبايعني. وإن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر".[33]

وأعرب عن هدفه من قبول الخلافة قائلا: "أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز". [34]

وعندما خرج عليه طلحة والزبير قال: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استن النبي (ص) فاقتديته".[35] "وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى!". [36]

## 4- رفض توريث الخلافة، أو العهد بها الى أحد

وتمثل ذلك في رفضه طلب المسلمين منه استخلاف ابنه الحسن، قائلا:" لا، إنا دخلنا على رسول الله فقلنا استخلف، فقال: لا .. أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم".[37]

---

[30] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 15
[31] - الإمام علي، نهج البلاغة، من كتاب له، رقم 6
[32] - المصدر، خطبة رقم 92
[33] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3 ص 450
[34] - الإمام علي، نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، ص 50
[35] - المصدر، من كلام له رقم 205، ص 322
[36] - المصدر، فقرة رقم 224 من كلام له، ص 246 – 247
[37] - ابن كثير، البداية والنهاية ج 8 ص 15

وعندما قالوا له: إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن، قال لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر".[38]

وترك الأمرَ من بعده لعامة المسلمين وقال: "أيها الناس.. إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه". وأوصى بنيه وأهله وخاصة شيعته قائلاً:" دعوا الناس وما رضوا لأنفسهم وألزموا أنفسكم السكوت".[39]

## 5- إعلان الحرب على الظلم والظالمين

وتمثل ذلك في قيامه بعد توليه الخلافة، بمحاربة الظلم والظالمين، فخطب قائلا: "أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها". [40]

وقوله: "أقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان، ومهابط العدوان". [41]

وقوله: "ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى: "ان الله لا يغفر أن يشرك به" وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات. وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا". [42] و"إن من أحب عباد الله اليه عبدا أعانه الله على نفسه..قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به..". [43]

وتحذير أصحابه قائلاً: "لا يحضرن أحدكم رجلا يضربه سلطان جائر ظلما وعدوانا، ولا مقتولا ولا مظلوما إذا لم ينصره، لأن نصرة المؤمن عليه فريضة واجبة. لئن أمهل (الله) الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد". [44]

---

[38] - القاضي الهمداني، عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة ج1 ص 212 والشريف المرتضى، الشافي ج3 ص 295 وأكد ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (مقتل الإمام أمير المؤمنين) والسيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص 9

[39] - الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 173

[40] - المصدر، من كلام له رقم 136، ص 194

[41] - المصدر، من خطبة له رقم 151، ص 211

[42] - المصدر، من خطبة له رقم 176، ص 255

[43] - المصدر، من خطبة له رقم 87، ص 118 – 119

[44] - المصدر، خطبة رقم 97

ووصيته الى واليه على مصر مالك الأشتر: "إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية". [45] و"إن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فانه ليس في الجور عوض من العدل". [46]

ووصيته الى ابنه الحسن: " يا بني اجعل من نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم". [47] ووصيته الى ابنيه الحسن والحسين قائلا:" كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا". [48]

## 6- الإيمان بحق الأمة في المعارضة والإصلاح

وتمثل ذلك في خطبته التاريخية الرائعة التي جاء فيها: "... لا تكلموني بما تُكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حقٍ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدلً أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه .. فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني . فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا**..."**.[49]

وكذلك مطالبته الأمة بممارسة حق المعارضة المشروعة في وجهه فيما لو تجاوز القوانين الإسلامية أو اعتدى على حق مواطن فقتله أو اعتقله دون ذنب، حيث قال في خطبة له تحدث فيها عن الخارجي "الخريت بن ناجية" ومحاولاته السابقة لدفع الإمام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، وقول الإمام له ولعموم الناس إن من واجبهم الوقوف أمامه ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك، والقول له: "اتق الله**!**".[50]

---

[45] - المصدر، من كتاب له الى مالك الاشتر، لما ولاه على مصر، ص 433

[46] - المصدر، من كتاب له رقم 59، ص 449

[47] - المصدر، من وصيته لابنه الحسن، ص 397

[48] - المصدر، من وصية له رقم 47، ص 421

[49] - المصدر، خطبة رقم 216

[50] - جاء، في كتاب الغارات، للثقفي، ص 372، إن عبد الرحمن بن جندب نقل عن أبيه انه عندما وصل إلى الإمام علي خبر مقتل الخريت بن أرشد رئيس فرقة أو قبيلة بني ناجية الذين كانوا من الخوارج قال: "هوت أمه، ما كان انقص عقله وأجرأه على ربه، فانه جاءني مرة فقال لي: إن في أصحابك رجالا قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم؟ فقلت له: إني لا آخذ على التهمة، ولا أعاقب على الظن، ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني وأظهر لي العداوة، ثم لست مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه، فان تاب ورجع الينا قبلنا منه وهو أخونا، وان أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا بالله عليه وناجزناه، فكف عني ما شاء الله، ثم جاءني مرة أخرى فقال لي: إني خشيت أن يفسد عليك عبدالله بن وهب، وزيد بن حصين الطائي، إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما عليها حتى تقتلهما أو توثقهما، فلا يفارقان محبسك أبدا، فقلت: إني مستشيرك فيهما، فماذا تأمرني به؟ قال: إني آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما، فعلمت أنه لا ورع له ولا عقل، فقلت: والله ما أظن أن لك ورعا ولا عقلا نافعا، والله كان ينبغي لك أن تعلم أني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوته، ولم يناصبني بالذي كنت أعلمتكه من رأيي حيث جئتني في المرة الأولى ووصفت أصحابك عندي، ولقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم ان تقول لي: اتق الله، لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحدا ولم ينابذوك ولم يخرجوا من طاعتك؟" . راجع موقع:

وتمثل أيضا بإعلانه احترام حقوق المعارضة، بعد انشقاق الخوارج عنه وتكفيره بعد قبوله بالتحكيم مع معاوية، وعدم اتخاذ أي إجراء عنيف ضدهم، وتصريحه في المسجد:" إن لهم علينا ثلاثة حقوق: أن لا نمنعهم مساجد الله، ولا نقطع عنهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا، ولا نقاتلهم حتى يقاتلونا".[51]

***7-*** المال العام أمانة بيد الإمام، وتوزيعه يتم بالسوية

وتمثل نهج الامام علي بالنسبة لتوزيع المال العام، بالسوية كأسنان المشط دون تفضيل أحد على أحد، سواء كان من أهل البيت أو من المهاجرين والأنصار أو من سائر العرب والمسلمين.[52]

وكان ينظر إلى المال العام على أنه مال الله ومال الناس، كما كان ينظر اليه الخليفة الراشد عر بن الخطاب.[53] حيث كان الإمام علي شديدا في الحفاظ على المال العام واعتباره مال الله وأنه أمين عليه، كما يتضح من رسالة بعثها إلى عامله على أذربيجان، الأشعث بن قيس، قال فيها: "إن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه أمانة في عنقك، والمال مال الله، وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه إليَّ إن شاء الله، وعلّي لا أكون شر ولاتك".[54] أو قوله لعبد الله بن زمعة:" إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فان شركتهم في حربهم، كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم".[55]

وقد التزم الإمام بالأمانة على المال العام وسياسة التوزيع العادلة، بالرغم من الضغوط التي تعرض إليها في أيام الصراع مع معاوية، من أجل استغلال منصبه القيادي للتصرف بالأموال العامة في خدمة أغراضه السياسية الخاصة كشراء الذمم والولاء ورشوة المعارضة.

وذلك عندما أخذ بعض زعماء القبائل يتململون من سياسة العدل والمساواة التي اتبعها، وبدأوا يتمردون عليه ويميلون إلى معاوية الذي كان يوزع المال كيفما يشاء، فقام رجال من أصحابه فقالوا:" يا أمير المؤمنين، أعطِ هؤلاء هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي، ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه.. هذا الذي كان معاوية يصنعه بمن أتاه، وإنما عامة الناس همهم الدنيا، ولها يسعون وفيها يكدحون، فأعطِ هؤلاء الأشراف، فإذا استقام لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم". فقال الامام: "أتأمروني أن أطلبَ النصر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام؟ فو الله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم.. والله لو كان المال مالي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟!".[56]

---

http://www.yasoob.com/books/htm1/m013/11/no1119.html

[51] - ابن زنجويه، الأموال، حديث رقم 630 موقع جامع الحديث http://www.alsunnah.com
المتقي الهندي علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم 31569

[52] - السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص 100

[53] - المصدر، ص 135

[54] - الإمام علي، نهج البلاغة، كتاب رقم 5، ص 366

[55] - المصدر،كلام رقم 232

[56] - المصدر، خطبة رقم 126

وعندما سأله أخوه عقيل بن أبي طالب، ذات مرة، قائلا: إني محتاج وإني فقير فأعطني، قال له: إصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم، فألـحَّ عليه، فقال الامام لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دقّ هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت، فقال عقيل: تريد أن تتخذني سارقاً، قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم؟.[57]

وخطب الإمام بعد ذلك قائلا: "والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشئ من الحطام، وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع الى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟ والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت اليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، واتبع قياده مفارقا طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر لها (وكان عقيل أعمى) فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه! أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟ ... والله لو اعطيت الأقليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته. وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى![58]

## 8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول الإمام علي:"إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لَخُلقان من خُلُق الله سبحانه، وانهما لا يقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق".[59] "فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي".[60] "انهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي".[61] "لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به".[62]

ويمكن أن نكمل الصورة بإضافة مشهدين مهمين جدا، وهما:

9- تنازل الامام الحسن بن علي عن الخلافة لخصمه وخصم أبيه اللدود معاوية بن أبي سفيان، حقنا لدماء المسلمين، واطفاء لنيران الحرب التي أكلت الأخضر واليابس. وهذه بادرة لم تحدث في التاريخ الإسلامي. وتدل على زهد الامام الحسن بالدنيا.

---

[57] - السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص 190
[58] - الإمام علي، نهج البلاغة، فقرة رقم 224 من كلام له، ص 246 – 247
[59] - المصدر، من كلام له، رقم156، ص 219
[60] - المصدر، من خطبة له تسمى القاصعة، ص 299
[61] - المصدر، من خطبة له رقم 105، ص 152
[62] - المصدر، من خطبة له رقم 129 ص 188

10- رفض الامام الحسين بن علي لسيطرة يزيد بن معاوية على الخلافة بالقوة والإرهاب، وتلبيته لطلب أهل الكوفة بأن يصبح إماما عليهم، بالطوع والرضا والسلام. ومقاومته لأخذ البيعة منه ليزيد بالاكراه، واستعداده للتضحية بنفسه وأولاده والشهادة في سبيل الله، مما ترك أثرا روحيا تاريخيا عظيما في كيان الشيعة عبر التاريخ.

**هذه هي أهم ملامح نهج الامام علي في الحياة، بغض النظر عن أفضليته على سائر الصحابة، أو عدم ذلك، وبغض النظر عن وجود نص عليه من النبي الاكرم (ص) بالامامة، أو لا. وهي ملامح تشكل جوهر الإسلام، كما تشكل جوهر التشيع الحي المستمر الذي تمنح من يلتزم بها صفة (التشيع) وتسلب ممن يتجاوزها ذلك اللقب الشريف.**

لقد كان التشيع أو الولاء للامام علي ذا معنى في حياته، وأما بعد رحيله من هذه الدنيا فلا يمكن أن يتحقق الا بمعنى الحب والاقتداء، وهو ما كان يوجد في قلوب المؤمنين في كل زمان ومكان، بغض النظر عن عنوان (الشيعة والتشيع). ولم يكن التشيع عقيدة دينية مستقلة أو مضافة الى الإسلام، أو شرطا من شروط التوحيد، وذلك لأن المهم في الإسلام هو توحيد الله واتباع السنة النبوية، وإقامة الحق والعدل، والزهد في الدنيا، ومكافحة الظلم والظالمين، سواء عرف الانسان الامام علي أو لم يعرفه. ولكن (التشيع) عبر التاريخ اتخذ مفاهيم أخرى متعددة دارت حول سلالة الامام علي، ومحاولة بعض أحفاده استغلال صورته التاريخية للهيمنة على الناس دينيا وسياسيا، وتأليف (عقيدة دينية شيعية إمامية) وتأسيس ما يشبه الكنيسة المسيحية في احتكار تفسير الدين وربط الناس بأشخاص (الأئمة من السلالة العلوية).

وقد قامت هذه العقيدة الامامية المغالية بالأئمة، بتأويل آيات من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية، بصورة تعسفية، وقراءة التاريخ الإسلامي الأول قراءة جديدة، وكتابته بصورة مغايرة، فاتخذت مواقف سلبية من خيار الصحابة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واضطرت أحيانا للادعاء بتحريف القرآن دعما لعقيدتها الجديدة المبتدعة التي لا يوجد عليها أي نص في القرآن الكريم.

ورغم أن الغلو بالأئمة كان يعتبر انحرافا عن الإسلام والتشيع، الا أن الغلاة كانوا يروجون الى عقيدتهم، ويدعون أن الولاء (العقدي) للأئمة يكفي للخلاص يوم القيامة، ودخول الجنة، كما يقول النصارى بالنسبة للإيمان بالمسيح للخلاص يوم الدينونة. وراح بعض الغلاة يبيع صكوك الغفران بقطرة من الدمع على الامام الحسين، أو زيارة قبر من قبور الأئمة.

## انقراض نظرية الإمامة: وهم الولاية والتشيع

ظهرت نظرية الامامة الدينية في بداية القرن الثاني الهجري، ونسبت الى الامام محمد الباقر، ولكن بصورة سرية، وواجهت خلال مائة عام من ولادتها عقبات كأداء، أدت الى تشعب القائلين بها الى فرق عديدة، ثم وصلت في منتصف القرن الثالث الهجري، الى طريق مسدود، بوفاة الحسن العسكري سنة 260 دون خلف، مما أدى الى انهيارها وتلاشيها، بالرغم من افتراض بعض فلولها وجود ولد مخفي للعسكري، وتأسيس (المذهب الاثني عشري) على أساس تلك الفرضية.

واذا استثنينا الحكام الاسماعيليين الذين ظهروا في نهاية القرن الثالث الهجري، وادعوا الانتماء للنسب العلوي، واقاموا الدولة الفاطمية، التي استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري، فان الشيعة افتقدوا منذ ذلك الحين، وجود أئمة من السلالة العلوية الحسينية، يجسدون نظرية الامامة، ويقودون الشيعة وعامة المسلمين، حسبما يفترض.

ولم يبق من نظرية الامامة، الا الولاء الوهمي للأئمة (الاثني عشر) وبعض المخلفات الفكرية مثل الغلو بالأئمة بدرجات متفاوتة- يصل بعضها الى حد الشرك بالله، كالقول بالولاية التكوينية للأئمة، والقول بتحريف القرآن، أو تأويله بصورة تعسفية، دعما لنظرية الامامة، والموقف السلبي من خيار الصحابة "الذين اغتصبوا حق الامام علي بالخلافة". وهي مخلفات سلبية أضرت الشيعة عبر التاريخ ولم تنفعهم بشئ.

وفي ظل هذا الفراغ (الإمامي) نشأت (المرجعية الدينية) وهي وإن تخلت عن أهم أعمدة الفكر الامامي كشرط السلالة العلوية والعصمة والنص على الامام، واعتمدت بدلا من ذلك على الفقه والعدالة والاجتهاد، الا أنها حاولت في بعض الأحيان تشكيل ما يشبه الكنيسة المسيحية، أيضا، وذلك بفرض (التقليد) والقول بإبطال عبادة من (لا يقلد) وصولا الى القول (بولاية الفقيه) واعتبار (الفقيه نائبا عاما) عن (الامام الثاني عشر الغائب).

وبالرغم من تبني الشيعة مؤخرا لنظرية الشورى أو الديمقراطية، والتوحد مع عامة المسلمين، فانهم لا يزالون يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى في مسيرة التحرر من مخلفات نظرية الامامة، والمرجعية الدينية، حيث لا تزال دعاوى بعض المراجع بامتلاك الشرعية الدينية، باعتبارهم (نوابا عامين عن الامام المهدي) وأولياء أمور المسلمين في (عصر الغيبة) تؤسس لنوع من الديكتاتورية الدينية، وعقبة أمام التطور الديمقراطي.

**التفكير داخل الصندوق الامامي: الأزمة الاخبارية**

ان من يقرأ تاريخ التشيع خلال القرون الأربعة عشر الماضية، يجد بسهولة ووضوح عدة نسخ من التشيع، كالتشيع الأول السياسي، ثم التشيع الزيدي، ثم التشيع الديني، الذي تفرع الى إسماعيلي واثني عشري، ثم التشيع المرجعي، وأخيرا التشيع الديمقراطي. كما يجد أيضا أنواعا أخرى من التشيع المعتدل والمتطرف، والحي والمنقرض، والعقلاني والخرافي، والأصولي والأخباري، والوحدوي والانعزالي، والاجتماعي والفردي، والمؤمن والمنافق، والشعبي والسلطاني، والعربي والفارسي، والثوري المناضل والمستسلم الخانع. والحاكم والمعارض المحكوم، وهو ما يدل على أن كل نوع من التشيع، يعبر عن البيئة والظرف الاجتماعي والزمني الخاص به، وليس بالضرورة نابعا من ثقافة أئمة أهل البيت وسيرتهم المجيدة. إذ لا يعقل أن تنتمي كل هذه النماذج المتناقضة الى مصدر واحد، وانما يعبر كل نوع وكل جيل وكل تيار عن نفسه ومصالحه وأفكاره، ويغطيها بشعارات (شيعية).

وبالرغم من أننا نعيش اليوم، بصورة عامة، نوعا من التشيع العقلاني الثوري الوحدوي الديمقراطي (الذي يؤمن بمبدأ الشورى) الا أن كثيرا ممن يحسبون أنفسهم شيعة، ويعتقدون بأنهم (الفرقة الناجية) لا يعرفون حقيقة مذهب أهل البيت، ولا يستطيعون التمييز بين الفكر الشيعي الأصيل، والنظريات الدخيلة المناقضة له.

ومن هنا كان من الضروري دراسة تاريخ التشيع بعمق وبدقة، ومن خارج صناديق المذاهب المختلفة التي تدعي التشيع. وبكلمة أخرى: لا يمكن معرفة التشيع الحقيقي الأصيل من خلال تراث كل مذهب سواء كان زيديا، أو اماميا، أو اثني عشريا، أو مرجعيا، وانما لا بد من قراءة التراث الشيعي الإجمالي بصورة محايدة وموضوعية، والنظر الى ما يوجد فيه من عناصر حيوية وإيجابية، وعناصر سلبية خرافية متطرفة ودخيلة.

ولا أقول كما قال القاضي الإيراني أحمد كسروي (1945) الذي اصطدم بنظرية الامامة الدينية، فدعا الى ترك التشيع بالمرة، وانتقد الامامين الباقر والصادق، بناء على ظنه باختراعهما لتلك النظرية، ولم يأخذ في حسبانه تأليف الغلاة لها ونسبتها اليهما. وقد وجد بعض الوهابيين المعاصرين كسلمان بن فهد العودة، وناصر بن عبد الله القفاري، في دعوة كسروي لترك التشيع بصورة كاملة، مادة لمواجهة الثورة الشيعية الديمقراطية العقلانية المعاصرة.[63] كما قام

---

[63] - يقول محققا الكتاب السعوديان وناشراه عام 1988 ناصر بن عبدالله القفاري وسلمان بن فهد العودة: "يرى الكسروي أن الرافضة قد انحرفوا بالتشيع الى الغلو في حب علي، ومعاداة أبي بكر وعمر وعثمان بدعوى أن عليا كان أحق بالخلافة منهم، وكان هذا الانحراف يشتد بمرور الزمن، وكان التشيع يتطور من جهاد سياسي الى عقائد مفرطة. ويتحدث عن غلو الشيعة في أئمتها، وآثار هذا الغلو في انفصال الشيعة عن المسلمين، واستقلالهم بعقائدهم وأحكامهم الخاصة. ويذكر أن شذوذهم هذا دفعهم الى وضع أحاديث

بعض من رفض نظرية الامامة كالشيخ حسين المؤيد، بإعلان التخلي عن التشيع والتحول الى المذهب السني بصيغته الوهابية السعودية.

وقد فات هؤلاء بأن الشيعة المعاصرين قد تخلوا عمليا عن نظرية الامامة الدينية، وتبنوا النظام الديمقراطي، الأقرب الى الفكر السني، بالرغم من إيمانهم النظري بها.

وفي الحقيقة ان نظرية الامامة الدينية التي تقوم على حق السلالة العلوية الحسينية، بالحكم، لم تكن معروفة في زمن الجيل الأول في عهد الامام علي وابنيه الحسن والحسين، الذين بايعوا حكام زمانهم، من أبي بكر وعمر وعثمان حتى معاوية بن أبي سفيان، الذي تنازل له الحسن عن الحكم بعد أن أصبح خليفة وبايعه الناس. وعندما ظهرت هذه النظرية في بداية القرن الثاني الهجري، في زمن الامام محمد بن علي الباقر، فانها ولدت بصورة سرية مخالفة لسيرة ذلك الامام الذي كان يبايع حكام زمانه من الأمويين، ولم يخرج عليهم، ولم تنتشر الا بصورة محدودة وسرية في أوساط بعض الغلاة (الرافضة). ولم تكن متماسكة ولا واضحة ولا متبلورة بصورة جيدة، ولا سيما في طريقة معرفة الشيعة للامام بعد الامام، مما ادى الى تفرق الشيعة خلال القرن الثاني الهجري الى عدة فرق، ثم وصلت النظرية الى طريق مسدود بوفاة الحسن العسكري (260) دون خلف ظاهر، مما أدى الى انهيارها بالكامل وزوالها من الوجود.

وبالرغم من ظهور سلالة علوية أخرى في أواخر القرن الثالث الهجري، كانت مختفية أكثر من قرن، ادعت الانتماء الى إسماعيل بن جعفر الصادق، وقامت بتأسيس الدولة الفاطمية في شمالي أفريقيا، الا أنها لم تتمتع بالهالة الدينية والعلمية التي كان يضفيها الاماميون الاثنا عشريون على الباقر وأحفاده.

وبما أن الدولة الفاطمية (298 -567هـ = 909 – 1171م) كانت تشكل تهديدا للدولة العباسية، فقد ارتأى الخلفاء العباسيون في القرن الرابع الهجري دعم تأسيس مذهب (إمامي) في مواجهتها، وهو ما عرف لاحقا (بالمذهب الاثني عشري) الذي قام على افتراض وجود ولد غائب للحسن العسكري، هو (الامام الثاني عشر) وانه المهدي المنتظر. ولكن هذا المذهب ولد ميتا، وذلك لعدم وجود إمام حي ظاهر يقوده في معترك الحياة، سياسيا وفكريا وفقهيا، واكتفى مؤسسو المذهب بالعيش على فتات الأحاديث الواردة عن الأئمة السابقين، وانتشر بينهم

---

عن النبي (ص) وتأويل آيات من القرآن، وتحريف أخبار الوقائع. ثم يتحدث عن دعوى الشيعة غيبة إمامها الثاني عشر، ويبين بالادلة القوية العقلية والتاريخية أن تلك خرافة، ويقول ان التعصب كان قد أعمى قلوب الشيعة".

مقدمة المحققين والمعلقين العودة والقفاري، ص 48 كتاب (التشيع والشيعة) لأحمد كسروي (1945) طبعة 1988

القول المنسوب للامام الغائب: "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة أحاديثنا، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله".[64]

وبما أن الأحاديث الواردة عن الأئمة كانت متناقضة وغير موثقة، وغير كافية، فقد اضطر علماء المذهب الاثني عشري الى فتح باب الاجتهاد، فكتب الشيخ الطوسي كتاب (المبسوط).

وبعد هذا التطور، لم يعد ثمة فارق كبير بين ما يسمى بالشيعة وبين أهل السنة، لأن الشيعة الاثني عشرية كانوا يدينون بالولاء للخلفاء العباسيين، ويحرمون الثورة عليهم، ويمارسون الاجتهاد كبقية أئمة أهل السنة.

ومع مرور الزمن بدأ فقهاء الشيعة يمارسون دور (الامام) تدريجيا في المجتمع الشيعي، فبدأوا يجبون الخمس، ويتخذون مواقف سياسية، بدعوى أنهم (نواب عامون عن الامام الثاني عشر الغائب محمد بن الحسن العسكري). وهكذا ولد (المذهب المرجعي) الذي اختلف جذريا عن (المذهب الامامي) من حيث أنه لا يشترط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في المرجع - الامام، ويكتفي بالفقه والعدالة، ويقوم على (تقليد) الناس للمرجع (الامام).

ثم تطور (المذهب المرجعي) الى نظرية (ولاية الفقيه) التي تستند الى (الشورى) واختيار الأمة للامام بصورة ديمقراطية، كما حدث في الجمهورية الإسلامية الايرانية، وبلغ التطور الديمقراطي أقصاه في قيام النظام الجمهوري العراقي الذي اشترك فيه ما يسمى بالسنة والشيعة، وابتعد حتى عن نظرية ولاية الفقيه.

وهكذا لم يبق من (الشيعة والتشيع) الا الاسم التاريخي وبعض المسائل الفقهية، والطقوس والمشاعر والعواطف والعقد والأساطير.[65]

وبالرغم من التطور الديمقراطي الجذري والكبير الحاصل في الفكر السياسي الشيعي الا ان "الاعتقاد" بنظرية الامامة الدينية لأهل البيت، ولو على المستوى النظري، أثر ويؤثر سلبا على الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية للشيعة، ويتمثل الضرر بالنقاط التالية:

1- الابتعاد عن القرآن الكريم، وتأويله بصورة تعسفية، أو القول بتحريفه.
2- الابتعاد عن مبدأ التوحيد، والغلو بالأئمة والوقوع في الشرك بالله.
3- إضافة مصدر تشريعي جديد (أهل البيت) الى القرآن والسنة.

---

[64] - الطبرسي احمد بن علي بن أبي طالب (القرن الخامس)، الاحتجاج على أهل اللجاج، ج2 ص 283

[65] - نحن نتحدث هنا عن (الشيعة الامامية الاثني عشرية) الذين يشكلون غالبية الشيعة اليوم، ولا نتحدث عن الشيعة الزيدية الذين كان لهم تاريخ مستقل من التطور، ولا عن الشيعة الإسماعيلية الذين يتميزون أيضا بخواص معينة. وسوف نتحدث عنهما في أجزاء أخرى مستقلة.

4- الابتعاد عن العقل والمنطق السليم في التفكير.
5- العنف والكراهية للسابقين الأولين من الصحابة الكرام.
6- الانعزال وتفريق المسلمين.
7- التخبط في الأحكام الفقهية، بسبب الأحاديث المتناقضة الواردة عن الأئمة باسم التقية.
8- تعطيل بعض أحكام الدين بحجة انتظار الامام الغائب.
9- التخدير السياسي، بحجة انتظار الامام المهدي.
10- الوقوع في الاستبداد والديكتاتورية (الدينية)
11- الايمان بالخرافات والأساطير باسم (المعاجز)

وهذا ما يحتم العودة للقرآن الكريم والعقل والعلم وتعزيز الثقافة الديمقراطية والوحدة الإسلامية. وهذا لن يتم الا بعد دراسة التراث الشيعي، ومعرفة مذهب أهل البيت الحقيقي والصحيح، وهو ما نحاول أن نقوم به في هذا الكتاب، ونأمل أن يوفقنا الله في ذلك.

## الباب الأول: الفكر السياسي الشيعي الأول

### ف1 الفكر السياسي للامام علي وابنيه الحسن والحسين

قبل أن نتعرف على الفكر السياسي للامام محمد الباقر، يجدر بنا القاء بعض الضوء على فكر أجداده الامام علي بن ابي طالب والحسن والحسين، وكذلك فكر والده زين العابدين علي بن الحسين، ومقارنته بنظرية الامامة الإلهية.

نستطيع التعرف على فكر أئمة أهل البيت الأوائل من خلال أمرين: سيرتهم وأقوالهم، فان سيرتهم تخبرنا أنهم بايعوا خلفاء زمانهم، فقد بايع الامام علي الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وكما يقول الإمام محمد الباقر: إن الإمام علي لم يدع الى نفسه ، وإنه أقر القوم على ما صنعوا وكتم أمره.[66]

كما بايع الحسن والحسين معاوية، وبايع زين العابدين يزيد بن معاوية. واذا كانت بيعة الأخير ليزيد تحت الاكراه والتهديد بالقتل، بعد قتل والده الحسين في كربلاء، فان الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية، بعد أن بايعه المسلمون، ودعا

[66]- الكليني، الكافي، الروضة ، ص 246

شيعته بما فيهم أخاه الحسين لمبايعة معاوية. وأما الامام علي فقد تلكأ ستة أشهر عن بيعة أبي بكر، ثم بايعه طوعا، بعد حدوث الردة، وبايع عمر، ثم دخل في الشورى التي عينها عمر، والمؤلفة من ستة من زعماء البيوتات القرشية المهاجرين، التي أسفرت عن انتخاب عثمان بن عفان.

وأما أقوالهم فهي تكشف عن شعورهم بالأولوية في الحكم باعتبارهم أقرب الناس الى رسول الله من سائر البيوتات القرشية، دون أي ادعاء بحق إلهي في الحكم، خلافا لنظرية الامامة الإلهية.

وإذا كان الإمام علي قد أمسك يده عن بيعة أبي بكر لفترة من الوقت، فلأنه كان يشعر بأنه أولى منه بالخلافة، وقد عبر عن ذلك بقوله: "إنهم احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة".[67] ولكنه عاد فبايع أبا بكر، خصوصا بعد حدوث الردة، حيث مشى إليه عثمان بن عفان فقال له:" يا ابن عم انه لا يخرج أحد إلى قتال هؤلاء وأنت لم تبايع" فأرسل إلى أبي بكر أن يأتيه، فأتاه أبو بكر فقال له:" والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير، ولكنا كنا نظن أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" وخاطب المسلمين قائلا: "إنه لم يحبسني عن بيعة أبي بكر ألا أكون عارفا بحقه، ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" ثم بايع أبا بكر، فقال المسلمون:"أصبت وأحسنت".[68]

واقصى ما قاله الامام علي لاخوانه من أهل الشورى العمرية: "لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ". [69]

---

[67] - الإمام علي، نهج البلاغة ، ص 98

[68] - المرتضى، الشافي، ج 3 ص 242 وهناك روايات أخرى يذكرها الشريف الرضي في "نهج البلاغة" توحي بشعور الإمام علي بالأولوية بالخلافة، مثل قوله:" اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فانهم قد قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري". (المصدر خطبة رقم 217) وقوله لرجل من بني أسد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:يا أخا بني أسد... أما الاستبداد بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا والأشد برسول الله (ص) نوطا، فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين". (المصدر، خطبة رقم 162) وخطبة الشقشقية التي قال فيها:"أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا.." (خطبة رقم 3) وقوله: "إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ؛ لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم". (خطبة رقم 144) وبغض النظر عن المناقشة في سند نهج البلاغة، أو سند هذه الخطب، فانها تشير إلى شعور الإمام علي بأولويته بالخلافة وأحقيته بها، ولا تشير إلى مسألة النص على الإمام علي من الرسول، أو تعيينه خليفة من بعده.

[69]- نهج البلاغة، خطبة 74

ولم يقل لهم: ان النبي قد عينني خليفة له عليكم في غدير خم ولا في أي مناسبة أخرى.

وعندما قتل عثمان وجاءه الثوار يطالبونه بالبيعة قال لهم: "انما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضى".[70]

وعندما جاءه المهاجرون والأنصار يطالبونه بتولي الخلافة ، دفعهم ، وقال لهم: " دعوني والتمسوا غيري، واعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميرا". [71]

ان هاتين الخطبتين اللتين يرويهما الشريف الرضي في (نهج البلاغة) تتعارضان مع الخطبة المعروفة بالشقشقية، التي يقول فيها الامام علي: "أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا اِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى" فان ذلك قد تم بناء على الشورى واختيار المهاجرين والأنصار لأبي بكر، سواء كان الامام علي أفضل منه أولا، ولم يكن ثمة مبرر لمعارضته بالسلاح أو بغير السلاح.

ورغم كل الملاحظات على صيغة الشورى العمرية، فان من المستبعد أن يتكبر الامام علي ويحتقر اخوانه وزملاءه في الشورى من المهاجرين الأولين، ويعبر عنهم بكلمات غير لائقة، كما ورد في الفقرة التالية من الخطبة الشقشقية: "مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ **حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ**، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ **بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ** وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ".

وعلى أي حال، فان الفقرة الأخيرة من الخطبة تكشف عن منطلق الامام علي للتصدي للخلافة، وهو تحمل المسؤولية: **"أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا**

---

[70]- نهج البلاغه ج3 ص7 ط بيروت تحقيق محمد عبده وص367 تحقيق صبحي الصالح .

[71]- نهج البلاغة :الخطبة 93

**يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عفطة عنزٍ".** وكما هو واضح فان الامام علي يصف الخلافة بالدنيا، ويعبر عن زهده فيها، دون أن يشير الى وجود النص عليه من الله.

واذا كان الامام علي، ينتقد صيغة الشورى العمرية، فانه لم ينتقد مبدأ الشورى، وذلك لأنه يعبر في رواية أخرى عن إيمانه العميق بنظرية الشورى وحق الأمة في اختيار الإمام ، حيث يقول في رسالة له:" الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل .. أن لا يعملوا عملا ولا يحدثوا حدثا ولا يقدموا يدا ولا رجلا ولا يبدؤا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضاء والسنة". [72] ويقول في خطبة له: " أيها الناس.. إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه".[73] "وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل، فيضلهم بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة".[74]

وعندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ، دخل المسلمون عليه، وطلبوا منه أن يستخلف ابنه الحسن ، فقال:" لا ، انا دخلنا على رسول الله فقلنا: استخلف، فقال: لا ، أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم" . وسألوه أن يشير عليهم بأحد ، فما فعل ، فقالوا له: إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن . فقال:" لا آمركم ولا أنهاكم .أنتم أبصر". [75]

وذكر المؤرخون: انه لما توفي الإمام علي خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الى الناس فقال: إن أمير المؤمنين توفي ، وقد ترك خلفا ، فان أحببتم

---

[72]- كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص 182

[73] - الإمام علي، نهج البلاغة ، خطبة رقم 173

[74] - الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 131

[75]- الشريف المرتضى، الشافي، ج 3 ، ص 295 ، والمرتضى، تثبيت دلائل النبوة، ج 1 ، ص 212 و ابن ابي الدنيا، مقتل الامام أمير المؤمنين، ص 43

خرج إليكم ، وان كرهتم فلا أحد على أحد .فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا. [76] وقد قام الإمام أمير المؤمنين (ع) بالوصية الى الإمام الحسن وسائر أبنائه، ولكنه لم يتحدث فيها عن الإمامة أو الخلافة، حيث كانت وصيته شخصية وروحية وأخلاقية. [77]

واذا ما رجعنا الى وصية الامام علي الخاصة بأمواله، والتي كتبها في طريقه الى العراق، والتي نقلها الكليني في (الكافي) عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: بعث إلي أبو الحسن موسى (ع) بوصية أمير المؤمنين (ع) وهي:
"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ويصرف النار عنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه:... فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي ... وإن حدث بحسن حدث وحسين حي فإنه إلى الحسين بن علي ... وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما ينظر في بنى علي، فان وجد فيهم من يرضى بهداه واسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فان وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذووا آرائهم فإنه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم ... شهد أبو سمر بن برهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين". [78]

وكذلك اذا نظرنا الى وصية السيدة فاطمة الزهراء (ع) والتي ينقلها الكليني أيضا، وهي: "عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): ألا أقرئك وصية فاطمة عليها السلام؟ قلت: بلى، قال فأخرج إلى صحيفة: هذا ما عهدت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) في مالها إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإن مات فإلى الحسن وإن مات فإلى الحسين فان مات الحسين فإلى الأكبر من ولدى دون ولدك ...". [79]

---

[76]- المسعودي، مروج الذهب، ج 2 ، ص 44 وابن كثير ، البداية والنهاية، ج 8 ، ص 13، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 4 ، ص 8 و ج 16 ، ص 22

[77]- المفيد، الارشاد، ص 187 و الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا، مقتل الامام أمير المؤمنين، ص 41 – 42 ، تحقيق مصطفى القزويني، مركز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت

[78]- الكليني، الكافي، ج 7 ص 49 -51

[79]- الكليني، الكافي، ج 7 ص 49 -51

فاننا لا نجد في الوصيتين أية إشارة الى فكرة الامامة أو حصرها في السلالة العلوية الحسينية والاثني عشرية.

واذا ما انتقلنا الى الامام الحسن، فان فكره السياسي يبتدئ من لحظة توليه الخلافة بعد أبيه، وقد تمت على أساس الشورى والبيعة، وكما قلنا قبل قليل، انها لم تقم على النص من الامام علي بولاية العهد له، وبالطبع لم يدع هو أي نص عليه من الله ولا من رسول الله.

واذا صدقنا ما نقله أبو الفرج الاصفهاني في القرن الرابع الهجري، في كتابه (مقاتل الطالبيين) فان الامام الحسن أشار في رسالة له الى معاوية، الى "سلطان محمد" الذي تنازعته العرب "فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه... فأنعمت لهم العرب وسلمت ذلك، ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاجت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها إنهم اخذوا هذا الامر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد وأوليائه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا". ولكن الحسن لم يتحدث عن أي حق إلهي بالحكم، وانما يقول: "إن عليا (رضوان الله عليه) لما مضى لسبيله ... **ولاني المسلمون الأمر بعده** ".[80]

وبما أن الخلافة لم تكن "إلهية" فقد قام الامام الحسن، بعد ما بايعه الناس، بالتنازل عنها الى معاوية، واشترط عليه العودة بعد وفاته الى نظام الشورى، حيث قال في شروط الصلح: "...على انه ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد الى أحد من بعده، بل يكون الأمر شورى بين المسلمين" . [81]

وهكذا نجد ذات الفكر السياسي عند الإمام الحسين الذي خرج على يزيد بن معاوية سنة 60 للهجرة، حيث لا توجد أية آثار لنظرية النص في رسائله الى شيعة الكوفة، ولم يكن يطالب بالخلافة كحق شخصي له "لأنه ابن الإمام علي أو انه معين من قبل الله". ولذلك فانه لم يفكر بنقل "الإمامة" الى أحد من ولده ، ولم يوص الى ابنه الوحيد الذي ظل على قيد الحياة (علي زين العابدين)، وإنما

---

[80]- الاصفهاني، أبو الفرج (284-356) مقاتل الطالبيين 35-36

[81]- المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 65 ، باب : كيفية المصالحة، من تاريخ الامام الحسن المجتبى.

أوصى الى أخته زينب أو ابنته فاطمة ، وكانت وصيته عادية جدا تتعلق برعاية الأطفال، ولا تتحدث أبدا عن موضوع الإمامة والخلافة. [82]

لقد كان أئمة أهل البيت يعتقدون بحق الأمة الإسلامية في اختيار حكامها، وبضرورة ممارسة الشورى، ويرفضون الاستيلاء على السلطة بالقوة. ولعلنا نجد في الحديث الذي يرويه محمد بن علي بن بابويه الصدوق (381هـ) عن الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن أبيه عن جده رسول الله (ص) والذي يقول فيه: " من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتولى من غير مشورة فاقتلوه ، فان الله عز وجل قد أذن ذلك ".[83] لعلنا نجد في هذا الحديث أفضل تعبير عن إيمان أهل البيت بالشورى والتزامهم بها. ولئن كانوا يدعون الناس الى اتباعهم والانقياد إليهم فإنما كانوا يفعلون ذلك إيمانا بأفضليتهم وأولويتهم بالخلافة في مقابل الحكام الذين كانوا لا يتبعون الكتاب ولا يقيمون القسط ولا يدينون بالحق .

**اعتزال الامام زين العابدين للسياسة**

وبما أن مسألة الامامة كانت مسألة دنيوية سياسية، فقد اعتزل علي بن الحسين السياسة، ولم يدِع الإمامة، ولم يتصد لها، وكما يقول الشيخ محمد بن علي الصدوق: "فانه انقبض عن الناس فلم يلق أحدا ولا كان يلقاه إلا خواص أصحابه، وكان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلا يسيرا" . [84]

وقد بدأت عزلة الامام زين العابدين مباشرة بعد مجزرة كربلاء، حيث أخذ أسيرا الى الشام، وأجبر على أن يبايع يزيد على انه عبد ، كما يقول الكليني في رواية له عن بريد بن معاوية قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: إن يزيد بن

---

[82]- راجع : الصدوق، الامامة والتبصرة من الحيرة، ص 198، والصفار، بصائر الدرجات، ص 148 و 198

[83]- الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

[84]- الصدوق، اكمال الدين، ص 91

معاوية ... بعث إلى رجل من قريش فأتاه فقال له يزيد: أتقر لي أنك عبد لي، إن شئت بعتك وإن شئت استرقيتك فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت بأكرم مني في قريش حسبا ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل مني في الدين ولا بخير مني فكيف أقر لك بما سألت؟ فقال له يزيد: إن لم تقر لي والله قتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إياي بأعظم من قتلك الحسين بن علي ابن رسول الله (ص) فأمر به فقتل. ثم أرسل إلى علي بن الحسين (ع) فقال له: مثل مقالته للقرشي فقال له علي بن الحسين (ع) :أرأيت إن لم أقر لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس؟ فقال له يزيد لعنه الله: بلى فقال له علي بن الحسين (ع): قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع. فقال له يزيد لعنه الله: أولى لك حقنت دمك ولم ينقصك ذلك من شرفك.[85]

ونتيجة لذلك اتخذ زين العابدين موقفا سلبيا من الحركات الشيعية الثورية، وقال في (رسالة الحقوق): ان "حق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتلى فيك بما جعل الله عز وجل له عليك من السلطان، وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه، فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكا له فيما يأتي إليك من سوء". [86]

---

[85]- الكليني، الكافي ج 8 ص 235
ذكر اليعقوبي في كتابه التاريخ ج 2 ص 251:
وفي تاريخ اليعقوبي أنه قال: " اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد ابن معاوية، وقتل أهل الحرة فإني إذا لشقي " . تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 251 النص ( ثم اخذ الناس على ان يبايعوا على انهم عبيد يزيد بن معاويه . فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال : بايع ايه انك عبد قن ليزيد فيقول: لا ؟ فيضرب عنقه . فاتاه علي بن الحسين فقال : علام يريد يزيد ان ابايعك ؟ قال على انك اخ وابن عم . فقال وان اردت ان ابايعك على اني عبد قن فعلت؟ فقال ما احشمك هذا فلما رأى الناس اجابة علي بن الحسين قالوا : هذا ابن رسول الله بايعه على ما يريد . فبايعوه على ما اراد وكان ذلك سنه 62 .

[86]- الصدوق، الامالي، مجلس رقم 59 ص 452 رسالة الحقوق . وروى الصدوق أيضا روايات مشابهة عن موسى الكاظم يأمر فيها بطاعة السلطان :
٥٥٣ / ٢٠ - حدثنا محمد بن علي بن بشار (رضي الله عنه)، قال: حدثنا علي بن إبراهيم القطان، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، قال: حدثنا أحمد بن بكر، قال: حدثنا محمد بن مصعب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال :قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله عز وجل ودخل في نهيه، إن الله عز وجل يقول: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)
٥٥٤ / ٢١ - حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عنه)، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، قال: حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، عن أبيه إسماعيل، عن أبيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنه قال لشيعته: يا معشر الشيعة، **لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلا فاسألوا الله إبقاءه،**

وعندما قام المختار بن عبيد الثقفي بحركته في الكوفة عام 66، كتب الى علي بن الحسين يريده على أن يبايع له ويقول بإمامته ويظهر دعوته ، فأبى أن يجيبه عن كتابه ، فلما يئس المختار منه كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك، واخذ يدعو الى إمامته. وقد استلم محمد بن الحنفية قيادة الشيعة فعلاً ، ورعى قيام دولة المختار بن عبيدة الثقفي في الكوفة .

وفي مقابل ذلك تعززت علاقة زين العابدين بالحكام الأمويين، ولاسيما في عهد عبد الملك بن مروان، الذي كتب إلى واليه على الحجاز الحجاج بن يوسف الثقفي، كتابا يقول فيه: "جنبني دماء بنى عبد المطلب فاني رأيت آل أبي سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا بعدها الا قليلا". فكتب علي بن الحسين الى عبد الملك قائلا بأنه رأى رسول الله (ص) في منامه وأنه أخبره بأن عبد الملك قد زيد في ملكه برهة من دهره لكفه عن بني هاشم. [87]

وبناء على علاقته الإيجابية مع الأمويين، قام بتأييد الفتوحات التي كانت تجري في أيامهم، كما نشاهد ذلك في دعاء (أهل الثغور) الوارد في (الصحيفة السجادية)، وهو كما يلي:

- "أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ ..
أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مَؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعْنِهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ ..
أَللَّهُمَّ اغزُ بِكُلِّ نَـاحِيَـة مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِـإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَة مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُـوهُمْ إِلَى مُنْقَطَع التُّـرابِ قَتْـلاً فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ...
أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَاز غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ أَوْ مُجَاهِد جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاع سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الاعْلَى وَحِزْبُكَ الاقوَى وَحَظُّكَ الاوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ

---

**وإن كان جائرا فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم** (٣.(
الصدوق، الأمالي، ص 418 المجلس 54

[87]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 417 حدثنا عمران بن موسى حدثني أبو الحسن موسى بن جعفر عن علي بن معبد عن علي بن الحسين عن علي بن عبد العزيز عن أبيه قال أبو عبد الله...

الامْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الاصْحَابَ، وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الاهْلِ وَالْوَلَدِ وَأَثُرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ وَتَوَلَّه بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحِبْهُ السَّلاَمَةَ، وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإقَامَتَهُ فِيْكَ وَلَكَ، فَإذا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ وَصَغِّرْ شَأنَهُمْ فِي قَلْبِهِ وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ وَلاَ تُدِلْهُمْ مِنْهُ فَإنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ وَبَعْدَ أنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الاسْرُ وَبَعْدَ أن تَأمَنَ أطرَافُ المُسْلِمِينَ وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ.

أللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيْهِ فِيْ غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَة مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَاد، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَاد، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً.

فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْن وَمِثْلاً بِمِثْل وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَى به، إلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إلَى مَا أَجْرَيْتَ لَـهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ.

أللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم أَهَمَّهُ أَمْرُ الإسْلاَمِ وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ ألشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً أَوْ هَمَّ بِجهَـاد فَقَعَدَ بِـهِ ضَعْفٌ أَوْ أَبطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إرَادَتِهِ مَانِعٌ، فَاكْتُبِ اسْمَـهُ فِي الْعَابِـدِينَ وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَـدَآءِ وَالصَّالِحِينَ. أللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّد صَلاَةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلاَةً لاَ يَنْتَهِي أَمَدُهَا وَلا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَـا كَأَتَمِّ مَـا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَد مِنْ أَوْلِيـآئِكَ، إنَّـكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الفَعَّالُ لِمَا تُرِيْد".

ولم يعرف عن الامام زين العابدين أي حديث عن (الامامة الإلهية) أو النص على جده الامام علي بن ابي طالب (ع) ولذلك فقد قدم صورة عامة عن (الامام) والملامح والصفات التي ينبغي توافرها فيه – كما في رواية للصدوق عن الرضا أنه قال- : قال علي بن الحسين : "إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته فرويدا لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخا لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه، وإذا

وجدتموه يعف عن المال الحرام، فرويدا لا يغرنكم! فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبوا عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوها قبيحة، فيأتي منها محرما، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويدا لا يغرنكم، حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله فإذا وجدتم عقله متينا فرويدا لا يغركم! تنظروا أمع هواه يكون على عقله أم يكون مع عقله على هواه وكيف محبة للرياسات الباطلة وزهده فيها فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلبا للرياسة حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رياسة التي قد شقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا مهينا، ولكن الرجل كل الرجل. نعم الرجل هو: الذي جعل هواه تبعا لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفذ، وأن كثيرا ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول فذلكم الرجل نعم الرجل فيه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا وإلى ربكم فتوسلوا فإنه لا ترد له دعوة ولا يخيب له طلبة ".[88]

وكان موقف الامام زين العابدين إيجابيا من الصحابة، كما يظهر في دعائه الرابع في (صحيفته السجادية) في الصلاة على أتباع الرّسُلِ ومصدّقيهم:

- "اَللَّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الاَرْضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالاسْتِيَاقِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الايْمَانِ.
فِي كُلِّ دَهْر وَزَمَان أَرْسَلْتَ فِيْهِ رَسُولاً، وَأَقَمْتَ لاهْلِهِ دَلِيلاً، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى، وَقَادَةِ أَهْلِ التُّقَى عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلاَمُ، فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَة وَرِضْوَان.
اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّد خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ واسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حجَّةَ رِسَالاَتِهِ، وَفَارَقُوا الازْوَاجَ وَالاوْلادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الاباءَ وَ الابناءَ فِي تَثْبِيتِ نبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ، وَالّذينَ

[88]- الطبرسي، الاحتجاج، ج 2 ص 52 - 53

هَجَرَتْهُمُ العَشَائِرُ إذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَاباتُ إذْ سَكَنُوا فِي ظلِّ قَرَابَتِهِ، فَلاَ تَنْسَ لَهُمُ الّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إلَيْكَ، وَاشكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيْكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إلَى ضِيْقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ فِي إعْزَازِ دِيْنِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ.
أَللّهُمَّ وَأَوْصِلْ إلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسَان الَّذِينَ يَقُولُونَ :رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلاخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ خَيْرَ جَزَائِكَ، الَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ، وَمَضَوْا عَلى شاكِلَتِهِمْ، لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ فِي بَصِيْرَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ فِي قَفْوِ آثَارِهِمْ وَالإئْتِمَامِ بِهِدَايَةِ مَنَارِهِمْ، مُكَانِفِينَ وَمُوَازِرِيْنَ لَهُمْ، يَدِيْنُونَ بِدِيْنِهِمْ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ، يَتَّقِفُونَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ يَتَّهِمُونَهُمْ فِيمَا أدَّوْا إلَيْهِمْ.
أَللّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التّابِعِيْنَ مِنْ يَوْمِنَا هَذا إلى يَوْم الدِّينِ، وَعَلَى أزْوَاجِهِمْ، وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَعَلَى مَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ صَلاَةً تَعْصِمُهُمْ بِهَامِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَتَفْسَحُ لَهُمْ فِي رِيَاضِ جَنَّتِكَ، وَتَمْنَعُهُمْ بِهَا مِنْ كَيْدِ الشَيْطَانِ، وَتُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى مَا اسْتَعَانُوكَ عَلَيْهِ مِنْ بِرٍّ، وَتَقِيهِمْ طَوَارِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إلاّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْر، وَتَبْعَثُهُمْ بِهَا عَلَى اعْتِقَادِ حُسْنِ الرَّجَـاءِ لَكَ، وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَكَ، وَتَرْكِ النُّهَمَةِ فِيمَا تَحْوِيهِ أيْدِي الْعِبَادِ لِتَرُدَّهُمْ إلَى الرَّغْبَةِ إلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَتُزَهِّدُهُمْ فِي سَعَةِ العَاجِلِ وَتُحَبّبُ إلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلاجِلِ، وَالاسْتِعْدَادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَتُهَوّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْب يَحُلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُـرُوجِ الانْفُسِ مِنْ أَبْدَانِهَا، وَتُعَافِيَهُمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا، وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فِيهَا، وَتُصَيِّرَهُمْ إلَى أَمْن مِنْ مَقِيلِ الْمُتَّقِينَ".

وكان موقف الامام زين العابدين الإيجابي، هذا، من الصحابة، ينسجم مع الفكر السياسي للامام علي والحسن والحسين، قبل نشوء نظرية الامامة الإلهية.

## ف 2- الحركات الغالية المنحرفة عن أهل البيت

### أ- عبدالله بن سبأ وتأويل الوصية

فيما كان التيار الشيعي العام في القرن الأول الهجري، يتصف بالاعتدال وتفضيل الامام علي، تعرض منذ منتصف ذلك القرن لمؤامرة كبرى من بعض أتباع الديانات القديمة المختلفة اليهودية والنصرانية والمجوسية، الذين دخلوا ظاهريا في الإسلام، أو من أبنائهم الذين كانوا يُعرفون بالموالي، وهم الذين عقدوا الولاء مع القبائل العربية التي فتحت بلادهم، وخصوصا في العراق. وقد حمل هؤلاء بعضا من عقائدهم وأفكارهم السابقة وحاولوا إدخالها في الإسلام لينسفوه من الداخل، وكانت محاولتهم بمثابة ردة كبيرة ثانية مبطنة عن أهم أركان الإسلام كالتوحيد والنبوة والمعاد، وخطوة نحو التحلل من قوانين الشريعة الإسلامية.

وكان مدخلهم إلى ذلك: الغلو في أئمة أهل البيت، ثم ادعاء النبوة لهم ثم ادعاء الألوهية للأئمة والنبوة لزعماء الغلاة. وأما أداتهم في ذلك فقد كانت فكرة التناسخ والحلول، وهي نظرية قديمة كانت قبل الإسلام، واستطاعت أن تحرف اليهودية والنصرانية وأن تخترقهما وتحولهما من التوحيد إلى تأليه بعض الأنبياء كعزير والسيد المسيح (عليهما السلام).

وهناك روايات تقول إن بعض المسيحيين الذين دخلوا في الإسلام في زمن النبي (ص) حاولوا أن يغلوا فيه ويعبدوه، حيث جاء رجل منهم إلى رسول الله (ص) فقال: ألا نسجد لك؟. فقال (ص):" لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله". وقال له رجل آخر (قيل أنه أبو رافع القرظي أو السيد النجراني): يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً ؟ فقال (ص): " معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني".[89] وقد قال الله تعالى: "ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون". 79 آل عمران

ولئن فشل المتآمرون في الترويج لأفكارهم المنحرفة في زمن الرسول الأعظم، فإنهم نجحوا جزئيا في ما بعد، وذلك على يدي "عبد الله بن سبأ" الذي يقول عنه المتكلم الشيعي الحسن بن موسى النوبختي (أواخر القرن الثالث الهجري)، أنه كان يهوديا فأسلم ووالى عليا وأظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة

[89] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 25، ص 262

وتبرأ منهم، وأنه كان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك.[90]

وقد استغل ابن سبأ موضوع وصية النبي (ص) الشخصية للامام علي، ليضفي عليها طابعا دينيا سياسيا. بينما لم تكن هذه الوصية تعني الإمامة والخلافة، وإنما كانت وصية شخصية حسبما يقول الإمام جعفر الصادق: " انه لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة؛ دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين، فقال للعباس: يا عم محمد.. تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟.. فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كبير كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تباري الريح. قال فأطرق هنيهة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عداته وتقضي دينه؟ .. فقال كردِّ كلامه.. قال: أما أني سأعطيها من يأخذ بحقها. ثم قال: يا علي يا أخا محمد أتنجز عداة محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟.. فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك عليَّ وليَ، قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في إصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح يا بلال علَيَّ بالمغفر والدرع والراية والقميص وذي الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب... ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعا أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين: القميص الذي أسري به فيه والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله (ص) يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله (ص) وحيزوم وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال: أقبضها في حياتي".[91]

وهذه الوصية كما هو ملاحظ وصية عادية شخصية آنية، لا علاقة لها بالسياسة والإمامة والخلافة الدينية، وقد عرضها الرسول في البداية على العباس بن عبد المطلب فأشفق منها، وتحملها الإمام علي طواعية. ولكن ابن سبأ اتخذها مادة

---

[90] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22 ، راجع أيضا (المقالات والفرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي، الذي يكتفي بالقول "إنه كان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم" . ص 20 .

[91] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله، ح رقم 9 و ج 1 ص 236 والمفيد، الأمالي، ص220 ، المجلس رقم21، والإرشاد، ص 188

لتأويلها دينيا وسياسيا، وقياس الامام علي على يوشع بن نون وصي النبي موسى (ع). [92]

وكان قول ابن سبأ هذا أول خطوة نحو تديين المجال السياسي في التاريخ الإسلامي، خلافا لنظرة الإسلام الى السياسة والأنظمة السياسية ما بعد الرسول الأعظم (ص) والذي كان يعتبرها مسألة مدنية عرفية وليست جزءا من الدين.

وبالرغم من رفض الامام علي لمقولة ابن سبأ، فانه استطاع أن يترك وراءه خطا متطرفا غاليا التف حول أئمة أهل البيت، وقال بألوهيتهم ونبوتهم فضلا عن إمامتهم الدينية، كما اتخذ موقفا عنيفا سلبيا من الصحابة الذين زعم بأنهم "اغتصبوا الخلافة من أهل البيت".

يروي العالم الرجالي الشيعي أبو عمرو الكشي باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين (ع): " لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبا فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما، ماله لعنه الله؟!. كان علي (ع) والله عبدا لله صالحا أخو رسول الله (ص) ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله (ص) الكرامة من الله إلا بطاعته لله" . [93]

وحذر الامام زين العابدين من السبئية، قائلا: " إن اليهود أحبوا عزيرا حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى. وإنا على سنة من ذلك، إن قوما من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منا ولا نحن منهم". [94]

وحسبما يقول محمد بن سعد في (الطبقات): " إن علي بن حسين كان يقول لأنصاره: يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا. أحبونا حب الاسلام فوالله ما زال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس.

---

[92]- ولم يتوقف ابن سبأ عند هذه المقولة المغالية، وانما ادعى بعد ذلك النبوة لنفسه، والألوهية للامام علي. الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 5726 عن الكشي، ورواها مع زيادة في آخر ترجمة أبي الخطاب محمد بن أبي زينب .

[93]- الكشي، الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج 1 ص 224

[94]- الكشي، معرفة الرجال

وجاء نفر إلى علي بن الحسين فأثنوا عليه فقال ما أكذبكم وما أجرأكم على الله نحن من صالحي قومنا وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا".[95]

وكافح الإمام زين العابدين أيضا الأثر السلبي الذي تركه ذلك الغلو ضد الخلفاء الراشدين، وكما يقول الاربلي: أنّه قدم عليه نفرٌ من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) فلمّا فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تُخبروني أأنتم المهاجرون الأوّلون الّذين أُخرجوا من ديارِهم وأموالِهم يَبتغونَ فضلاً من الله ورضواناً وينصُرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ؟ قالوا: لا ، قال: فأنتم الّذين تبوّأوا الدارَ والإيمانَ من قبلِهِم يُحبّون من هاجَرَ إليهم ولا يَجِدون في صُدورهم حاجةً مِمّا أُوتوا ويُؤثِرون على أنفُسِهِم ولو كانَ بِهِم خَصاصة ؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرّأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهَدُ أنّكم لستم من الذين قال الله فيهم: "والّذين جاؤوا من بعدِهِم يَقولونَ ربّنا اغفِر لنا ولإخوانِنا الّذين سَبَقونا بالإيمان ولا تجعل في قُلوبِنا غلّاً للّذين آمنوا". أُخرجوا عنّي فعَلَ الله بكم.[96]

**الباب الثاني:**
**الامام محمد بن علي الباقر (57 – 114 هـ) والإمامة العلمية (الفقهية)**

تتضمن الأحاديث المروية عن الامام محمد الباقر (وابنه جعفر الصادق)، في المصادر الشيعية الأولى، صورا مختلفة عن الامامة العلمية الفقيه، والسياسية، والدينية، والنبوية، والكونية، وسوف نبحث في هذا الفصل الصورة الأولى (الفقهية) العادية، المشابهة لصورة أي فقيه عادي آخر.
وقبل أن ندخل في الموضوع نقدم نبذة عن هويته الشخصية:

**الهوية الشخصية للامام الباقر**

[95] - محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى، ج 5 ص 214

[96]- الاربلي، أبوالحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت 693) كشف الغمة في معرفة الأئمة ج 2 ص291

الامام محمد الباقر هو الابن الثاني للامام علي بن الحسين زين العابدين، بعد أخيه (عبد الله الباهر) وله أكثر من عشرة أخوة وأخوات.[97] الا أن أشهرهم كان أخاه الامام زيد بن علي، زعيم الفرقة الزيدية، التي يتبعها قسم آخر من الشيعة حتى اليوم.

وقد تزوج الباقر أم فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأنجب منها ابنه البكر الامام جعفر الصادق، كما أنجب منها ومن زوجته الأخرى أُم حكيم بنت أسيد، بقية ذريته.[98]

وقد شهد الباقر معركة كربلاء مع والده، عندما كان بعمر الرابعة، ونجى من اليتم لأن والده كان مريضا جدا وطريح الفراش ولذلك لم يشارك في معركة الدفاع عن أبيه الامام الحسين.

وحسبما يروي المؤرخ الشيعي احمد اليعقوبي (ت 292هـ) في تاريخه، فان الامام الباقر كان يقول: "قُتل جدّي الحسين عليه السلام ولي أربع سنين، وإنّي لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت".[99]

وقد نجى الباقر مرة أخرى من (مجزرة الحرة) التي حدثت في المدينة المنورة عام 63، بعد ثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية، وذلك بسبب اعتزال والده الامام زين العابدين عن المشاركة في الثورة، وإيوائه عيال والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، الا ان الباقر عاش آلامها وفجائعها التي فاقت جريمة كربلاء.[100]
وعاش الباقر فترة سيطرة عبد الله بن الزبير على الحجاز، بعد موت يزيد عام 64، وسمع بالتأكيد عن ثورة التوابين في الكوفة عام 65 وثورة المختار بن عبيدة الثقفي عام 66 وسيطرته على الكوفة وانتقامه من قتلة جده الحسين. كما شهد عودة الحكم الأموي - المرواني وقتل ابن الزبير عام 73.

---

[97]- 1- عبد الله الباهر، 2- الحسن، 3- الحسين الأكبر، 4- زيد ، 5- عمر، 6- الحسين الأصغر، 7- عبد الرحمن، 8- سليمان ، 9- علي، 10- محمد الأصغر، 11- زينب، 12- عائشة أو خديجة، وعد البعض: 13- القاسم و14-أم الحسن و 15- أم البنين.

[98]- 1- عبد الله، 2- إبراهيم، 3- عبيد الله، 4- علي، 5- زينب، 6- أم سلمة

[99]_ اليعقوبيّ: تاريخ اليعقوبيّ ج 2 ص320

[100]_

اذن.. فقد نشأ الامام محمد الباقر في هذا الجو السياسي المشحون والمنذر بالتفجر، متعدد الأطراف الأموية والزبيرية والكيسانية والعباسية والحسنية والحسينية والزيدية، ولكنه التزم، في المرحلة الأولى، بخط والده الامام زين العابدين المعتزل سياسيا، فما كان منه الا أن توجه علميا وفكريا وفقهيا من أجل بناء قاعدة شعبية عريضة وراسخة، فبقر العلم بقرا، ومن هنا اكتسب لقبه (الباقر).

**هل بعث النبي تحية خاصة الى الباقر؟**

وهناك حديث يرويه المحدثون الشيعة الكليني والكشي والصدوق، في القرن الرابع الهجري، عن أبان بن تغلب وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن مسلم، وهم من رجال القرن الثاني الهجري، عن الامام جعفر الصادق (ت 148) عن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي الأكرم (ص) أنه هو الذي أطلق عليه لقب (الباقر) ووجه اليه تحية خاصة. والحديث كما يلي:

- روى أبان بن تغلب عن ابي عبد الله (ع): إن جابر بن عبد الله الانصاري (ت 78) كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول الله (ص) وهو معتجر بعمامة سوداء وكان ينادي: "يا باقر العلم!.. يا باقر العلم!.." فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول: إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله (ص) والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه.[101] ويضيف الجعفي، عن جابر الأنصاري، أنه قال: " انه سمع رسول الله (ص) يقول: يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بباقر فاذا لقيته فاقرأه مني السلام". فلقيه جابر وقال له: "يا بني رسول الله يقرؤك السلام فقال على رسول الله (ص) السلام ما دامت السماوات والارض وعليك يا جابر بما بلغت السلام، فقال له جابر: يا باقر أنت الباقر حقا أنت الذي تبقر العلم بقرا... وكان يقول يا باقر يا باقر يا باقر أشهد بالله إنك قد أوتيت الحكم صبيا".[102] ويضيف محمد بن مسلم الى هذه الرواية: أن جابر قال للباقر: "بأبي

---

[101]- الكليني، أصول الكافي 1 / 496 - 470 و رجال الكشي ص 27-28

[102]- الصدوق، علل الشرائع، ج1 ص 233، والمجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج 46 ص 226

أنت وأمي اضمن لي أنت الشفاعة يوم القيمة. قال: فقد فعلت ذلك يا جابر.[103] وأن زين العابدين قال له: "هنيئا لك يا بني ما خصك الله به من رسوله من بين أهل بيتك لا تطلع اخوتك على هذا فيكيدوا لك كيدا، كما كادوا اخوة يوسف ليوسف عليه السلام".[104]

وقد تطورت هذه الرواية الى أبعد من نقل جابر للسلام من رسول الله الى محمد الباقر، لتضفي عليه هالة من العلم الغيبي والنص بالامامة أكثر من مجرد السلام، كما يقول جابر الجعفي: "فكان جابر يأتيه طرفي النهار وكان أهل المدينة يقولون: واعجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص).[105]

وبناء على ذلك فقد أخذ الامام محمد الباقر يتصرف مع بقية الفقهاء المعاصرين له من موقع المحورية في الامامة وعلم الدين.

## ف2 - مصادر علم الباقر: كتب الامام علي (ع)

يقول مؤسس المذهب الاثني عشري الشيخ محمد بن محمد النعمان المفيد (ت 413): "انّه كان من بين إخوته خليفة أبيه علي بن الحسين ووصيّه والقائم بالامامة من بعده (ع)، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد، والسؤدد، وكان أنبههم ذكرًا وأجلّهم في العامة والخاصة وأعظمهم قدرًا ولم يظهر عن أحد عن ولد الحسن والحسين (ع) من علم الدين والآثار والسّنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر (ع). ... وصار عَلَماً لأهله، تضرب به الأمثال وتسير بوصفه الآثار والأشعار".[106]

ان منبع علم الباقر يأتي – كما يقول هو - عن طريق التعلم والكتب الموروثة من أبيه، وآبائه، بصورة طبيعية، حيث يقول: إن والده الامام زين العابدين "أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق!.. قال فحُمل بين أربعة. فلما توفي جاء إخوته يدَّعون ما في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق

---

[103]- الكشي، أبو عمرو، معرفة الرجال 223/1

[104] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 3

[105]- الكليني، الكافي 496/1

[106]- المفيد، الارشاد، 2/ 157

فقال: والله ما لكم فيه شئ، ولو كان لكم فيه شئ ما دفعه إليَّ . وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه". [107]

وهناك في التراث الشيعي روايات عديدة حول (الجفر) و(الجامعة) التي كان يستقي الامام الباقر علومه وفتاويه منها. [108]

ويروي الفضيل بن يسار، قال: قال لي أبو جعفر (ع):" يا فضيل عندنا كتاب عليّ سبعون ذراعا ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلّا وهو فيه حتّى أرش الخدش" ثمّ خطّه بيده على إبهامه.[109]

وفي رواية أخرى يقول أبو مريم، أن أبا جعفر قال له: "عندنا الجامعة، وهى سبعون ذراعا فيها كلّ شيء حتّى أرش الخدش، إملاء رسول الله (ص) و خط عليّ (ع)، و عندنا الجفر، وهو أديم عكاظى قد كتب فيه حتّى ملئت اكارعه، فيه ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة".[110]

ويشرح الباقر تفصيل بعض تلك الكتب، لأبى الطفيل، أن رسول الله قال لأمير المؤمنين (ع): اكتب ما أملى عليك، قال عليّ (ع): يا نبىّ الله وتخاف النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النّسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينساك لكن اكتب لشركائك قال قلت: ومن شركائى يا نبىّ الله؟ قال: الأئمّة من ولدك ...".[111]

ويقول حمران بن أعين، أن الباقر أشار الى بيت كبير وقال له: "يا حمران إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعا بخطّ عليّ واملاء رسول الله ولو ولينا الناس لحكمنا بينهم بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفة".[112]

وهذا ما يؤكده أهم تلامذة الامام الباقر، محمد بن مسلم، الذي ينقل عنه: "انّ عندنا صحيفة من كتب عليّ طولها سبعون ذراعا فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها".

---

[107]- الكليني، الكافي:305/1 ، وإعلام الورى/500

[108]- كما يقول أبو بصير، أنه كان عنده (عند أبي جعفر الباقر) فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر، فاذا فيها: المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره، قال: فله المال كلّه. الصفار، بصائر الدرجات، ص 145

[109]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 147

[110]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 160

[111]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 167

[112]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 143

وعندما سأله عن ميراث العلم ما بلغ؟ أجوامع هو من العلم؟ أم فيه تفسير كلّ شيء من هذه الامور الّتي تتكلّم فيه الناس مثل الطلاق والفرائض؟ قال الباقر: "إنّ عليّا كتب العلم كلّه القضاء والفرائض فلو ظهر أمرنا لم يكن شيء إلّا فيه نمضيها".[113]

وهكذا يروي أبو بصير، أن أبا جعفر أخرج صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض، قلت: ما هذه؟ قال :هذه إملاء رسول الله (ص) وخطّ عليّ بيده قال: فقلت: فما تبلى؟ قال: فما يبليها؟ قلت: وما تدرس؟ قال: وما يدرسها؟ قال: هى الجامعة أو من الجامعة.[114]

ويروي جابر بن يزيد الجعفي، عن أبى جعفر (ع) أنه قال له: "إنّ عندي الصحيفة فيها تسعة عشرة صحيفة قد حباها رسول الله (ص)".[115]

وعنه أيضا، قال: يا جابر انا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم. وعن داود بن أبي يزيد الأحول عن أبي عبد الله (ع) قال سمعته يقول: "انا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنها آثار من رسول الله (ص) أصول علم نتوارثها كابر عن كابر عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم".[116]

ويروي العالم الرجالي الشيعي أحمد بن علي النجاشي (372 - 450 هـ) عن محمد بن عذافر، أنه قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (ع) فجعل يسأله، وكان أبو جعفر له مكرماً، فاختلفا في شئ، فقال أبو جعفر: يا بني قم فأخرج كتاب علي، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر: هذا خط علي (ع) وإملاء رسول الله (ص) وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد إذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم ، يميناً وشمالاً فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (ع).[117]

أما الكليني، فيروي في (الكافي) عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن الجد؟ فقال: ما أجد أحداً قال فيه إلا برأيه إلا أمير المؤمنين (ع). قلت: أصلحك الله فما قال فيه أمير المؤمنين (ع)؟ قال: إذا كان غداً فالقني حتى أقرئكه في كتاب،

---

[113]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 143
[114]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 144
[115]- الصفار، بصائر الدرجات، ص144
[116]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 319
[117]- الخوئي، معجم رجال الحديث، ترجمة محمد بن عذافر الصيرفي المدائني، ج 17 ص 301

قلت: أصلحك الله حدثني فإن حديثك أحب إلي من أن تقرئنيه في كتاب، فقال لي الثانية: إسمع ما أقول لك إذا كان غداً فألقني حتى أقرئكه في كتاب، فأتيته من الغد بعد الظهر وكانت ساعتي التي كنت أخلو به فيها بين الظهر والعصر ، **وكنت أكره أن أسأله إلا خالياً خشية أن يفتيني من أجل من يحضره بالتقية**، فلما دخلت عليه أقبل على ابنه جعفر (ع) فقال له: أقرئ زرارة صحيفة الفرائض ، ثم قام لينام فبقيت أنا وجعفر (ع) في البيت، فقام فأخرج إلي صحيفة مثل فخذ البعير فقال: لست أقرئكها حتى تجعل لي عليك الله أن لا تحدث بما تقرأ فيها أحداً أبداً حتى آذن لك ، ولم يقل حتى يأذن لك أبي! فقلت: أصلحك الله ولمَ تضيق عليَّ ولم يأمرك أبوك بذلك؟ فقال لي: ما أنت بناظر فيها إلا على ما قلت لك. فقلت: فذاك لك ، وكنت رجلاً عالماً بالفرائض والوصايا ، بصيراً بها حاسباً لها ، ألبث الزمان أطلب شيئاً يلقى علي من الفرائض والوصايا لا أعلمه فلا أقدر عليه ، فلما ألقى إلي طرف الصحيفة إذا كتاب غليظ يعرف أنه من كتب الأولين، فنظرت فيها فإذا فيها خلاف ما بأيدي الناس من الصلة والأمر بالمعروف الذي ليس فيه اختلاف وإذا عامته كذلك ، فقرأته حتى أتيت على آخره بخبث نفس وقلة تحفظ وسقام رأي وقلت وأنا أقرؤه: باطل!.. حتى أتيت على آخره. ثم أدرجتها ودفعتها إليه فلما أصبحت لقيت أبا جعفر (ع) فقال لي: أقرأت صحيفة الفرائض؟ فقلت: نعم ، فقال: كيف رأيت ما قرأت؟ قال قلت: باطل ليس بشئ! هو خلاف ما الناس عليه ! قال: فإن الذي رأيت والله يا زرارة هو الحق! الذي رأيت إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده. فأتاني الشيطان فوسوس في صدري فقال: وما يدريه أنه إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع)؟ فقال لي قبل أن أنطق: يا زرارة لا تشكن ود الشيطان والله إنك شككت! وكيف لا أدري أنه إملاء رسول الله وخط علي بيده وقد حدثني أبي عن جدي أن أمير المؤمنين (ع) حدثه ذلك. قال قلت: لا، جعلني الله فداك. وندمت على ما فاتني من الكتاب! ولو كنت قرأته وأنا أعرفه لرجوت أن لا يفوتني منه حرف ,[118]

## صحف إبراهيم وموسى

وبالإضافة الى تلك الكتب (الجفر والجامعة وكتاب علي، ومصحف فاطمة)، فان الكليني ينقل لنا رواية عن أبى بصير عن أبى عبد الله قال: قال لى: يا أبا محمّد إنّ الله (عزّ وجلّ) لم يعط الأنبياء شيئا إلّا وقد أعطاه محمّدا (ص) وقد أعطى محمّدا جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف الّتي قال الله عزّ وجلّ: **"صُحُفِ**

[118]- الكليني، الكافي، 94/7

**إِبْراهِيمَ وَ مُوسى" قلت: جعلت فداك هي الألواح؟** قال: نعم.[119] ولكن هذه الرواية مرسلة وغريبة، وغير معروفة عن رسول الله أنه كان يمتلك صحف إبراهيم وموسى.

وعلى أية حال، نفهم من جميع هذه الروايات أن مصدر علم الامام الباقر والأئمة عموما، هي الكتب الموروثة عن الامام علي ورسول الله (ص) وأن الباقر كان مجرد راو لا يفتي بناء على الرأي والاجتهاد، كما يقول ابنه أبو عبد الله لمحمد بن شريح: "والله لولا أن الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا ما أدخلناكم بيوتنا ولا أوقفناكم على أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا الا ما قال ربنا".[120]

## علامات استفهام

وبالرغم من كل تلك الروايات التي تتحدث عن مصدر علم الامام الباقر، الا انه كان يواجه نوعا من التشكيك فيما ينقل عن رسول الله من أحاديث، من قبل أهل المدينة، وذلك لسرية تلك الكتب، وعدم معرفة عامة الناس بها، أو لضآلتها، أو عدم تصديقهم بصحتها، أو لعدم تصريح الباقر بسنده الى رسول الله. ولذلك اتهمه أهل المدينة بالجرأة والكذب، حتى اضطر الى اسناد الأحاديث عن جابر بن عبد الله الانصاري، كما تقول رواية عن ابنه الامام جعفر الصادق الذي قال: "جلس محمد بن علي (الباقر) يحدثهم عن الله تبارك وتعالى، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً أجرأ من هذا ! فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله (ص) فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا، يحدثنا عمن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله ، قال فصدقوه ، وكان جابر بن عبد الله يأتيه فيتعلم منه". [121] و"ان جابر الانصاري كان يأتي الباقر فيجلس بين يديه فيعلمه ، وربما غلط جابر فيما يحدث به عن رسول الله (ص) فيرد عليه ويذكره فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله".[122]

---

[119]- الكليني، الكافي،1/ 225 ويضيف في رواية أخرى: "وان عندي ألواح موسى وعصاه وان عندي لخاتم سليمان بن داود، وان عندي الطست الذي كان يقرب بها موسى القربان، وان عندي الاسم الذي كان إذا أراد رسول الله ان يضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة".

[120]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 320 - 321

[121]- الكليني، الكافي 496/1

[122]- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع 233/1

ولا تشرح هذه الرواية التي تتحدث عن غلط جابر الأنصاري وتصحيح الباقر له، بماذا كان جابر يغلط؟ وكيف كان الباقر يصحح له، وهو لم يشهد؟! ومتى كان الصحابي جابر يجلس الى الباقر ويتعلم منه؟ علما بأن جابر توفي قبل تصدي الباقر للفتيا، بأكثر من عشرين عاما.

## هل كان الباقر ينطق في أيام أبيه؟ أم نطق بعد رحيله بسبع سنوات؟

والسؤال الآن هو: هل كان محمد الباقر ينشط في رواية الأحاديث في زمن حياة جابر، وفي ظل وجود أبيه الامام زين العابدين؟ أم كان (صامتا) في تلك الفترة، ولم (ينطق) الا بعد رحيل والده عام 95 أو حتى بعد ذلك بسبع سنين؟

يقول شيخ الطائفة الاثني عشرية في القرن الخامس الهجري، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (385-460)، في رواية ينقلها عن القاسم بن عوف قال: كنت أتردد بين علي بن الحسين وبين محمد بن الحنفية وكنت آتي هذا مرة وهذا مرة . قال: ولقيت علي بن الحسين (ع) فقال لي:"... إياك أن تشد راحلة تُرَحِّلُها، فإنما هاهنا يطلب العلم حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج ، ثم يبعث الله لكم غلاماً من ولد فاطمة (ع) تنبتُ الحكمة في صدره كما ينبت الطَّلُّ الزرع". قال: فلما مضى علي بن الحسين حسبنا الأيام والجمع والشهور والسنين، فما زادت يوماً ولا نقصت حتى تكلم محمد بن علي بن الحسين باقر العلم ، صلوات الله عليهم".[123]

## حصر العلم الديني وتفسير القرآن في أهل البيت

وبناء على ايمان الامام الباقر بامتلاكه العلم الديني الصحيح الموروث، فانه كان يرفض تصدي الفقهاء الآخرين للفتيا، ويقول: " إنما يعرف القرآن من خوطب به".[124] و"كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل".[125]

ولذلك استنكر ترك الناس لأئمة أهل البيت وذهابهم إلى علماء آخرين، قائلا: "يمصون الثماد (وهو الماء القليل) ويدعون النهر العظيم! قيل له: وما النهر

---

[123]- الطوسي، اختيار معرفة الرجال 339/1

[124] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485 عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (ع) فقال:

[125] - الوافي، ح رقم [ 33236 ] عن بصائر الدرجات : 531 | 21.

العظيم؟ قال: رسول الله (ص) والعلم الذي أعطاه الله، إن الله عز وجل جمع لمحمد (ص) سنن النبيين من آدم وهلمَّ جرا إلى محمد (ص) قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله (ص) صيَّر ذلك كله عند أمير المؤمنين (ع)".[126]

وقال:" ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطاء منهم والصواب من علي عليه السلام".[127] وأكد ذلك قائلا:" إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا". وأشار بيده إلى بيته.[128]

وعن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: اما انه ليس عند أحد علم ولا حق ولا فتيا الا شيئا اخذ عن علي بن أبي طالب (ع) وعنا أهل البيت وما من قضاء يقضى به بحق وثواب الا بدا ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه من على ومنا فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي وكان الخطاء من قبلهم فإذا قاسوا وكان الصواب إذا تبعوا الآثار من قبل علي (ع)" .[129]

وعن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: انا أهل بيت، من علم الله علمنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصادق سمعنا، فان تتبعونا تهتدوا .[130]

وفسر الباقر قول الله عز وجل: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" بأهل البيت، وقال: "قال رسول الله (ص): الذكر أنا والأئمة أهل الذكر" كما فسر قوله عز وجل: "وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون" بقوله :"نحن قومه ونحن المسؤولون". [131]

---

126 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم 6

127 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 1

128 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 2

129 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 538 - 539

130 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 534

131 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 1 و6

وعندما قال له محمد بن مسلم: إن مَن عندنا يزعمون أن قول الله عز وجل: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون": أنهم اليهود والنصارى، رد عليه الباقر: " إذاً يدعونكم إلى دينهم! - وأومأ بيده إلى صدره وقال - نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون".[132]

وروى أبو بصير عن الباقر أنه فسر آية " بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" بأنها تعني الأئمة، وذكر أنه أومأ بيده إلى صدره.[133] ثم قال: أما والله يا أبا محمد ما قال بين دفتي المصحف؟ قلت: من هم؟ جعلت فداك. قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟.[134] وقال: "إن هذا العلم انتهى إليّ في القرآن".[135]

وروى جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر في تفسير قول الله عز وجل: " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب" بأنه قال:" إنما نحن الذين يعلمون والذين لا يعلمون عدونا ، وشيعتنا أولو الألباب".[136] وأنه فسر قول الله عز وجل: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" بأئمة أهل البيت، وقال :"رسول الله (ص) وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله " يقولون آمنا به كل من عند ربنا " والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه". [137]

وقال:" **إن النبي فسر القرآن لرجل واحد هو الإمام علي**، وإن القرآن لن يكفي الأجيال التالية إلا إذا وجد "المفسِّر".[138] وفسر قوله تعالى: "قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب" بأنها تعني: الأئمة من أهل البيت، وقال: "إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (ص)".[139] وأنه حصر علم القرآن بأئمة أهل البيت وقال: "إنما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا وإلينا!". [140]

وقال الباقر أن الأئمة هم "ورثة الكتاب" الذين ذكرهم الله في قوله:" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " وفسر العباد بـ: "ولد فاطمة عليها السلام والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام".[141] والأئمة هم

---

132 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 7
133 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 1
134 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 3
135 - الوافي،[ 33587 ] 56 بصائر الدرجات : 226 | 14.
136 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن من وصفه الله بالعلم في كتابه هم الأئمة، ح رقم 1 و2
137 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة، ح رقم 2
138 - الوافي،[ 33534 ] الكافي 1 : 188 | 1 .
139 - الوافي،[ 33546 ] 15 الكافي 1 : 179 | 6.
140 - الوافي،[ 33595 ] 64 تفسير فرات الكوفي : 91
141 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم 1و2 و 3

الذين آتاهم الله الكتاب، وذكرهم في هذه الآية: "الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته" وقال:"هم الأئمة عليهم السلام".[142]

وكما يلاحظ فان هذه الروايات تؤسس لدعوى امتلاك الإمام وحده لعلم الكتاب، والقدرة على تفسيره وتأويله، كما في رواية عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: "فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا"؟ فقال:" يا أبا خالد.. النور – والله - الأئمة من آل محمد (ص) إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض".[143] وقال في تفسير قوله تعالى: "ويجعل لكم نوراً تمشون به": "يعني إماما تأتمون به".[144] وما ورد في رواية أخرى في تفسير قوله تعالى: "واتبعوا النور الذي انزل معه" قال: "النور في هذا الموضع علي أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام".[145]

وقال: "إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله (ص) وجعل لكل شئ حدا وجعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدا.[146]

وعن أبي عبد الله قال: "إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شئ حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه".[147]

ومن هنا فقد اتخذ الامام الباقر موقفا سلبيا من عامة الفقهاء الذين اعتمدوا في فتاويهم على الأحاديث النبوية "من مصادر غير موثوقة" أو على الاجتهاد والرأي والقياس، فقال لسدير الصيرفي: " يا سدير فأريك الصادين عن دين الله؟! ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حَلَقٌ في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص)".[148]

---

142 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم 4

143 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 1

144 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 3

145 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 2

146 - الكليني، الكافي، ج1 ص 59

147 - الكليني، الكافي، ج1 ص 59

148 - الكليني، الكافي، ج1 ص 393. في بداية الحديث: إنما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيُعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: " وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" ثم أومأ بيده إلى صدره، إلى ولايتنا. ثم قال:

وعندما التقى فقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة، أنكر عليه تفسيرَه للقرآن، وقال له: "ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.. ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت.. ".[149] وأن الباقر سأله عن تفسير قوله تعالى:" وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين" فقال قتادة: أي من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله، فرفض الباقر هذا التفسير وقال له: "إنه من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل: "واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم" ولم يعنِ البيت فيقول: "إليه" ثم قال الباقر بعد ذلك:" فنحن والله دعوة إبراهيم (ع) التي من هوانا قلبُه قُبلت حجته وإلا فلا.. يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة".[150]

واستنكر فتوى للحكم بن عتيبة حول جواز شهادة ابن الزنا، فقال: "اللهم لا تغفر ذنبه، هل قال الله للحكم: (إنه لذكر لك ولقومك؟) فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فوالله لا يوجد العلم، إلا في أهل بيت نزل عليهم جبرئيل (ع)".
وقال لأبي مريم الأنصاري: "قل لسلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة، شَرِّقا أو غرِّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت". [151] "فليشرق الحكم وليغرب، أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل".[152]

## الإفتاء المتعدد في المسألة الواحدة

وكان الامام الباقر يفتي في المسألة الواحدة بعدة أجوبة، ويقول: إن "تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة (ع)".[153] و"ما من القرآن آية، إلا ولها ظهر وبطن، ظهره تنزيله وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر، كل ما جاء تأويل شيء يكون على الأموات، كما يكون على الأحياء ... نحن نعلمه".[154]

وفي هذا يقول جابر بن يزيد الجعفي:" سألت أبا جعفر عن شيء من التفسير، فأجابني، ثم سألته عنه ثانية، فأجابني بجواب آخر، فقلت: كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا، فقال: يا جابر! إن للقرآن بطنا وللبطن بطنا وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر! وليس

---

149 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485
150 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485
151 - الكشي، ترجمة الحكم بن عتيبة، الكافي 1 : 329 | 3
152 - الوافي، ح رقم [ 33225 ] عن الكافي 1 : 329 | 4 .
153 - الوافي،[ 33581 ] 50 بصائر الدرجات : 216 | 8.
154 - الوافي،[ 33580 ] 49 بصائر الدرجات : 216 | 7 و 8

شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، وإنّ الآية يكون أولها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متصل متصرف على وجوه".[155]

وهذا بالإضافة الى عدم دقة النقل عنه، حيث كان بعض الناقلين عنه يكذبون عليه أو يقلبون حديثه رأسا على عقب، أو يضيفون اليه ما يشاؤون، حتى قال الباقر: "وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس".[156]

وقال:" إن أحاديثنا إذا سقطت في الشام جاءتنا صحاحاً، وإذا سقطت في العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص ". [157]

وللخروج من هذه الأزمة الخطيرة، حاول الامام محمد الباقر أن يعطي شيعته مقياسا لمعرفة الحديث الصحيح من الكاذب، فقال: "قرأت في كتاب علي (ع) أن رسول الله (ص) قال: إنه سيكذب عليَّ كاذب كما كُذب على من كان قبلي. فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي، وما خالف كتاب الله فليس من حديثي".[158]

وأكد قائلا: "كل شئ خالف كتاب الله عزّ وجلّ رُدَّ إلى كتاب الله عزّ وجلّ والسنة...كل من تعدى السنة رُدَّ إلى السنة".[159]

وقد أكد ابنه الامام جعفر الصادق الذي كان يعاني من نفس المشكلة، هذا المنهج في أحاديث عديدة: " إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه".[160] و"كل شئ مردود إلى

---

[155] - الوافي،[ 33572 ] 41 المحاسن : 300 | 5.

[156]- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 43/11

[157]- القاضي النعمان المغربي الشيعي، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، 3/ 278 مؤسسة النشر الإسلامي قم .

[158]- الحميري، قرب الإسناد/92

[159]- الكليني، الكافي 58/6 و:71/1

[160]- الكليني، الكافي، ج1 ص 69

الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف".[161] و" ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف". وقد " خطب النبي (ص) بمنى فقال: أيها الناس ما جاء كم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاء كم يخالف كتاب الله فلم أقله".[162]

وعندما سأله ابن أبي يعفور عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا تثق به؟ قال: "إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلا فالذي جاء كم به أولى به".[163]

وقد كان ذلك الوضع والكذب، يحدث بالطبع بلبلة وفوضى في صفوف الشيعة، وحتى بين تلامذة الباقر الكبار من أمثال زرارة بن أعين، الذي يقول: سألت الباقر (ع) فقلت:

- جعلت فداك يأتي عنكم الخبران والحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال:
- يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر. فقلت:
- يا سيدي إنهما معاً مشهوران مرويان مأثوران عنكم؟ فقال:
- خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك. فقلت:
- إنهما معاً عدلان مرضيان موثقان؟ فقال:
- أنظر ما وافق منهما العامة فاتركه، وخذ ما خالفه فإن الحق فيما خالفهم. فقلت:
- ربما كانا موافقين لهم أو مخالفين، فكيف أصنع؟ فقال:
- إذن فخذ ما فيها الحائطة لدينك واترك الآخر. فقلت:
- إنهما معاً موافقان للإحتياط أو مخالفان له ، فكيف أصنع؟ فقال:
- إذن تتخير أحدهما فتأخذ به، وتدع الآخر.[164]

---

[161]- الكليني، الكافي، ج1 ص 69

[162]- الكليني، الكافي، ج1 ص 69

[163]- الكليني، الكافي، ج1 ص 69

[164]- البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة 93/1

وهناك رواية أخرى مشابهة عن عمر بن حنظلة عن ابي عبد الله، تعالج نفس المشكلة، التي يبدو أنها كانت مستمرة الى القرن الثاني الهجري، والتي يقول فيها:

- "سألت أبا عبد الله (ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال:
- من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقا ثابتا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به قال الله تعالى: "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به". قلت:
- فكيف يصنعان؟ قال:
- ينظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما، فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله، وهو على حد الشرك بالله. قلت:
- فإن كان كل رجل اختار رجلا من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ قال:
- الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر. قلت:
- فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر.فقال:
- ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه، وإنما الامور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يرد علمه إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله (ص): "حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم". قلت:
- فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال:
- ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة **وخالف العامة** فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة. قلت:

- جعلت فداك، أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ قال:
- ما خالف العامة ففيه الرشاد. فقلت:
- جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعا؟ قال:
- ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر. قلت:
- فإن وافق حكامهم الخبرين جميعا؟ قال:
- إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات ".[165]

ان هاتين الروايتين تكشفان عن اشتداد أزمة النقل عن الامامين الباقر والصادق، في الزمن الشيعي الأول، حتى من أوثق وأعدل الرواة، الذين كانوا ينقلون عنهما روايات متعارضة، وان التعارض لم يكن بسبب الكذب عليهما من الرواة، وانما أيضا بسبب الإفتاء المتعدد في المسألة الواحدة.

## ف 3 - الامام الباقر وظاهرة (التقية)

واذا كنا قد عرفنا بأن الامام الباقر كان يفتي بعدة أشكال، نظرا لمعرفته الباطن والظاهر من القرآن الكريم، فان ثمة سببا آخر أهم وأكبر من ذلك، وهو الخوف من الحكام الذي كان يضطر الباقر للافتاء تقية بشكل متناقض، والوصية بالأخذ بما يخالف العامة.

وتعزو بعض الروايات عن الباقر (وابنه جعفر الصادق) بأنه كان يتعمد تغيير الفتوى، أو الإفتاء بأشكال مختلفة، تقية تحت ضغط الخوف من السلطان، أو من أجل إلقاء الخلاف بين الشيعة عمدا من أجل المحافظة عليهم وتشتيت أنظار السلطات عنهم.

وقد أصل الامام الباقر مبدأ (التقية) فقال: "التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له" و" التقية في كل ضرورة" و" التقية في كل شئ يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له" و"التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به". وقال:" والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا". "وأي شئ

---

[165]- الكليني، الكافي، الأصول، ج2 ص 328.

أقر لعيني من التقية، إن التقية جنة المؤمن" و"خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الامرة صبيانية". [166]

وعندما روى له رجل من البصرة رفض الحسن البصري لمبدأ التقية، وقوله "إن الذين يكتمون العلم يؤذي ريحُ بطونهم أهلَ النار" ردّ عليه الباقر قائلا: "بأنه إذا كانت الحالة كذلك أهلك المؤمن من آل فرعون". [167]

وسأل الامام الباقر، ذات مرة، رجلاً من شيعته: ما تقول لو أفتينا رجلاً ممن تولانا بشيء من التقية؟ قال: أنت أعلم جُعلتُ فداك. قال: إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً. وفي رواية أخرى: إن أخذ به أُوجِرَ، وإن تركه والله أَثِم. [168]

وقال: "والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا وإن أسوأهم عندي حالا وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأز منه وجحده وكفر من دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا". [169]

وهناك روايات أخرى كثيرة عن الامام جعفر الصادق تؤكد مبدأ (التقية) مثل: "ليس من شيعة على من لا يتقي " و"لا دين لمن لا تقية له، وإن التقية لأوسع مما بين السماء والأرض، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية، ولا خير فيمن لا تقية له، ولا إيمان لمن لا تقية له. و إن أبي كان يقول: ما من شئ أقر لعين أبيك من التقية، إن التقية لجنة للمؤمن". و التقية من دين الله، قلت: من دين الله؟ قال: إي والله من دين الله، ولقد قال يوسف: " أيتها العير إنكم لسارقون " والله ما كانوا سرقوا شيئا، ولقد قال إبراهيم: "إني سقيم" والله ما كان سقيما. وعن أبي عمرو الكناني قال: قال أبو عبد الله (ع): يا أبا عمرو أرأيتك لو حدثتك بحديث أو أفتيتك بفتيا ثم جئتني بعد ذلك فسألتني عنه فأخبرتك بخلاف ما كنت أخبرتك أو أفتيتك بخلاف ذلك بأيهما كنت تأخذ؟ قلت: بأحدثهما وأدع الآخر، فقال: قد أصبت يا أبا عمر وأبى الله إلا أن يعبد سرا، أما

---

166- الكليني، الكافي، ج2 ص 219 و220 و223 و 226
167- الكليني، الكافي، ج1، ص 51
168- الكليني، الكافي، ج1 ص 65
169- الكليني، الكافي، ج2 ص 219 و220 و223 و 226

والله لئن فعلتم ذلك إنه لخير لي ولكم، و أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية.[170]

ولم يكن استخدام سياسة التقية فقط في الافتاء في مجال الاحكام الفقهية، وانما امتد الى جرح بعض الأصحاب والتلاميذ المخلصين، مثل زرارة بن أعين، الذي وردت فيه أحاديث مادحة وأخرى ذامة، فقد روى أبو عمرو محمد بن عمر الكشي (350 هـ) بسند موثق عن الحسين بن زرارة قال قلت لأبي عبد الله (ع): إن أبي يقرأ عليك السلام ويقول لك: جعلني الله فداك إنه لا يزال الرجل والرجلان يقدمان فيذكران أنك ذكرتني وقلت فيَّ ، فقال: أقرئ أباك السلام وقل له: إنا والله أحب لك الخير في الدنيا وأحب لك الخير في الآخرة ، وأنا والله عنك راض ، فما تبالي ما قال الناس بعد هذا.

وفي رواية أخرى: إقرأ مني على والدك السلام وقل له: إني أعيبك دفاعاً مني فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه ، وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه ، ويحمدون كل من عبناه ، فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا ، وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا وميلك إلينا ، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دفع شرهم عنك، يقول الله عزّ وجلّ: ( أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) ولقد كانت صالحة ليس للعيب منها مساغ والحمد لله ، فافهم المثل يرحمك الله فإنك والله أحب الناس إليَّ ، وأحب أصحاب أبي عليه السلام حياً وميتاً ، فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، وإن ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ، ورحمة الله عليك حياً وميتاً ورضوانه عليك ميتاً ، ولقد أدى إليَّ ابناك الحسن والحسين رسالتك أحاطهما الله وكلاهما ، وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين ، فلا يضيقن صدرك من الذي أمرك أبي (ع) وأمرتك به ، وأتاك أبو بصير بخلاف الذي أمرناك به فلا والله ما أمرناك ، ولا أمرناه إلا بأمر وسعنا ووسعكم الأخذ به ، ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعان توافق الحق...".[171]

**الوقوع في شرك الغلو**

---

[170]- الكليني، الكافي ج2 ص 220 – 226 و المجلسي، بحار الأنوار ج 72 ص 412

[171]- الطوسي، اختيار معرفة الرجال لأبي عمرو الكشي، ترجمة زرارة بن أعين، ص 249

ولكن سياسة الإفتاء المزدوج في الحديث بين الظاهر والباطن، والسري والمعلن (تقية) كانت تزيد الطين بلة، وتسمح للغلاة بأن ينسبوا ما يشاءون من أفكار منحرفة ونظريات متطرفة، الى الامام الباقر (والأئمة من بعده) كما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي، أحاديث سرية تتضمن مفاهيم متطرفة مغالية غير معقولة ولا منسجمة مع الخط العام الظاهر لأحاديث الباقر، مثل هذا الحديث الذي يرويه جابر، قال: "قال أبو جعفر (ع): يا جابر، حديثنا صعب مستصعب ، أمردُ ذِكْوار ، وعِرٌ أجرد ، لا يحتمله والله إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو مؤمن ممتحن ، فإذا ورد عليك يا جابر شئ من أمرنا فلان له قلبك ، فاحمد الله ، وإن أنكرته فرده إلينا أهل البيت ولا تقل كيف جاء هذا؟ أو كيف كان؟ وكيف هو؟ فإن هذا والله الشرك بالله العظيم".[172]

وادعى جابر بأنه روى عن الباقر **خمسين ألف أو سبعين الف حديث سري "**لم أحدثها أحداً قط ، ولا أحدث بها أحداً أبداً." ولم يقل جابر حول ماذا كانت، وانه قال لأبي جعفر الباقر: "جعلت فداك ، إنك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحداً ، فربما جاش في صدري ، حتى يأخذني منه شبه الجنون . قال: يا جابر فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبان ، فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ، ثم قل: حدثني محمد بن علي بكذا وكذا ".[173]

ولم يقل لنا جابر: لماذا أن حديث أهل البيت صعب مستصعب، وقد قال الله تعالى عن القرآن الكريم في أربع آيات في سورة القمر: " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"؟ ولماذا يجب ان نتوقف أو نرد الأحاديث غير المعقولة وغير المنسجمة مع العقيدة الإسلامية الواضحة والصريحة والثابتة؟ ما هو الجديد الذي يزعم جابر أن الامام الباقر قد جاء به؟

وقد استغل بعض الغلاة والمنحرفين مثل أبي الخطاب محمد بن مقلاص الأسدي، ظاهرة (التقية) أو ازدواج الأحاديث الصادرة عن الأئمة، فزعم بأن الأئمة أنبياء، ثم أشاع القول بأن الأئمة آلهة وقد حل الإله في الامام الصادق، ونسب القول اليه، ولما قام الإمام الصادق بلعنه والتبرؤ منه، حاول الالتفاف على لعن الإمام له، وبراءته منه، بتأويل كلامه، فقال: إن الإمام يريد رجلا آخر في البصرة يسمى قتادة البصري ويكنى بأبي الخطاب، ولما نقل إلى الإمام الصادق تحريفه لكلامه قال: والله ما عنيت إلا محمد بن مقلاص بن أبي زينب الأجدع البراد عبد بني أسد. ومع ذلك فقد قال أبو الخطاب : إن أبا عبدالله الصادق يريد بلعنه إيانا في

---

[172]- الخوئي، عن الكشي، معجم رجال الحديث، ج4 ص 341

[173]- الخوئي، عن الكشي، معجم رجال الحديث، ج4 ص 341

الظاهر أضدادنا في الباطن، وتأول قول الله تعالى:"واما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" بأن السفينة أبا الخطاب وأن المساكين أصحابه، وان الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى والي الكوفة العباسي.[174]

وبما أن مقولات الغلاة ونظرياتهم وأفكارهم المنحرفة التي ينسبونها للأئمة، كانت تصطدم بمباديء الدين الاسلامي وصريح القرآن والعقل، بحيث كانت تثير اشمئزاز الشيعة وتدفعهم لرفضها بشدة.[175] وتكفير من يدين بها.[176] فقد كان الغلاة يحاولون تمريرها بالاعتراف بأنها صعبة فعلا، ولكن على الشيعة قبولها والتسليم بها، والادعاء على لسان الأئمة بأن "حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان". كما في الروايات التالية التي ينقلها الصفار:

عن جابر قال: قال أبو جعفر (ع): قال رسول الله (ص): "ان حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله والى الرسول والى العالم من آل محمد و إنما الهالك ان يحدث أحدكم بشئ منه لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا ثلثا".[177]

وعن حنان عن أبيه عن أبي جعفر (ع) أنه قال: يا أبا الفضل لقد أمست شيعتنا أو أصبحت على أمرنا، ما أقر به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان". [178]

وعن أبي الصامت قال أبو عبد الله (ع): "ان حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن.

---

[174] - الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 55 وقد مر بنا قبل قليل أن الإمام الصادق استخدم هذه الآية في تبرير لعن زرارة ظاهريا من أجل التغطية عليه.

[175] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 1 و 2 و3 و 4

[176] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح رقم 7 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 22 ح رقم 1

[177] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 40

[178] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 47

قلت فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: نحن نحتمله، (وفي رواية أخرى): من شئنا يا أبا الصامت. قال أبو الصامت فظننت ان لله عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثة".[179]

وانه قال: " والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله (ص) بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت".[180]

وادعى الغلاة بأن الصادق أرجع أيضا الرفض أو القبول لأحاديثه إلى طينة الإنسان، فقال لأبي بصير :" يا أبا محمد إن عندنا والله سراً من سرِّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان... ثم قال: إن الله خلق أقواما لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وقالوا ساحر كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك...".[181]

وتراجع الغلاة عن مواقفهم قليلا، فاعترفوا بعدم استعداد عامة الشيعة للإيمان بمقولاتهم الصعبة، أو احتمالها، فادعوا بأن الشيعة ليسوا كلهم أهلا لها ولا موضعا للإيمان بها، ما عدا بعض الأقوام الذين "خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمدا وذريته" فقبلوه . وحاول الغلاة إغراء بعض الشيعة للتسليم بكل ما يقولون حتى يحوزوا على فضل المشاركة في الخلق من طينة آل محمد، كما تقول هذه الفقرة من الحديث:" فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه". كما حاولوا تهديد الرافضين والمعارضين وإرهابهم بالقول على لسان الأئمة:" إن الله خلق أقواما لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وقالوا ساحر كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك".[182]

وزعم الغلاة أن الإمام الصادق أوصاهم قائلا: "من سرَّه أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد، فيما أسروا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني".[183] وقال أبو بصير قال أبو عبد الله:" قول الله عز وجل: " الذين يستمعون القول

---

[179] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 51 وربما كان ذلك تحريفا أو تصحيفا للحديث، ولكنه أثار علامة استفهام كبرى عند الشيعة في الأجيال اللاحقة، فكتب أحدهم إلى الإمام علي الهادي يستفسر منه عن معنى الحديث، فجاء الجواب:" إنما معنى قول الصادق ( لا يحتمله ملك ولا نبي ولا مؤمن): أن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، والنبي لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره فهذا معنى قول جدي عليه السلام". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 2 و 4

[180] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 2

[181] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 5

[182] - هذا إذا صحت الأحاديث عن الصادق، ولا يبدو أنها صحيحة.

[183] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلمين، ح رقم 6

فيتبعون أحسنه" : هم المسلِّمون لآل محمد، الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جاءوا به كما سمعوه".[184]

وادعى سفيان بن السيط (السمط) أنه اشتكى لأبي عبد الله فقال: إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه، فقال أبو عبد الله: أليس عني يحدثكم؟ قال: بلى، قال: فيقول لليل أنه نهار وللنهار أنه ليل؟ قال: لا ، فقال:" رده الينا فانك إن كذبت فإذاً تكذبنا".[185]

## تراجع بعض الشيعة عن الامامة

وقد تسبب الإفتاء المختلف من الامام الباقر (تقية) ردة فعل من أحد أصحابه، وهو عمر بن رياح، ودفعه الى التراجع مع مجموعة من الشيعة، عن الايمان بامامة الباقر، كما يقول العالم الرجالي الشيعي أبو عمر الكشي في ترجمة عمر بن رياح : "قيل إنه كان أولا يقول بامامة أبي جعفر (ع) ثم إنه فارق هذا القول وخالف أصحابه، مع عدة يسيرة تابعوه على ضلالته، فإنه زعم أنه سأل أبا جعفر (ع) عن مسألة فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه في عام آخر وزعم أنه سأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبي جعفر (ع): هذا بخلاف ما أجبتني في هذه المسألة عامك الماضي، فذكر أنه قال له: إن جوابنا خرج على وجه التقية، فشك في أمره وإمامته، فلقي رجلا من أصحاب أبي جعفر (ع) يقال له :محمد بن قيس، فقال: إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب، ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف الجواب الأول، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: فعلته للتقية، وقد علم الله أنني ما سألته إلا وأني صحيح العزم على التدين بما يفتيني فيه وقبوله والعمل به، ولا وجه لاتقائه إياي، وهذه حاله. فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه؟
فقال: "ما حضر مجلسه في واحد من الحالين غيري، لا، ولكن كان جوابه جميعا على وجه التخيل، ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته، وقال: لا يكون إمام يفتي بالباطل على شئ من الوجوه، ولا في حال

---

[184] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلمين، ح رقم 9

[185] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 22 ح رقم 3

من الأحوال، ولا يكون إمام يفتي بتقية من غير ما يجب عند الله ..." فمال إلى سنته بقول البترية ومال معه نفر يسير".[186]

وقد تراجع عن القول بامامة جعفر الصادق، رجل آخر هو سليمان بن جرير الرقي، الذي قال: "... لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال و الحرام وغير ذلك من صنوف ابواب الدين فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم و كتبوه ودونوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد و تفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة وفي مسائل مختلفة اجوبة متفقة فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف و التخليط في جواباتهم و سألوهم عنه و انكروه عليهم فقالوا: من اين هذا الاختلاف و كيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم:" إنما أجبنا بهذا للتقية ولنا أن نجيب بما احببنا وكيف شئنا لأن ذلك إلينا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم". فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ومتى يعرف لهم حق من باطل؟".
فمال إلى سليمان بن جرير هذا لهذا القول جماعة من أصحاب أبي جعفر وتركوا القول بامامة جعفر.[187]

**ف 4 – الامام الباقر والتصدي السياسي**

وجد الامام أبو جعفر محمد بن علي الباقر نفسه، بعد وفاة والده عام 95 أمام مجموعة من القيادات الشيعية المتنافسة:

1- كاخيه الامام زيد بن علي (-122هـ)
2- وابن عمه الحسني عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن (70-145).
3- وابن عمه العلوي أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (- 98هـ) زعيم الشيعة الكيسانية.
4- وابن عمه الجناحي عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار (-132هـ) الذي ادعى الوصية من أبي هاشم.
5- والعباسي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (-125هـ) الذي ادعى الوصية من أبي هاشم أيضا، ثم ابنه ابراهيم الإمام أخي السفاح والمنصور.

---

186 - الخوئي، معجم رجال الحديث، ج 14 ص 36 رقم – 8751 عن الكشي، ترجمة:عمر بن رياح

187 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 64-66

6- وبيان بن سمعان النهدي التميمي (-119)) وهو من السبئية المنخرطين في الحركة الكيسانية، وقد تصدى لتأسيس فرقة (البيانية) بعد وفاة أبي هاشم.
7- وعبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، الذي ادعى الزعامة بعد وفاة أبي هاشم.

ولذلك وجد الباقر نفسه أمام مهمة كبيرة تتمثل بالتصدي لقيادة الشيعة، وممارسة حقه في الزعامة كواحد من الهاشميين. وكما رأينا في الفصل الماضي، فقد شق الامام الباقر طريقه نحو الامامة الشيعية على أساس العلم الذي كان يمتاز به عن سائر القيادات الشيعية الأخرى، وأضاف اليه، في معركته السياسية، أمورا أخرى.

**أ - شعار "أهل البيت" في مقابل "العترة"**

وبما أن العباسيين والطالبيين (آل جعفر وآل عقيل) كانوا يستندون في بناء شرعيتهم السياسية إلى دعوى كونهم من العترة النبوية؛ اعتمادا على تفسيرهم الخاص لآية: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى". (الشورى 23) التي كانت تشمل (حسب ذلك التفسير) جميع العوائل الهاشمية المتنافسة في ذلك الوقت.[188] وحديث الثقلين: "إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي".[189] الذي كان يشمل كل من له علاقة نسبية بالرسول، لأن "العترة" حسب

---

[188] - حيث كان العباسيون والطالبيون يجادلون بأنهم مع العلويين أبناء عم الرسول، وأنهم جميعا ينضوون تحت عنوان عام هو "عترة الرسول" لأن "العترة" حسب اللغة: هم أقرباء الرجل الذين يشتركون معه في "العتر" أي الذكر، وتطلق على الأبناء وأبناء العم. كما يقول الفيروزآبادي، في القاموس المحيط: العَتْر، والعِتْر، جمع: عتور: الذكر، الفروج المنعضة، والعِترة: نسل الرجل، ورهطه، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر.
وذكر الطبري:" أن أبا العباس (عبد الله بن محمد بن علي السفاح) لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة .. قال: الحمد لله الذي ... خصنا برحم رسول الله (ص) وقرابته وأنشأنا من آبائه وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وقال: (وأنذر عشيرتك الأقربين) وقال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى) وقال: (واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمه وللرسول ولذي القربى واليتامى) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم". الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 6 ص 82

[189] - ورد حديث "الثقلين" بعدة صيغ، منها: إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجل وعترتي، فقط، ومنها بصيغة: أهل بيتي، ومنها بصيغة تجمع الاثنين: عترتي أهل بيتي. وقد ذكر مسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب ، كتاب فضائل الصّحابة : حديثا عن زيد بن أرقم يضع "أهل البيت" مكان "العترة". قال :" قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثم قال : أما بعد ، ألا أيّها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أنْ يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه . ثم قال: وأهل بيتي . أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي . فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكنْ أهل بيته من حرم الصّدقة بعده . قال : ومن هم؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ". وورد الحديث في سنن الترمذي جامعا للكلمتين:"عترتي أهل بيتي". 3|26

اللغة: هم أقرباء الرجل الذين يشتركون معه في "العتر" أي الذكر، وتطلق على الأبناء وأبناء العم. لهذا كان على محمد الباقر أن يضيق دائرة الشرعية، ويفند دعاوى العباسيين والطالبيين، ويؤسس دعوته للإمامة السياسية على أساس جديد مغاير، ويقدم حجة أقوى تسمح له بإفحام خصومه تمهيدا للتفرد بالزعامة، ودعوة الناس إليه دون غيره.

ولكي يخرج الباقر أبناء عمه من حلبة الصراع، قام أولاً بطرح شعار "أهل البيت" في مقابل شعار "العترة" الذي كان يتشبث به العباسيون والطالبيون. وخطب في المدينة قائلا: "قد بلغ رسول الله (ص) الذي أرسل به فألزموا وصيته وما ترك فيكم من بعده من الثقلين كتاب الله وأهل بيته اللذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تركهما". وقام بتفسير كلمة "أهل البيت" الواردة في القرآن الكريم في سورة الأحزاب: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" بأن المقصود منها: "الأئمة" من نسل الرسول، الذين أوصى بهم وأمر باتباعهم.[190] وقال :" نحن والحمد لله لا ندخل أحدا في ضلالة ولا نخرجه من هدى، إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عز وجل رجلا منا (أهل البيت) يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكرا إلا أنكره".[191] وروى عن رسول الله (ص) أنه قال:" أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي".[192]

وقال الامام الباقر لجَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ: لَمَّا أُنْزِلَتْ **"يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ"** قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَ لَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): "أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ وَ لَكِنْ سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مِنَ اللَّهِ يَقُومُونَ فِي النَّاسِ فَيُكَذِّبُونَهُمْ وَ يَظْلِمُونَهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ وَ أَشْيَاعُهُمْ أَلَا فَمَنْ وَالاهُمْ وَ اتَّبَعَهُمْ وَ صَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنِّي وَ مَعِي وَ سَيَلْقَانِي أَلَا وَ مَنْ ظَلَمَهُمْ وَ أَعَانَ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَ كَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَ لَا مَعِي وَ أَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ".[193]

وفي محاولة أخرى منه للرد على العباسيين والطالبيين، قام الباقر بالاحتجاج بأن العلويين، أو الفاطميين بالخصوص، هم من صلب رسول الله (ص) وبالتالي فهم أحق بالإمامة من غيرهم. ولإثبات قرابته من رسول الله (ص) في مقابلهم، قال الباقر لأحد أصحابه المقربين (زياد بن المنذر العبدي) : يا أبا الجارود ما يقولون (العباسيون) لكم في الحسن والحسين؟ قال: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله (ص). قال: فأي شئ احتججتم عليهم؟ قال: احتججنا عليهم بقول الله (عز وجل) في عيسى ابن مريم (ع):" ومن ذريته

---

[190] - الكليني، الكافي، الروضة، ح رقم 5494 - 6

[191] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم، 597

[192] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، حديث رقم 4

[193] - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 155

داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ، و زكريا ويحيى وعيسى" فجعل عيسى ابن مريم من ذرية نوح (ع). قال أبو جعفر: فأي شئ قالوا لكم؟ قال: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب. قال: فأي شئ احتججتم عليهم؟ قال أبو الجارود: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله (ص): " قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم". قال أبو جعفر الباقر: فأي شئ قالوا؟. قال: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا. فقال أبو جعفر: يا أبا الجارود لأعطينَّكها من كتاب الله (جل وتعالى) أنهما من صلب رسول الله (ص) لا يردها إلا الكافر. قال: وأين ذلك جعلت فداك؟ قال: من حيث قال الله تعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم" الآية.. إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: "وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم" فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله (ص) نكاح حليلتيهما؟ (أي زوجتي الحسن والحسين) فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا فهما ابناه لصلبه".[194]

وارتكز الباقر أيضاً على آية أولي الأرحام: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله". (الأحزاب 6)، ليحصر الإمامة في ذرية النبي. وقال:" إنها نزلت في الإمرة، فنحن أولى بالأمر وبرسول الله (ص) من المؤمنين والمهاجرين والأنصار".[195]

وبما أن هذه الآية - على هذا التفسير - كانت تشمل جميع أرحام النبي من العباسيين والطالبيين، فقد فسرها الباقر تفسيرا ثانيا بالذرية، وقال لعبد الرحيم بن روح القصير الذي سأله: هل لولد جعفر أو العباس أو سائر بطون بني عبد المطلب فيها نصيب؟ قال بصورة قاطعة:" لا، لا، لا".[196]

ويبدو أن الهدف من هاتين الروايتين إثبات الإمامة بالنص للإمام علي من أجل إخراج العباسيين والطالبيين من المنافسة حولها ومنعهم من ادعاء الحق بالإمامة باسم "العترة".

**ب - حصر الإمامة في الفاطميين وإخراج سائر العلويين منها**

وبعد ذلك، حاول الباقر أن يخرج أبناء عمه العلويين واحداً واحداً من المنافسة معه، بدعوى اختصاص الإمامة بأشخاص معينين من أبناء علي. واعتبار ادعاء الإمامة "دون حق" افتراء على الله، حتى وإن كان المدعي من ولد علي بن أبي طالب. فانتقل إلى الخطوة التالية، وهي حصر الإمامة في الفاطميين ثم في الحسينيين، فقام بإخراج عمه محمد بن الحنفية (وبالتالي أبناءه زعماء الحركة الكيسانية) من وراثة الإمامة، فقال: "إن عليا لما حضره الذي حضره دعا ولده وكانوا اثني عشر ذكرا فقال لهم: يا بني ... إن هذين ابنا

---

[194] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 501

[195] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

[196] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

رسول الله (ص) الحسن والحسين، فاسمعوا لهما وأطيعوا، ووازروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني عليه رسول الله (ص) مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه. فأوجب الله لهما من علي ما أوجب لعلي من رسول الله (ص) ... ثم إن الحسن حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين، ثم إن حسينا حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين - فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين مبطونا لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا".[197]

وقد أثار الباقر في حوار مع ابن عمه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، في المسجد النبوي، موضوع النسب الفاطمي كدليل على أحقيته بالإمامة، فقال له:" قل ما بدا لك فأنا ابن فاطمة وأنت ابن الحنفية".[198]

وقال الامام الباقر للكيسانية: " إن رسول الله (ص) أوصى إلى علي والحسن والحسين فلما مضى علي أوصى إلى الحسن والحسين، ولو ذهب يزويها عنهما لقالا له: نحن وصيان مثلك ولم يكن ليفعل ذلك، وأوصى الحسن إلى الحسين ولو ذهب يزويها عنه لقال: أنا وصي مثلك من رسول الله (ص) ومِن أبي. ولم يكن ليفعل ذلك، قال الله عز وجل: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" هي فينا وفي أبنائنا".[199]

وبالرغم من كل محاولات الامام الباقر لسحب الشرعية من زعيم الشيعة الكيسانية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، الا ان هذا احتفظ بقيادة الشيعة العليا في العقدين الأخيرين من القرن الأول الهجري، وكان يقود تنظيما سريا معارضا للأمويين، وكانت الكيسانية ترى أن عليا أوصى بالإمامة بعده، إلى ابنه محمد ابن الحنفية، وأنها انتقلت من محمد إلى ابنه عبد الله فقام هذا بأمرهم.

وعلم الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بشئ من خبره، فدس له من سقاه السم في الشام، فلما أحسن بالموت ذهب إلى محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس وهو بالحميمة (قرب معان) فعرفه حاله، وصرف إليه شيعته، وأعطاه كتبا كانت عنده، وأفضى إليه بأسراره. وعندما احتضر قال لَهُ الْخُرَاسَانِيَّةُ: مَنْ تَأْمُرُنَا نَأْتِي بَعْدَكَ؟ قَالَ: هَذَا، قَالُوا: وَمَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا محمد بن علي بن عبد الله بن عَبَّاسٍ، قَالُوا: وَمَا لَنَا وَلِهَذَا؟ قَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْهُ وَلا خَيْرًا مِنْهُ، فَاخْتَلَفُوا إِلَيْهِ.

وقد فتحت وفاة أبي هاشم عام 98 الطريق أمام الباقر لقيادة الشيعة في بداية القرن الثاني الهجري، رغم تفرق الحركة الكيسانية إلى فرق صغيرة أخرى جناحية وعباسية راوندية

---

197 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

198- القاضي أبو حنيفة النعمان التميمي المغربي ( ت 363) ، شرح الأخبار في فضائل الائمة الأطهار، ج 3 ص 284 ، المكتبة الشيعية شيعة أون لاين

199 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 7

وحربية وبربرية وبيانية. الا ان نسبة كبيرة من جماهير الحركة الكيسانية – فيما يبدو - تحولت إلى الايمان بامامة الإمام الباقر وإعلان الولاء له.

### ج - وراثة سلاح رسول الله (ص)

واذا كانت تلك الوصايا من النبي للامام علي، ومن الامام الى ابنيه الحسن والحسين، ومن الحسين الى ابنه علي، غير معروفة أو غير معترف بها من قبل البيوت الشيعية المختلفة المتنافسة، فقد طرح الامام محمد الباقر موضوع (وراثة سلاح رسول الله). وقال: "السّلاح فينا بمنزلة التّابوت إذا وضع التّابوت على باب رجل من بنى إسرائيل وقد أوتي الملك، كذلك السّلاح حيث ما دارت دارت الامامة". [200]

وبناء على دلالة امتلاك السلاح من أي أحد، على الامامة، قال الامام الباقر: ان امامة علي بن ابي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر، قد ثبتت بوراثتهم لسلاح رسول الله، وانّ رسول الله (ص) لمّا قبض ورث علىّ (ع) سلاحه. [201] وإن الإمام أمير المؤمنين دفع إلى ابنه الحسن، **الكتاب والسلاح** وقال له: يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم اقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين. ثم قال له: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك محمد، **واقرأه من رسول الله (ص) ومني السلام**.[202]

وهكذا حاول الامام الباقر أن يثبت امامة أبيه زين العابدين بوراثة ذلك السلاح، ونفي امامة محمد بن الحنفية بعدم وراثته لسلاح رسول الله.

---

[200] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 180 و182 و183 و200 و 202 والكليني، الكافى: 1/ 238

[201] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 177

[202] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5 وتكملة لهذه الرواية يقول أبو عبد الله جعفر بن محمد:" إن الحسن استدعى عند موته أخاه محمد بن الحنفية وحذره قائلا:"يا محمد بن علي إني أخاف عليك الحسد...أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله جل اسمه في الكتاب، وراثة من النبي (ص) أضافها الله عز وجل له في وراثة أبيه وأمه، فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمدا (ص) واختار محمد عليا، واختارني علي بالإمامة، واخترت أنا الحسين". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسين بن علي، ح رقم 2

وقال لحمران بن أعين: أ لا يقولون (الكيسانية) عند من كان سلاح رسول الله (ص) وما كان في سيفه من علامة كانت فى جانبيه ان كانوا يعلمون؟ ثمّ قال: إنّ محمّد بن علىّ (ابن الحنفية) كان يحتاج إلى بعض الوصيّة أوالى شيء ممّا فى وصيّة فيبعث الى على بن الحسين فينسخه له . [203]

وبعد الانتهاء من المعركة مع الكيسانية، دخل الامام الباقر في معركة أخرى مع أبناء عمه الحسنيين الذين كان يتزعمهم عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن، ويحاول قيادة عموم الشيعة ويدعي أيضا امتلاكه لسلاح رسول الله. مما دفع الباقر ليتساءل في معرض تفنيد دعاوى بني عمه: "ألا يقولون عند من كان سلاح رسول الله ؟..وما كان في سيفه من علامة كانت في جانبيه إن كانوا يعلمون؟". [204]

وبما أن آية أولي الأرحام " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" كانت – حسب تفسير الباقر السابق - تشمل أبناء الحسن والحسين، فقد قام الباقر، باتهام أبناء عمه بالكذب على الله بادعائهم الإمامة، وأوَّلَ هذه الآية: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" بهم، ثم فسرها بقوله: "من قال إني إمام وليس بإمام.. وإن كان علويا".[205] وفي رواية أخرى: "وإن كان فاطميا علويا".[206] وعندما سأله عبد الرحيم القصير: هل لولد الحسن فيها (إي في الإمرة) نصيب؟ قال: "لا والله، يا عبد الرحيم ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا، وإن هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده".[207]

ولكن الباقر لم يقدم أي دليل على حصر الامامة في ذرية الحسين دون بني الحسن. ولذلك فقد أثار حصر الباقر للإمامة في ولد الحسين، ابنَ عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن الذي رد عليه قائلا:" كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة؟ وهما في الفضل سواء؟ ألا إن للحسن على الحسين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل".[208] وحسبما يقول الاصفهاني في (مقاتل الطالبيين) فان عبد الله بن الحسن لم يزل منذ كان صبياً يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه،

---

[203] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 178

[204] - الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص، 176 و 178

[205] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 1

[206] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 3

[207] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

[208] - ولذلك ذهب قسم من الشيعة في تلك الأيام (كالجارودية) إلى أن الإمامة في أعقاب الحسن والحسين. المفيد، الثقلان، ص 10

ويسمى بالمهدي، ثم ادعاها لابنه محمد، وحجبه عن الناس .[209] مما دفع الباقر للرد عليه، فقال: "كذبوا والله، أَوَ لم يسمعوا الله تعالى يقول:" وجعلها كلمة باقية في عقبه" فهل جعلها إلا في عقب الحسين؟".[210]

**د - ولاية الدم**

وحسب رواية ينقلها العياشي في تفسيره، فإن الباقر حاول أن ينتقد الإمام الحسن بسبب تنازله لمعاوية، وأن يثبت حقه بالإمامة بناء على ولاية دم الحسين، فقال: " رحم الله عمي الحسن .. لقد غمد الحسن أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين، وأسلمها إلى معاوية .. وخرج الحسين صلوات الله عليه فعرض نفسه على الله في سبعين رجلا !.. مَن أحق بدمه منا ؟.. نحن والله أصحاب الأمر وفينا القائم ومنا السفاح والمنصور، وقد قال الله تعالى: "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا". نحن أولياء الحسين بن علي وعلى دينه".[211]

**وهكذا نصل الى محاولة اثبات الباقر الامامة لنفسه، فيقول:**

- ان الامام زين العابدين أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده فقال: يا محمد إحمل هذا الصندوق، قال فحُمل بين أربعة. فلما توفي جاء إخوته يدَّعون ما في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق فقال: والله ما لكم فيه شئ ، ولو كان لكم فيه شئ ما دفعه إليَّ . وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه.[212]

وقد خاض الإمام الباقر معركة أخيرة في إثبات الإمامة بالوراثة لشخصه من بين اخوته العشرة.[213] لا سيما وأن الناس كانوا يتساءلون: "ما بالها أبطحت من ولد أبيه مَن له مثل

---

[209] - الاصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص 239 ويؤكد ذلك ابن أخي الزهري، الذي يقول: تجالسنا بالمدينة أنا وعبد الله بن حسن فتذاكرنا المهدي فقال عبد الله بن حسن: المهدي من ولد الحسن بن علي. فقلت: يأبى ذاك علماء أهل بيتك. فقال عبد الله: المهدي والله من ولد الحسن بن علي ، ثم من ولدي خاصة. المزي، يوسف (654-742) تهذيب الكمال في أسماء الرجال 467/25.

[210] - الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص 246

[211] - العياشي، التفسير، ج 2 ص 291

[212] - الكليني، الكافي:305/1 ، والصفار، بصائر الدرجات، ص 180

[213] - حيث كان له عشرة اخوة وفيهم من هو أكبر منه، وهم: عبد الله، الحسن، الحسين، زيد، عمر، الحسين الأصغر، عبد الرحمن، سليمان، علي، محمد الأصغر.

قرابته ومن هو أكبر منه (مثل عبد الله الباهر) وقصرت عمن هو أصغر منه (مثل زيد)؟".[214] فاعتمد الباقر في حصر الإمامة فيه من بين اخوته، على دعوى الوصية إليه من أبيه ووراثته لسلاح رسول الله، حيث قال:

- "يعرف صاحب هذا الأمر بثلث خصال لا تكون في غيره، هو أولى الناس بالذي قبله وهو وصيه، وعنده سلاح رسول الله (ص) ووصيته وذلك عندي لا أنازع فيه".[215] وقال إن أباه ورث سلاح رسول الله، من أبيه وجده فاختصه به عند وفاته، وكان يوجد في سفط، وعندما نازعه اخوته على السفط، قال لهم:" والله ما لكم فيه شيء ، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي".[216] وفي رواية أخرى يعتمد الباقر على توافق سلاح رسول الله مع جسد الإمام، كعلامة من علامات الإمامة، بحيث "إذا لبس درع رسول الله (ص) كانت عليه وفقا وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبرا...".[217]

**هـ - العلم**

وبالرغم مما يقال من وجود تنسيق بين الباقر وأخيه زيد.[218] فان بعض الروايات تتحدث عن وجود منافسة قوية للباقر من أخيه زيد بن علي الذي رفع راية الجهاد والثورة، وقال: "ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من منع حوزته وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه".

مما أدى إلى التفاف كثير من الشيعة حول زيد، وخاصة في الكوفة التي أرسل أهلها إليه كتبا يدعونه فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويطلبون منه الخروج. وهنا قام الباقر بطرح موضوع "العلم" وسأل أخاه قائلاً:

- هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت بهم إليه ودعوتهم إليه؟ فقال زيد:

---

214 - يقول الصفار: حدثنا محمد بن أحمد عن محمد بن عيسى عن حماد بن عيسى عن عبد الاعلى عن أبي عبد الله (ع) قلت: إن الناس يتكلمون في أبى جعفر يقولون ما بالها ابطحت (تخطت) من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أكبر منه وقصرت عمن هو أصغر منه؟ الصفار، بصائر الدرجات، ص 202

215 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 4، باب (4) ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله ص وآيات الأنبياء ، ح رقم 28

216 - أو دعوى وراثة الكتاب. الصفار، بصائر الدرجات، ص 180 والكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

217 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة 8

218 - كما في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا، أنه قال للمأمون، وهو يحدثه عن زيد بن علي، أنه كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى لله من ذلك، انه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد. العاملي ، وسائل الشيعة، كتاب الجهاد.

- بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا من رسول الله ولما يجدون في كتاب الله (عز وجل) من وجوب مودتنا وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء . فقال له الباقر:
- إن الطاعة مفروضة من الله عز وجل، وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين، والطاعة لواحد منا والمودة للجميع، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحكم مقضي وقدر وأجل مسمى لوقت معلوم، فلا يستخفنك الذين لا يوقنون .. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فلا تعجل، فان الله لا يعجل لعجلة العباد، ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصرعك.. وقال: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئا مما نسبتها إليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله أو حجة من رسول الله أو تضرب به مثلا؟.. فإن الله عز وجل أحل حلالا وحرم حراما ، وفرض فرائض وضرب أمثالا وسن سننا ، ولم يجعل الإمام القائم بأمره شبهة فيما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله أو يجاهد فيه قبل حلوله ...فجعل لكل شيء أجلا ولكل اجل كتابا، فإن كنت على بينة من ربك ويقين من أمرك وتبيان من شأنك فشأنك، وإلا فلا ترومنَّ أمراً أنت منه في شك وشبهة ، ولا تتعاطَ زوال ملك لم تنقض أكله ولم ينقطع مداه، ولم يبلغ الكتاب أجله ، فلو قد بلغ مداه وانقطع أكله وبلغ الكتاب أجله لانقطع الفصل وتتابع النظام ولأعقب الله التابع والمتبوع الذل والصغار، أعوذ بالله من إمام ضل عن وقته فكان التابع فيه أعلم من المتبوع، أتريد يا أخي أن تحيي ملة قوم قد كفروا بآيات الله وعصوا رسوله؟ أعيذك بالله يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة".[219]

ويحتمل أن تكون هذه الرواية التي ينقلها الكليني موضوعة في وقت متأخر على لسان الباقر، إذ أنها تقول مرة :" بأن الطاعة مفروضة من الله لواحد من أهل البيت والمودة للجميع" وتقول مرة أخرى: "فإن كنت على بينة من ربك ويقين من أمرك وتبيان من شأنك فشأنك". وتتهم في النهاية زيد بأنه "يريد أن يحيي ملة قوم قد كفروا بآيات الله وعصوا رسوله" علما بأن زيد لم يرد سوى الثورة ضد الأمويين. لذا فان الأرجح أن تكون هذه الرواية مختلقة من قبل الإمامية الذين قاموا بنسبتها زورا إلى الإمام الباقر.

وكما نعلم فقد أعلن الامام زيد الثورة ضد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك اعتمادا على مبدأ (أولي الأرحام) قائلا:" إنـا أرحام رسول الله أولى بالملك والإمرة " و دعا إلى نصرة (أهل البيت)، بصورة عامة ، وقال: "إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله سواء ورد المظالم وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا".[220]

---

[219] - الكليني، الكافي، 1/ 356- 357 كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 16.

[220] - الطبري، تاريخ الطبري، ج 5 ص 493 " وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين

## ف 5 - الامام الباقر والخلفاء الأمويين.. من الولاء الى المعارضة

ولد الامام محمد الباقر في السنوات الأخيرة من حكم معاوية بن أبي سفيان، وشهد معركة كربلاء في محرم 61 واستشهاد جده الامام الحسين، وأهل بيته وأصحابه، وكان له من العمر اربع سنين، كما شهد بعد ذلك واقعة الحرة في المدينة المنورة عام 63 ولكنه كان بمعزل مما جرى فيها من الثورة الشعبية والقمع الاموي، بسبب اعتزال وحياد والده الامام زين العابدين علي بن الحسين، ولم يلبث أن خضع الحجاز مع عدد من البلاد الإسلامية كمصر والعراق لحكم عبد الله بن الزبير، الذي استمر حوالي عشر سنوات، حتى قضاء الحجاج عليه عام 73 وفرض حكم عبد الملك بن مروان، الذي استمر حتى وفاته عام 86 ثم حكم الوليد بن عبد الملك الذي استمر حتى وفاته عام 96

وكان الامام الباقر خلال هذه الفترة يعيش في ظل ابيه معتزلا النظام والمعارضة، فيما كان يقود الشيعة الامام محمد بن الحنفية (ت 80) ثم ابنه أبو هاشم عبدالله، الذي توفي مسموما عام 98 في عهد سليمان بن عبد الملك.

ولا توجد في التاريخ أية مؤشرات على انغماس الباقر بالشأن السياسي العام أو التصدي لقيادة المعارضة الشيعية للنظام الأموي – المرواني، الا بعد وفاة والده الامام زين العابدين عام 95

وقد تعزز اهتمامه بالسياسة والتصدي لقيادة الشيعة بعد وفاة أبي هاشم عام 98 وهنا نقرأ أول بادرة لعلاقة مع الحكام الأمويين، وبالذات مع سليمان بن عبد الملك، الذي ارسل اليه الامام الباقر رسالة ودية، كشف عنها خليفته عمر بن عبد العزيز (الذي ولي الخلافة من 99 الى 101)، والذي ارسل اليه الباقر أيضا رسالة تميزت بنوع من الشدة، فقد روى المؤرخ الشيعي اليعقوبي: أن عمر بن عبد العزيز ذكر الإمام زين العابدين يوماً فقال: ذهب سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين! فقيل له: إن ابنه أبا جعفر محمد بن علي فيه بقية، فكتب عمر الى الباقر يختبره، فكتب الباقر إلى عمر كتاباً يعظه ويخوفه! فقال عمر: أخرجوا كتابه إلى سليمان فأخرج كتابه فوجده يقرظه ويمدحه، فأنفذ إلى عامل المدينة وقال له: أحضر محمداً وقل له: هذا كتابك إلى سليمان تقرظه وهذا كتابك إليَّ مع ما أظهرت من العدل

---

وقسم هذا الفئ بين أهله بالسواء ورد الظالمين وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يده ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد".

والإحسان! فأحضره عامل المدينة وعرفه ما كتب به عمر فقال: إن سليمان كان جباراً كتبت إليه بما يكتب إلى الجبارين، وإن صاحبك أظهر أمراً فكتبت إليه بما شاكله! وكتب عامل عمر إليه بذلك، فقال عمر: إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل.[221]

ولما دخل عمر بن عبد العزيز المدينة نادى مناديه: من كانت له مظلمة وظلامة فليحضر. فدخل إليه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن علي بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم ... فلما رآه استقبله وأقعده مقعده فقال (ع):

- "إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم وما يضرهم، وكم قوم ابتاعوا ما ضرهم فلم يصبحوا حتى أتاهم الموت، فخرجوا من الدنيا ملومين لمَّا لم يأخذوا ما ينفعهم في الآخرة فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم. فنحن والله حقيقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي نتخوف عليهم منها، فكف عنها واتق الله واجعل في نفسك اثنتين: إلى ما تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك وانظر إلى ما تكره أن يكون معك إذا قدمت على ربك فارمه ورائك. ولا ترغبن في سلعة بارت على من كان قبلك فترجو أن يجوز عنك، وافتح الأبواب وسهل الحجاب، وأنصف المظلوم ورد الظالم. ثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان بالله".

فجثا عمر على ركبتيه، ثم قال:

- إيه أهل بيت النبوة، قال:
- "نعم يا عمر، من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له".

فدعا عمر بدواة وبياض وكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما رد عمر بن عبد العزيز، ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم بفدك".[222] وقال: إن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لأبي عبد العزيز، فورثتها أنا وإخواني فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها فمنهم من باعني، ومنهم من وهب لي، حتى استجمعتها فرأيت أن أردها على ولد فاطمة !.[223]

---

221- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت 284)، تاريخ اليعقوبي 306/2

222- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الخصال، 105

223- الشريف المرتضى، الشافي في الامامة 102/4- 103

فسلمها إلى محمد بن علي الباقر (ع) وعبد الله بن الحسن، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز.[224]

وكان أهم عمل قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز، وترك أثرا طيبا في العلاقة بين الامويين والعلويين، هو ابطاله لمرسوم معاوية بلعن أمير المؤمنين (ع) في صلاة الجمعة.

وكان سبب ذلك كما يحكي عمر بن عبد العزيز نفسه: كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ونحن نلعن علياً ، فكره ذلك ودخل المسجد ، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي ، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسست منه بذلك ، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بنيَّ أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم ، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ! فقلت: يا أبت وهل كان علي من أهل بدر! فقال: ويحك ! وهل كانت بدر كلها إلا له ! فقلت: لا أعود ، فقال: آلله إنك لا تعود ! قلت: نعم فلم ألعنه بعدها . ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أميرالمدينة ، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوماً: يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل ، صرت ألكن عَيِيّاً ؟! فقال: يا بني ، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك ، لم يتبعنا منهم أحد ! فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري ، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ لأغيرنه ! فلما من الله عليَّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ". وكتب به إلى الآفاق فصار سنة.[225]

وقال ابن عساكر في (تاريخ دمشق):" حين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة بعث إلى الفقهاء فقربهم، وكانوا أخص الناس به، وبعث إلى محمد بن علي بن حسين أبي جعفر ... فقام فدخل فحدثه ساعة ... قال عمر فأوصني يا أبا جعفر، قال: أوصيك بتقوى الله واتخذ الكبير أباً والصغير ولداً والرجل أخاً، فقال: رحمك الله جمعت لنا والله ما إن أخذنا به وأماتنا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله ...

---

224- الاربلي، أبو الفتوح، كشف الغمة 117/2

225- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة 58/4

ثم قام وليس لأبي جعفر حاجة سأله إياها إلا قضاها له، وانصرف فلم يلتقيا حتى ماتا جميعاً ".[226]

بيد أن تلك العلاقة الطيبة بين الامام محمد الباقر وعامة العلويين والحكام الأمويين، لم تستمر طويلا، ولا سيما بعد تبوء هشام بن عبد الملك للسلطة عام 105، وقد توترت العلاقة بين الباقر وهشام عندما قام الأخير بالحج عام 106 وشاهد التفاف الحجاج حول الامام الباقر، في حادثة شبيهة بحادثته مع الامام زين العابدين، التي قال فيها الفرزدق قصيدته المعروفة: (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم).

**"هذا نبي أهل الكوفة ، هذا محمد بن علي "!**

وقد روى الكليني في (الكافي) عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر (ع) في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تَدَاكَّ عليه الناس؟ فقال: "هذا نبي أهل الكوفة، هذا محمد بن علي "![227]

وتفاقم غيظ هشام بن عبد الملك من الإمام الباقر بسبب خطبة ابنه الإمام جعفر الصادق في موسم الحج، التي تضمنت بعض المعاني السياسية، والتي جاء فيها بحسب المؤرخ الشيعي الطبري محمد بن جرير بن رستم (ت 410): " الحمد لله الذي بعث بالحق محمداً نبياً وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا والشقي من خالفنا . ومن الناس من يقول: إنه يتولانا وهو يتولى أعداءنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم ، فهو لم يسمع كلام ربنا ولم يعمل به ".[228]

ويحدثنا الامام الصادق نفسه عما حدث بعد ذلك فيقول: أخبر مسلمة بن عبد الملك أخاه، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشخصنا إليه فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطين متسلحين ... فلما طال الوقوف

---

[226]- ابن عساكر، تاريخ دمشق 268/54

[227]- الكليني ، الكافي، 120/8

[228]- الطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت 410)، دلائل الإمامة ص 233

غضب أبي وكان إذا نظر الى السماء نظر غضبان يتبين الغضب في وجهه ! فلما نظر هشام ذلك من أبي قال: إصعد يا محمد فصعد أبي السرير وصعدت، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، وأقبل على أبي بوجهه وقال:

- يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك ولله درك ...ثم أطرق هنيهة ورفع رأسه إلى أبي وقال: ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟ فقال أبي:
- نحن كذلك ولكن الله جل ثناؤه اختصنا بمكنون سره وخالص علمه، ما لم يختص أحداً غيرنا. فقال:
- أليس الله بعث محمداً من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها وأسودها وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة؟ ومن أين أورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي وما أنتم أنبياء! ".

وينقل الطبري الشيعي مرسلا، تفاصيل حوار طويل جرى بين الباقر وهشام، حول مصدر علم الأئمة من أهل البيت، ويقول في نهايته: ان هشام أطرق ثم رفع رأسه وقال للباقر: سل حاجتك . فقال: خلفت أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي! فقال: قد آمن الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم أكثر من يومك، فاعتنقه أبي وودعه وفعلت فعله، ونهض ونهضت. [229]

ولكني استبعد أن يكون هذا الحوار الجرئ حقيقيا في ظل التوتر والخوف من هشام.

وينقل الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي رواية يقول فيها: لما حمل أبو جعفر إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه ... قال هشام: يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الإمام سفهاً وقلة علم ! ووبخه بما أراد أن يوبخه ! فلما سكت أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبخه حتى انقضى آخرهم، فلما سكت القوم نهض (ع) قائماً ثم قال: " أيها الناس أين تذهبون وأين يراد بكم، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم ، فإن يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكاً مؤجلاً ، وليس بعد ملكنا ملك ، لأنا أهل العاقبة يقول الله عزّ وجلّ : والعاقبة للمتقين". فأمر به إلى الحبس ثم اطلق سراحه. [230]

---

[229]- الطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت 410)، دلائل الإمامة ص 233

[230]- الكليني، الكافي 1/ 471

وهذا ما استبعده أيضا، حيث ينطوي الكلام المنسوب للباقر، على تحد ظاهر لسلطة الأمويين، وإعلان بتبني الثورة ضدهم، أمام الملأ منهم. وهو ما يخالف سياسته الملتزمة بـ (التقية). في حين كان يفترض به وهو شبه مخفور، أن ينفي ما يقال عنه من الاعداد للثورة، حتى لو كان يعمل من أجلها في الخفاء. والا لما كان هشام يطلق سراحه ويعيده الى المدينة.

ومن المعروف أن الامام الباقر كان يختلف مع أخيه الامام زيد في نهجه الثوري، وأنه كان يصرف الأنظار عن نفسه، ويقول لمن كان يتوقع منه (القيام) وقيادة الثورة: انه ليس (القائم المهدي).

**هل كان الامام الباقر يمهد للثورة على الامويين؟**

**التبشير بالقائم**

بعد أن اصبح الامام الباقر الزعيم الشيعي الأول في بداية القرن الثاني الهجري، توجهت اليه أنظار الشيعة لقيادة الثورة ضد الأمويين، ولا سيما بعد أن اخذ ينتقد الحكام الأمويين ويقول: " إِنَّ أَئِمَّةَ الْجَوْرِ وَأَتْبَاعَهُمْ لَمَعْزُولُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَ الْحَقِّ، قَدْ ضَلُّوا بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا -كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ" ويقول: " أَرْبَعٌ مِنْ قَوَاصِمِ الظَّهْرِ مِنْهَا إِمَامٌ يَعْصِي اللَّهَ وَ يُطَاعُ أَمْرُهُ". و"قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً جَائِراً لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً وَ لَأَعْفُوَنَّ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً هَادِياً مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً".[231]

وقدم صورة مستقبلية لما سيحدث للأمويين من هزيمة وانهيار وهروب إلى بلاد الروم، عند قيام القائم.[232]

وحسبما ينقل الكليني بسنده عن الحكم بن أبى نعيم قال :أتيت أبا جعفر (ع) وهو بالمدينة فقلت له: علىّ نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا ؟ فلم يجبنى بشيء فأقمت ثلاثين يوما، ثمّ استقبلنى فى طريق فقال يا حكم و إنّك لهاهنا بعد؟ فقلت: نعم إنّى أخبرتك بما جعلت للّه علىّ فلم تأمرني ولم تنه عن شيء ولم تجبنى بشيء؟ فقال: بكّر علىّ غدوة المنزل فغدوت عليه. فقال (ع): سل عن حاجتك! فقلت: إنّي جعلت للّه عليّ

---

231- البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 93

232 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 15

نذرا وصياما وصدقة بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنّك قائم آل محمّد أم لا؟ .. فان كنت أنت رابطتك وإن لم تكن أنت سرت في الأرض فطلبت المعاش فقال: يا حكم كلنّا قائم بأمر الله قلت: فأنت المهدىّ؟ قال كلّنا نهدى إلى الله. قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: كلنّا صاحب السيف ووارث السيف. قلت: فأنت الّذي تقتل أعداء الله ويعزّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله؟ فقال: "يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمسا وأربعين سنة وإنّ صاحب هذا الأمر أقرب عهدا باللّبن منّى وأخفّ على ظهر الدابّة ".[233]

وفي حديث آخر يرويه الكليني عن الحكم بن عتيبة قال: بينما أنا مع أبي جعفر (ع) والبيت غاص بأهله إذ أقبل شيخ يتوكأ على عنزة له (أَطولُ من العَصا وأَقصرُ من الرمْح في أَسفلها زُجٌّ كُزجِّ الرُّمح يَتوكأ عليها الشيخُ الكبيرُ) حتى وقف على باب البيت فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم سكت. فقال أبو جعفر (ع): وعليك السلام ورحمة الله وبركاته... ثم قال: يا ابن رسول الله أدنني منك جعلني الله فداك فوالله إني لأحبكم وأحب من يحبكم ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا . والله إني لأبغض عدوكم وأبرأ منه ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه. والله إني لأحل حلالكم وأحرم حرامكم وأنتظر أمركم فهل ترجو لي جعلني الله فداك ؟ فقال أبو جعفر: إلي إلي حتى أقعده إلى جنبه ثم قال: أيها الشيخ إن أبي علي بن الحسين (ع) أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه فقال له أبي: إن تمت ترد على رسول الله (ص) وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ويثلج قلبك ويبرد فؤادك وتقر عينك وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين ولو قد بلغت نفسك ههنا وأهوى بيده إلى حلقه، وإن تعش ترى ما يقر الله به عينك وتكون معنا في السنام الأعلى ...".[234]

ويقول الفضيل بن يسار: قلت لأبي جعفر (ع): لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، إن موسى (ع) لما خرج وافداً إلى ربه واعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين ".[235]

---

[233]- الكليني، لكافى: 1/ 536

[234]- الكليني، الكافي 7/8

[235]- الكليني، الكافي:368/1

وأوصى الامام الباقر جماعة من الشيعة العراقيين، فقال:" ليقوِّ شديدكم ضعيفكم، وليعد غنيكم على فقيركم ، ولا تبثوا سرنا ولا تذيعوا أمرنا، وإذا جاءكم عنا حديث فوجدتم عليه شاهدا أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به وإلا فقفوا عنده، ثم ردوه إلينا حتى يستبين لكم، واعلموا أن المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم، ومن أدرك قائمنا فخرج معه فقتل عدونا كان له مثل أجر عشرين شهيدا، ومن قتل مع قائمنا كان له مثل أجر خمسة وعشرين شهيدا ".[236]

كان الباقر يدعو لانتظار (القائم) دون أن يسميه، ويعد شيعته بالأجر والثواب. ويقول: "من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم وإن مات كان في جوار محمد النبي (ص)". [237] و قال في خطبة له: "اتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم به، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم وحتى تبتلوا في أنفسكم وأموالكم وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيرا فتصبروا وتعركوا بجنوبكم وحتى يستذلوكم ويبغضوكم وحتى يحملوا عليكم الضيم فتحملوا منهم تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل يجترمونه إليكم وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه ويبغضوكم عليه فتصبروا على ذلك منهم ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل (ع) على نبيكم (ص): "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم" ثم قال: " وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا" فقد كذب نبي الله والرسل من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق فإن سركم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل - أصل الخلق من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين سماهم الله في كتابه في قوله: "وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار" فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه فاستوجب سخط الله فأكبه الله على وجهه في النار".[238]

وعندما طال الانتظار، ولم يخرج القائم، قال عبد الحميد الواسطي (أحد الشيعة) لأبي جعفر: أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظارا لهذا الأمر حتى ليوشك الرجل منا أن يسأل في يده؟ فقال: يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجا؟ بلى والله ليجعلن الله له مخرجا، رحم الله عبدا أحيا أمرنا،

---

[236]- الكليني، الكافي ج2 ص 220 - 226

[237] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن، ح رقم 3 و المسبحات من السور ما افتتح بسبح أو يسبح

[238] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

قال: أصلحك الله إن هؤلاء المرجئة يقولون ما علينا أن نكون على الذي نحن عليه حتى إذا جاء ما تقولون كنا نحن وأنتم سواء؟ فقال: يا عبد الحميد صدقوا من تاب تاب الله عليه ومن أسرَّ نفاقا فلا يرغم الله إلا بأنفه، ومن أظهر أمرنا أهرق الله دمه يذبحهم الله على الإسلام كما يذبح القصاب شاته، قال: فنحن يومئذ والناس فيه سواء؟ قال أبو جعفر: لا، أنتم يومئذ سنام الأرض وحكامها، لا يسعنا في ديننا إلا ذلك، قال عبد الحميد: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟ قال: إن القائل منكم إذا قال: "إن أدركت قائم آل محمد نصرته" كالمقارع معه بسيفه، والشهادة معه شهادتان".[239]

ولكي يخفف الامام الباقر ضغط طول الانتظار على الشيعة، قال لأحد أصحابه (أبي عبد الله الجعفي): كم الرباط عندكم؟ قال: أربعون. قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابة كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحا كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة ولا من مرتين ولا من ثلاث ولا من أربع".[240] وقال : " ما ضر من مات منتظرا لأمرنا ألا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره".[241]

وهذا يدل على تبني الامام الباقر موقف المعارضة ولكن من دون القيام بخطوات جدية وعملية للثورة على الأمويين، ولا سيما في عهد هشام بن عبد الملك القوي.

وقد روى المحدث علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي (المتوفى سنة 400) بسنده عن الشاعر الكوفي الكميت بن زيد الأسدي (- 126)، أنه دخل على الامام الباقر(ع)، وأنشد قصيدة، جاء في آخرها: (متى يقوم الحقّ فيكم متى يقوم مهديكم الثاني؟) فقال الامام: "سريعاً إن شاء الله سريعاً".[242]

وهذا مؤشر آخر على توقع الشيعة أن يكون الامام الباقر هو (القائم المهدي) الثائر ضد الأمويين. ولكنه كان ينفي أن يكون هو، كما رأينا في الرواية السابقة التي يقول فيها: " كيف أكون أنا وقد بلغت خمسا وأربعين سنة وإنّ صاحب هذا الأمر أقرب عهدا باللّبن منّى وأخفّ على ظهر الدابّة؟". إضافة الى ان الباقر لم يكن يرى الظروف السياسية ناضجة للثورة، وكان يشعر بقلة أصحابه، كما يقول

---

239 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 37

240 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 576

241 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 6

242- الخزار القمي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: 248 ما جاء عن الباقر(ع) من النصّ على ابنه.

الكليني في رواية ينقلها عن حمران بن أعين، قال: قلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك ما أقلّنا! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ [243]

**لماذا نهى الباقر أخاه زيدا عن القيام؟**

وربما كان شعور الباقر بضعف القاعدة الشعبية الشيعية سببا لنهي أخيه الامام زيد عن القيام، وقوله له: "لا تتعاط زوال ملك لم تنقض أكله ولم ينقطع مداه و لم يبلغ الكتاب أجله ، فلو قد بلغ مداه وانقطع أكله و بلغ الكتاب أجله لانقطع الفصل وتتابع النظام ولأعقب الله فى التّابع و المتبوع الذّل و الصغار... أعيذك بالله يا أخي أن تكون غدا المصلوب بالكناسة". [244]

مما ينبئ عن تقدير الامام الباقر للموقف السياسي بأنه غير مهيأ للثورة في أيام هشام بن عبد الملك، وتحذيره أخاه زيد من المبادرة اليها في ذلك الوقت.

ومما يؤيد تلك النظرة وذلك التحليل، هي قراءة الامام الباقر لخارطة الأحزاب السياسية الشيعية وقوة الحزب العباسي وريث الحركة الكيسانية، اكثر من غيره، فقد روى الكليني في (الكافي) بسنده عن أبي بصير، قال: كنت مع أبي جعفر جالساً في المسجد إذ أقبل داود بن علي وسليمان بن خالد وأبو جعفر عبد الله بن محمد أبو الدوانيق (المنصور)، فقعدوا ناحية من المسجد فقيل لهم: هذا محمد بن علي جالس، فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد ، وقعد أبو الدوانيق مكانه حتى سلموا على أبي جعفر فقال لهم أبو جعفر: ما منع جباركم من أن يأتيني؟ فعذَّروه عنده، فقال: أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين قطريها، ثم ليطأنَّ الرجال عقبه، ثم لتذلن له رقاب الرجال، ثم ليملكن ملكاً شديداً!

فقال له داود بن علي: وإن ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم يا داود إن ملككم قبل ملكنا وسلطانكم قبل سلطاننا. فقال له داود: أصلحك الله، فهل له من مدة؟ فقال: نعم يا داود والله لا يملك بنو أمية يوماً إلا ملكتم مثليه، ولا سنة إلا ملكتم مثليها، وليتلقفها الصبيان منكم كما تلقفُ الصبيان الكرة! ... ثم انطلق سليمان بن خالد فأخبر أبا الدوانيق فجاء أبو الدوانيق إلى أبي جعفر فسلم عليه، ثم أخبره بما قال له داود بن علي وسليمان بن خالد، فقال له: نعم يا أبا جعفر دولتكم قبل دولتنا وسلطانكم قبل سلطاننا سلطانكم شديد عَسِرٌ لايسر فيه ، وله مدة طويلة . والله لا يملك بنو أمية يوماً إلا ملكتم مثليه ولا سنة إلا ملكتم مثليها، وليتلقفها صبيان منكم فضلاً عن

---

[243]- الكليني، الكافي 244/2

[244]- الكليني، الكافى 1/ 356- 357

رجالكم كما يتلقف الصبيان الكرة، أفهمت ! ثم قال (ع): لا تزالون في عنفوان الملك ترغدون فيه ما لم تصيبوا منا دماً حراماً، فإذا أصبتم ذلك الدم غضب الله عزّ وجلّ عليكم فذهب بملككم وسلطانكم ، وذهب بريحكم .! [245]

واذا صحت الرواية فانها تكشف عن تحليل الامام الباقر لواقع المعارضة الشيعية الضعيف، وقوة الحزب العباسي واحتمال فوزه بالسلطة في المستقبل.

ومما يؤيد موقف الامام الباقر المتردد في التصدي للثورة على الأمويين، إيمانه بضعف القاعدة الشيعية التابعة له، وعدم التزامها الدقيق بالمثل والقيم التي كان يدعو اليها، ففي حديث مع جابر بن يزيد الجعفي، قال الامام الباقر: يا جابر، أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.
فقال جابر: يا بن رسول الله، لست أعرف أحداً بهذه الصفة.
فقال (ع): يا جابر، لا تذهبن بك المذاهب، أحسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ؟! فلو قال: إني أحب رسول الله، ورسول الله خير من علي ، ثم لا يعمل بعمله ولا يتبع سنته ، ما نفعه حبه إياه شيئاً ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة ، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته ، والله ما يتقرب إلى الله جل ثناؤه إلا بالطاعة ، ما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا إلا بالورع والعمل".[246]
وفي الوقت الذي كان يحجم فيه الامام الباقر عن الثورة ضد الأمويين، كان ينهى شيعته عن اتباع الثوار الآخرين حتى لو كانوا من آل محمد، كما في رواية عن بريد عن الباقر أنه قال له: "يا بريد... اتق الشذاذ من آل محمد".[247]

## الامام الصادق: بين الوعد بالخروج والشعور بقلة الأتباع

---

[245]- الكليني، الكافي 210/8

[246]- الكليني، الكافي، ج 2 ص 74

[247]- المجلسي، بحار الانوار، ج 52 ص 269 رقم 160

ولما توفي الإمام الباقر دون أن يقوم بالثورة، ورث ابنه جعفر الصادق تركة ثقيلة دفعت الكثير من أتباعه إلى الانضمام إلى الحركات الشيعية الأخرى، كحركة عمه الامام زيد بن علي، وحركة بن عمه محمد بن عد الله ذي النفس الزكية، فما كان من الامام الصادق إلا أن يصبِّر شيعته ويدعوهم إلى الانتظار، وقد قال الصادق لعمار الساباطي: "يا عمار الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك والله عبادتكم في السر مع إمامكم المستتر في دولة الباطل وتخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة أفضل ممن يعبد الله عز وجل ذكره في ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق، وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق، واعلموا أن من صلى منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة، مستتر بها من عدوه في وقتها فأتمها، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلى منكم صلاة فريضة وحده مستترا بها من عدوه في وقتها فأتمها، كتب الله عز وجل بها له خمسا وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عز وجل له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عز وجل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان بالتقية على دينه وإمامه ونفسه، وأمسك من لسانه أضعافا مضاعفة إن الله عز وجل كريم". فقال عمار: جعلت فداك قد والله رغبتني في العمل، وحثثتني عليه، ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالا من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن على دين واحد؟ فقال: "إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله (عز وجل) وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل خير وفقه وإلى عبادة الله عز ذكره سرا من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنظرون إلى حق إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم، فبذلك ضاعف الله عز وجل لكم الأعمال، فهنيئا لكم". فقال عمار: جعلت فداك فما ترى إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالا من أصحاب دولة الحق والعدل؟ فقال: "سبحان الله أما تحبون أن يظهر الله تبارك وتعالى الحق والعدل في البلاد ويجمع الله الكلمة ويؤلف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله عز وجل في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمار

لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأحد فابشروا".[248]

وقال الصادق لزرارة بن أعين: " اعرف إمامك فإنك إذا عرفت لم يضرك، تقدم هذا الأمر أو تأخر". [249]

وقال لفضيل بن يسار: " يا فضيل اعرف إمامك، فانك إذا عرفت إمامك لم يضرك، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه". أو "بمنزلة من استشهد مع رسول الله (ص)". [250]

ويقول أبو بصير أنه لم يتحمل طول الانتظار، فقال لأبي عبد الله: جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: "يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فرج عنه لانتظاره".[251] وسأله مرة أخرى: تراني أدرك القائم ؟ فقال: يا أبا بصير ألست تعرف إمامك؟ فقال: إي والله وأنت هو - وتناول يده - فقال: "والله ما تبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبيا بسيفك في ظل رواق القائم". [252]

وقال لعمر بن أبان: "اعرف العلامة فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، إن الله عز وجل يقول: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر". [253]

ومع تصاعد الضغط السياسي وتفجر الثورات الشيعية الأخرى هنا وهناك، ازداد الضغط الإمامي على الصادق للخروج، فاعتذر بقلة الأنصار، ولما أشار الشيعة إلى كثرتهم وتجاوزهم مئات الألوف، شكك الصادق بحقيقة التزامهم وولائهم له، فقد دخل سدير الصيرفي على أبي عبد الله فقال له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قال: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان

---

248 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر في حالات الغيبة، ح رقم 2

249 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 1

250 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 2

251 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 3

252 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 4

253 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 7

لأمير المؤمنين مالك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قال: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قال: نعم، ومائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قال: نعم ونصف الدنيا . فسكت عنه أبو عبد الله ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قال: نعم. فأمر بحمار وبغل أن يسرَّجا، وبينما هما في الطريق نظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، فنزل سدير وعدَّ الجداء، فإذا هي سبعة عشر.[254]

وربما كان بعض الشيعة يعتريهم الشك والارتياب في وعود "الأئمة" بالنصر وقرب الظهور فكان الامام يفسر لهم ذلك ويدعوهم إلى مزيد من الصبر والانتظار. وقد روي أنه قال:" إن الله تعالى أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكرا سويا، مباركا، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، أي لا يكون البنت رسولا، والله أعلم بما وضعت، فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعده إياه، فإذا قلنا في الرجل منا شيئا وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك". [255]

وأنه قال لإبراهيم ابن عمر اليماني:" إذا قلنا في رجل قولا، فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء". [256] وقال لأبي خديجة:" قد يقوم الرجل بعدل أو بجور وينسب إليه ولم يكن قام به، فيكون ذلك ابنه أو ابن ابنه من بعده، فهو هو". [257]

وكان الصادق يوصي أصحابه بالصبر، فقال لحفص بن غياث : يا حفص إن من صبر صبر قليلا وإن من جزع جزع قليلا، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك، فإن الله عز وجل بعث محمدا (ص) فأمره بالصبر والرفق، فقال: " واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا، وذرني والمكذبين أولي النعمة" وقال تبارك وتعالى: " ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقيها إلا الذين صبروا و ما يلقيها إلا ذو حظ عظيم" فصبر رسول الله (ص) حتى نالوه بالعظائم ورموه بها، فضاق صدره فأنزل الله عز وجل: "ولقد نعلم أنك يضيق

---

254 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم 4

255 - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 1

256 - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 2

257 - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 3

صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين" ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عز وجل: " قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا" فألزم النبي (ص) نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عز وجل " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب، فاصبر على ما يقولون" فصبر النبي (ص) في جميع أحواله ثم بشر في عترته بالأئمة و وصفوا بالصبر، فقال: جل ثناؤه: "وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون" فعند ذلك قال (ص): الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد فشكر الله عز وجل ذلك له، فأنزل الله عز وجل: "وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" فقال (ص): إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين فأنزل: " اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، واقتلوهم حيث ثقفتموهم" فقتلهم الله على يدي رسول الله (ص) و أحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه، مع ما يدخر له في الآخرة".[258]

ولتأكيد روح الصبر، والاستعداد للانتظار الطويل، قال الصادق: "إنا صُبَّر وشيعتنا أصبر منا.. لأنا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون".[259]

وعندما توفي الامام جعفر الصادق عام 148 دون أن يخرج، انشق رجل من أصحابه في البصرة يسمى عجلان بن ناووس، وأنكر وفاته، وقال بغيبته، وأنه حي لم يمت حتى يظهر، وانه القائم المهدي. وعرفت جماعته بالناووسية. كما يحدثنا عنها النوبختي فيقول: " قالت أن جعفر بن محمد حي لم يمت و لا يموت حتى يظهر و يلي أمر الناس و أنه هو المهدي، و زعموا أنهم رووا عنه أنه قال إن رأيتم رأسي قد اهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فاني أنا صاحبكم و انه قال لهم إن جاءكم من يخبركم عني انه مرضني و غسلني و كفنني فلا تصدقوه فاني صاحبكم صاحب السيف، و هذه الفرقة تسمى (الناووسية) وسميت بذلك لرئيس لهم من اهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس".[260]

---

258 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح رقم 3

259 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح رقم 25

260 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 67. والاشعري القمي سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 80

ولكن هذه الفرقة لم تلبث أن تلاشت وانقرضت.

## ف6 - من هو خليفة الإمام الباقر؟ وهل أوصى لأحد من بعده بالإمامة؟

اتضح لنا في الفصول الماضية، أن الامام محمد الباقر، برز في بداية القرن الثاني الهجري كفقيه كبير وزعيم سياسي، معتمدا على قرابته من رسول الله (ص) وامتلاكه لسلاحه، ووراثة العلم من آبائه وأجداده، ورغم منافسة الهاشميين والعلويين والحسنيين له على الزعامة، الا أن أطروحته للامامة كانت عادية، وليس فيها أي ادعاء بالنصب الإلهي، كما سيقول الامامية في ما بعد، ومن هنا كانت نظرته لأمر خلافته عادية وطبيعية أيضا.

وقد حدثنا الامام الباقر، عن النظام الوراثي المعمول به بين أهل البيت في أوقافهم العامة، فقال لأبي بصير: ألا أقرئك وصية فاطمة (ع)؟ قال: قلت بلى قال: فأخرج حقا أو سفطا فأخرج منه كتابا فقرأه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله (ص) أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، وما لأم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب (ع) فان مضى علي فإلى الحسن فان مضى الحسن فإلى الحسين فان مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدى. شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب". [261]

وروى حفيده الامام موسى الكاظم وصية أمير المؤمنين (ع) في اوقافه، وهي كما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ويصرف النار عنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أن ما كان لي من مال بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ... فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي ... وإن حدث بحسن حدث وحسين حي فإنه إلى الحسين بن علي ... وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما ينظر في بنى علي، فان وجد فيهم من يرضى بهداه واسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فان وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذووا آرائهم فإنه

[261] - الكليني الكافي، ج 7 ص 48 وروى علي بن إبراهيم نفس الوصية أيضا عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع)

يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم ... هذا ما قضى به علي في ماله الغد من يوم قدم (مسكن). شهد أبو سمر بن برهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين.[262]

وبناء على هذه الوصايا، ونظام العودة الى الأكبر، فقد خاصم زيد بن الحسن (ت 90) الباقر في الميراث، كما يقول الامام الصادق: "كان زيد بن الحسن يخاصم أبي في ميراث رسول الله (ص) ويقول: أنا من ولد الحسن، وأولى بذلك منك، لأني من ولد الأكبر، فقاسمني ميراث رسول الله (ص) وادفعه إليّ، فأبى أبي، فخاصمه إلى القاضي، فكان زيد معه إلى القاضي... واغتمها زيد بن الحسن فقال: يلي خصومتي محمد بن علي فأعتبه وأؤذيه فيعتدي علي، فعدا على أبي فقال: بيني وبينك القاضي فقال: انطلق بنا".[263]

وعندما ادعى الامام الباقر، الامامة السياسية، حصرها في ذرية الحسين، كما في رواية لعبد الرحيم بن روح القصير، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" أنها نزلت في الامرة، وإن هذه الآية جرت في ولد الحسين (ع) من بعده، فنحن أولى بالأمر وبرسول الله (ص) من المؤمنين والمهاجرين والأنصار، قلت: فولد جعفر (ابن أبي طالب) لهم فيها نصيب؟ قال: لا، قلت: فلولد العباس فيها نصيب؟ فقال: لا، فعددت عليه بطون بني عبد المطلب، كل ذلك يقول: لا، قال: ونسيت ولد الحسن (ع)، فدخلت بعد ذلك عليه، فقلت له: هل لولد الحسن (ع) فيها نصيب؟ فقال: لا، والله يا عبد الرحيم ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا.[264]

وبعد حصر الامامة في ذرية الحسين، بقي السؤال: في أي ولد الحسين؟ ولا سيما بعد زين العابدين ومحمد الباقر؟ هل هي في الأكبر؟ أو الاعلم؟ أو من يمتلك سلاح رسول الله؟ أم ماذا؟

وهذا سؤال طرحه الشيعة في أيام الباقر والأئمة من بعده:

---

[262] - الكليني، الكافي ج7 ص 49 – 51

[263] - المجلسي، بحار الانوار ج 46 ص 226
عمدة الطالب: 69، تهذيب التهذيب 3: 350، تاريخ الإسلام 7: 86، الوافي بالوفيات 15: 31.

[264] - الكليني، الكافي، ج1 ص 288

1- فقد سأل معاوية بن وهب أبا جعفر الباقر: ما علامة الامام الذي بعد الامام؟ فقال: طهارة الولادة وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب. [265]
2- وسأل أبو الجارود أبا جعفر قائلا: جعلت فداك إذا مضى عالمكم أهل البيت بأي شئ يعرف الذي يجئ من بعده؟ قال: بالهداءة والاطراق واقرار آل محمد (ص) بالفضل، ولا يسأل عن شئ مما بين دفتين الا أجاب عنه.
3- وسأل بريد بن معاوية الامام الباقر عن قول الله تبارك وتعالى "ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به" فقال: إيانا عنى أن يؤدي الأول منا إلى الامام الذي يكون بعده السلاح والعلم والكتب". [266]
4- وعن الحرث بن المغيرة قال قلت لأبي عبد الله (ع) بمَ يعرف صاحب هذا الامر؟ قال بالسكينة والوقار والعلم والوصية. [267]
5- وسأل عبد الاعلى أبا عبد الله: المتوثب على هذا الامر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ قال: يُسأل عن الحلال والحرام. قال: ثم أقبل عليّ فقال: ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الامر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، ويكون عنده السلاح ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان: إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان بن فلان.
6- وقال حفص بن البختري، قيل لأبي عبد الله (ع): بأي شئ يعرف الامام؟ قال: بالوصية الظاهرة وبالفضل، إن الامام لا يستطيع أحد ان يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فرج، فيقال: كذاب ويأكل أموال الناس، وما أشبه هذا. [268]
7- وسأل محمد ابن أبي نصر الرضا (ع): إذا مات الامام بمَ يعرف الذي بعده؟ فقال: للامام علامات: منها أن يكون أكبر ولد أبيه، ويكون فيه الفضل والوصية، ويقدم الركب فيقول: إلى من أوصى فلان؟ فيقال: إلى فلان، والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيثما كان.
6 - وسأل أحمد بن عمر، أبا الحسن الرضا: عن الدلالة على صاحب هذا الامر؟ فقال: الدلالة عليه: الكبر والفضل والوصية، إذا قدم الركب المدينة

---

[265] - الكليني، الكافي، ج1 ص 284 (باب الأمور التي توجب حجة الإمام عليه السلام)

[266] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 208

[267] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 509

[268] - الكليني، الكافي، ج1 ص 284

فقالوا، إلى من أوصى فلان؟ قيل: فلان بن فلان، ودوروا مع السلاح حيثما دار، فأما المسائل فليس فيها حجة.

واذا نظرنا الى هذه الاحاديث التي يرويها الكليني في (الكافي) في (باب الأمور التي توجب حجة الإمام عليه السلام) فاننا نجد مواصفات عامة كالوصية والفضل والكبر والسلاح، وبناء عليها انتقلت الامامة من بعد الباقر الى ابنه أبي عبد الله جعفر الصادق، الذي كان مبرزا من بين اخوته.[269] بالإشارة اليه، ولكن تلك (الإشارة) لم تكن صريحة أو عامة، أو تتضمن أي معنى ديني أو إلهي. وقد جمع الكليني، في (الكافي) عدة روايات في باب: (الإشارة والنص على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق) وهي كما يلي:

– عن سدير الصيرفي قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: إن من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يعرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، وإني لأعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلقي وشمائلي، يعني أبا عبد الله (ع) .

– عن طاهر قال: كنت عند أبي جعفر (ع) فأقبل جعفر (ع) فقال أبو جعفر: هذا خير البرية أو أخير.

- عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر (ع) إلى أبي عبد الله (ع) يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين".

- عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر (ع) قال: سئل عن القائم عليه السلام فضرب بيده على أبي عبد الله (ع) فقال: هذا والله قائم آل محمد (ص) قال عنبسة: فلما قبض أبو جعفر (ع) دخلت على أبي عبد الله (ع) فأخبرته بذلك، فقال صدق جابر، ثم قال: لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الامام الذي كان قبله.

- عن أبي عبد الله (ع) قال: لما حضرت أبي (ع) الوفاة قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا، قلت: جعلت فداك والله لأدعنهم - والرجل منهم يكون في المصر - فلا يسأل أحدا.

– عن عبد الاعلى عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أبي (ع) استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودا فدعوت له أربعة من قريش، فيهم نافع

[269] - إبراهيم، وعبد الله (ابن أم فروة بنت القاسم) وعلي، وعبد الله (ابن أم حكيم بنت أسيد).

مولى عبد الله بن عمر فقال: اكتب، هذا ما أوصى به يعقوب بنيه: " يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يربع قبره، ويرفعه أربع أصابع وأن يحل عنه أطماره عند دفنه، ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت له: يا أبت - بعد ما انصرفوا - ما كان في هذا بأن تشهد عليه، فقال: يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال: إنه لم يوص إليه، فأردت أن تكون لك الحجة. [270]

وكما يلاحظ فان جميع هذه الروايات لا تحمل معنى الوصية بالامامة الدينية، بصراحة، ولا سيما الوصية الأخيرة التي طلب فيها الامام الباقر أن يأتي له بشهود يشهدون عليها. حيث لم تكن تتضمن سوى التكفين والصلاة والدفن. وهو ما أثار استغراب الامام الصادق – حسب الرواية – وقوله: يا أبت ما كان في هذا بأن تشهد عليه؟! ولو أراد الامام الباقر أن يوصي بأمر غير اعتيادي كالامامة الدينية، لعبر عن رأيه بصراحة في لحظات حياته الأخيرة. ولا مجال للقول ان الامام الباقر كان يمارس (التقية) خوفا من الحكام الأمويين، لأنه كان بإمكانه أن يوصي الى عدد من الشهود الثقات الذين يطمئن اليهم. ولكنه لم يفعل.

ومن هنا لم يعرف أقرب المقربين من الامام الباقر امامة ابنه جعفر الصادق، كما في رواية ينقلها الكليني بسنده عن أبى عبيدة الحذّاء قال: كنا زمان أبى جعفر (ع) حين قبض نتردّد كالغنم لا راعى لها فلقينا سالم بن أبى حفصة، فقال لى: يا أبا عبيدة من إمامك؟ فقلت: أئمّتي آل محمّد، فقال: اهلكت وأهلكت أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر (ع) يقول: "من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية"؟.. فقلت: بلى لعمرى ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها، دخلت على أبى عبد الله (ع) فرزق الله المعرفة فقلت لأبى عبد الله (ع): إنّ سالما قال لي كذا وكذا قال: فقال: يا أبا عبيدة إنّه لا يموت منّا ميت حتّى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله ويسير بسيرته ويدعو إلى ما دعا إليه ". [271]

---

[270]- الكليني، الكافي ، ج 1 ص 306 -307

[271]- الكليني، الكافى: 1/ 397

وحتى هذه الرواية المروية عن رجال كانوا يروجون لنظرية الامامة الدينية، مثل أبي عبيدة الحذاء، لا تؤكد موضوع الامامة، أو انتقالها بالنص من السابق الى اللاحق.

وعندما حدث النزاع بين الامام الصادق وابن عمه عبد الله بن الحسن حول قيادة الشيعة، وقال له اثنان من الزيدية: "ان سيف رسول الله (ص) عند عبد الله بن الحسن" اتهمهما الامام الصادق بالكذب ولعنهما، وقال: "لا والله ماراه عبد الله بعينيه ولا بواحد من عينيه ولا رآه أبوه الا أن يكون رآه عند علي بن الحسين بن علي، وان كانا صادقين فما علامة في مقبضه وفي موضع مضربه؟ وان عندي لسيف رسول الله (ص) ودرعه ولامته ومغفرة، فان كانا صادقين فما علامة في درعه وان عندي لراية رسول الله (ص) المغلبة ... ومثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل أي أهل بيت وقف التابوت على باب دارهم أوتوا النبوة كذلك ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة، ولقد لبس أبى درع رسول الله فخطت على الأرض خطيطا ولبستها انا فكانت، وقائمنا ممن إذا لبسها ملأها إن شاء الله".[272]

## متى ظهر قانون الوراثة العمودية في الامامة؟

وبعد نشوء وتطور نظرية الامامة في زمن الامام الصادق، حدثت بعض التطورات في قانون انتقال الامامة من واحد الى آخر، فولد قانون الوراثة العمودية، الذي ظهر للوجود في خضم الصراع بين الامام زيد بن علي وابن أخيه جعفر الصادق، وهو ينسب الى الأخير في مواجهة عمه زيد. وكان (شعارا سياسيا) في مواجهة الذين ذهبوا لاتباع الامام زيد بن علي، مثل أبي الجارود، والمغيرة بن سعيد، وغيرهما من (الزيدية). وهكذا ولدت هذه الأحاديث التي رواها الكليني في (باب: اثبات الإمامة في الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا عم، ولا غيرهما من القرابات):

- عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، عن أبي عبد الله (ع) قال: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين (ع) إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.

---

[272]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 196 و197

- عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله (ع) أنه سمعه يقول: أبى الله أن يجعلها لأخوين بعد الحسن والحسين (ع) .
- عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين إنما هي في الأعقاب وأعقاب الأعقاب.
- عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع) عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: إن كان كون - ولا أراني الله - فبمن أئتم؟ فأومأ إلى ابنه موسى، قال: قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت. فإن حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا، فبمن أئتم؟ قال: بولده ثم واحدا فواحدا". وفي نسخة الصفواني: ثم هكذا أبدا.

وقد تسبب هذا القانون (أو الشعار السياسي) في خلاف بين شيعة الامام عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق، الذي توفي دون عقب، فافترض بعض شيعته وجود ولد مخفي له اسمه (محمد) وقالوا بأنه (المهدي المنتظر) وجمع فريق آخر بين الافطح وأخيه موسى، وهم (الفطحية) بينما شطب آخرون اسمه من قائمة الامامة وانتقلوا الى موسى بن جعفر الصادق. وهم (الموسوية).

ثم تسبب هذا القانون أيضا في خلاف آخر بين شيعة الامام الرضا، بعد أن ترك ابنه محمد الجواد طفلا صغيرا، بعمر السابعة، مما أدى الى ذهاب قسم من الشيعة الى أخيه أحمد بن موسى. وتم استحضار الشعار السابق لمنع الشيعة من القول بإمامته.

كما تم استخدامه لاحقا وللمرة الثالثة لمنع الشيعة من القول بإمامة جعفر الزكي بعد وفاة الحسن العسكري، وافتراض وجود ولد له في السر هو (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري).

## الباب الثالث: نظرية الإمامة الإلهية

### ف 1- الارهاصات الأولى لنظرية الإمامة

تحدثنا في الفصل الأول من الباب الأول عن نظرية الامام علي والحسن والحسين السياسية، وتصورهم للشروط الضرورية في الامام وهي العمل بالكتاب والسنة والعدل بين الرعية، وعدم وجود أي حديث عن الامامة الإلهية أو انحصارها في أهل البيت. كما تحدثنا في فصل سابق عن تصدي الامام محمد الباقر العلمي (الفقهي) والسياسي لقيادة الشيعة في بدايات القرن الثاني الهجري، بعد وفاة زعيم الشيعة الكيسانية ابن عمه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، واستناد الباقر في دعوى الأحقية بالزعامة على امتلاكه لسلاح رسول الله.

وسنرى في هذا الباب وهذا الفصل بوادر طرح نظرية الامامة الإلهية، منسوبة للامام الباقر بواسطة عدد من تلامذته واصحابه، وهي نظرية تبدأ من أول انسان وجد على الأرض الى يوم القيامة، أي أنها أوسع وأشمل من أشخاص الأئمة (الاثني عشر) من أهل البيت.[273]

وهي مروية بواسطة عدد من الرجال عن مجموعة من أصحاب الباقر هم: أبو هراسة، و أبو حمزة الثمالي، وجابر بن يزيد الجعفي، وأبو بصير، وسليمان بن خالد، ومحمد بن مسلم، وعمرو بن ثابت عن أبيه، وعبد الأعلى بن أعين، وزرارة بن أعين، وحمران بن أعين، ويزيد الكناسي، وابي الجارود زياد بن المنذر، وبريد العجلي، واسحاق بن عمار، وعبد الأعلى مولى آل سام ، وغيرهم وغيرهم. ولا نعرف بالضبط مدى صحة صدورها عن الامام الباقر، ولا صحة روايتها بواسطة أصحابه، مع احتمال اختلاقها وجعلها من قبل أصحاب الكتب المتأخرين، أو ممن يروون عنهم، أو على الأقل التلاعب بها واضافة أمور جديدة اليها، مثل الإشارة الى (الاثني عشرية) التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، ولم تكن معروفة للشيعة الامامية من قبل.

وبالرغم من وجود الشك بنسبة هذه النظرية الى الامام الباقر، فاننا سنفترض صدورها منه، تماشيا مع الشيعة الامامية الذين يعتقدون بصحتها. وبناء على ذلك فسوف نعتبر أن الروايات التالية الخطوة الأولى لبناء نظرية (الامامة الإلهية) والادعاء بوجود النص بالامامة على الامام علي بن ابي طالب، وتسلسلها في ذريته، وصولا الى الامام الباقر.

## ضرورة الامامة عبر التاريخ

فقد روى الصفار بسنده عن أبى حمزة عن أبى جعفر قال: "والله ما ترك الأرض منذ قبض الله آدم الّا وفيها إمام يهتدى به الى الله وهو حجّة الله على عباده ولا تبقى الأرض بغير امام حجّة الله على عباده". وانه قال :"ما كانت الأرض الّا ولله فيها عالم". وقال: " لا تبقى الأرض بغير امام ظاهر".[274]

ويشرح الباقر مهمة (الامام) فيقول: " إن الله لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان من دين الله عز وجلّ فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم واذا نقصوا

---

[273] - ومن الجدير بالذكر بأن هذه النظرية سجلت حوالي القرن الرابع في كتب متأخرة مثل (بصائر الدرجات) للصفار (ت 290) و (الكافي) للكليني (ت 329) و (الغيبة) للنعماني (ت 360) و (كمال الدين) و (علل الشرائع) للصدوق (ت 381) و(الارشاد) للمفيد (ت 413) و(الغيبة) للطوسي (ت 460)

[274] - الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات: 485-486

أكمله لهم، ولولا ذلك لا لتبس على المسلمين أمرهم". ويقول:" ما ترك الله الأرض بغير عالم ينقص ما زاد ويزيد ما نقصوا ولولا ذلك لا اختلطت على الناس امورهم". [275]

ويطلق الباقر على هذا (الامام العالم) وصف (الحجة) فيقول مخاطبا أحد اصحابه:" ليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوما واحدا بغير حجّة لله على النّاس و لم تبق منذ خلق الله جلّ وعزّ آدم (ع) وأسكنه الأرض". "ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده". [276]

وكما يلاحظ فان الامام الباقر يستخدم عدة مصطلحات للتعبير عن الفكرة الجوهرية (ضرورة وجود الامام في كل زمان) كالامام والعالم والحجة والنبي والوصي.

"والحجة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء (ع) **حتى تقوم الساعة** لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب، من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال: "فِي **بُيُوتٍ** أَذِنَ الله أَنْ تُرْفَعَ" وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى (ع) ". [277]

وكما هو ملاحظ فقد أدخل الباقر فكرة (الأبدية: حتى تقوم الساعة) في (آل إبراهيم) كما أوّل كلمة (بيوت) التي أذن الله أن ترفع، التي هي المساجد التي يذكر فيها اسمه، بالعوائل أو (بيوتات الأنبياء). ثم ذهب ليقيس (آل محمد) على (آل إبراهيم) وفسر (الملك العظيم) الوارد في هذه الآية: "فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا": "بأن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم". وأضاف: "جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة، **فكيف يقرون في آل إبراهيم (ع) وينكرونه في آل محمد (ص)**". [278]

وتأكيدا لأهمية الامامة الكبرى التاريخية الأزلية والممتدة الى يوم القيامة، في نظر الامام الباقر، قال لفقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة: " يا قتادة إن الله جل

---

[275] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 251 و الصدوق، علل الشرائع: 1/ 191 و كمال الدين: 204 ، و 232

[276] - الصدوق، كمال الدين: 233. الكليني، الكافي ، ج 1 ص 431 والنعماني، محمد بن أبي زينب، الغيبة: 138 و الكافي ج 1 ص 179

[277] - الكليني، الكافي:8 /394

[278] - الكليني، الكافي:206/1 الكليني، الكافى: 1/ 205 وبصائر الدرجات ص 56

وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قُوَّامٌ بأمره، نجباءُ في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه ".[279]

وبعد أن قام الامام الباقر بتـأصيل مبدأ وجود (الامام العالم الحجة الهادي في كل زمان)، انتقل ليطبق مفهوم الامامة العام على (أهل البيت) فقال في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا": "إنهم الأئمة (ع) ومن اتبعهم".[280]

ثم طرح فكرة أخرى هي وجود أوصياء لجميع الأنبياء، لكي يستدل بها على وجود الوصي أو الأوصياء للنبي محمد، فقال: "إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي .. وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد، وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله".[281]

وقال: " إن الأرض لا تبقى إلّا ومنّا فيها من يعرف الحق فاذا زاد الناس، قال: قد زادوا، واذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، ولولا أنّ ذلك كذلك لم يعرف الحقّ من الباطل". " ولن يخرج الله ذلك العالم حتّى يرى في ولده من يعلم مثله علمه".[282]

وكما يبدو فان هذه الفكرة دعوى عظيمة كدعوى النبوة، لا يمكن تمريرها بسهولة ودون دليل محكم. ولكن الباقر لم يقدم أي دليل عليها، سوى اللجوء الى القسم: " والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضّة إلّا على علمه". "نحن خزّان علم الله ونحن تراجمة وحي الله ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض".[283]

ونقل مرسلا عن رسول الله (ص) أنه قال: "قال الله تبارك وتعالى: ... علىّ والأوصياء من بعدك فإن فيهم سنّتك وسنّة الأنبياء من قبلك وهم خزّانى على علمي من بعدك، و لقد أنبأني جبرئيل (ع) بأسمائهم وأسماء آبائهم". وفسر قول الله تعالى: " أم لهم نصيب من الملك": يعنى الإمامة والخلافة، "فاذا لا يؤتون الناس نقيرا": نحن الناس الّذين عنى الله والنقير النقطة الّتي في وسط النواة "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله": نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله أجمعين". وروى مرسلا عن رسول الله (ص) في تفسير

---

279 - الكليني، الكافي 256/6

280 - الكليني، الكافي:416/1

281 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم 2

282 - الصدوق، علل الشرائع: 1/ 190 و كمال الدين: 228.

283 - الكليني، الكافى: 1/ 192.

قول الله (عزّ و جلّ): "فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ": أنه قال: "الذّكر أنا والأئمّة أهل الذكر، "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ، وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ" وأضاف الباقر: "نحن قومه ونحن المسئولون".[284]

واعتبر الامام الباقر الامامة أهم أركان الدين، حيث قال: "بنى الاسلام على خمس: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة. من لم يكن له مال لم يكن عليه الزّكاة ، ومن لم يكن عنده مال فليس عليه حجّ، ومن كان مريضا صلّى قاعدا وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة واجبة".[285] وقال: " بنى الاسلام على خمس دعائم: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت والولاية لنا أهل البيت".[286]

**"لو رفع الامام لساخت الأرض"**

وبناء على أهمية دور الامام وضرورته الدائمة في فلسفة الامامة ، فقد ربط الباقر بين غياب الامام وخراب الأرض، فقال: " لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة، لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله". و" لو بقيت الأرض يوما بلا إمام منّا لساخت بأهلها ولعذّبهم الله بأشدّ عذابه. إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا حجّة في أرضه وأمانا في الأرض لأهل الأرض لم يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهركم، فاذا أراد الله أن يهلكهم ثمّ لا يهملهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه ثمّ يفعل الله ما شاء وأحبّ".[287]

**ف2 - النصوص على الامامة الالهية**

استعرضنا في الفصل السابق، مجموعة من الاحاديث المنسوبة الى الامام محمد الباقر، وهو يتحدث فيها عن ضرورة الامامة الإلهية، بصورة عامة،

---

[284] - الكليني، الكافى: ج 1/ 193. و205 و210

[285] - الصدوق، الخصال: 277.

[286] - الطوسى، الأمالي: 1/ 124.

[287] - الكلينى ، الكافي : 1/ 179 والصدوق، كمال الدين: 202 و203 و 204

وسوف نستعرض في هذا الفصل الأحاديث المنسوبة اليه أيضا حول تحديد (الامامة الإلهية) في شخص الامام علي وسلالته الى يوم القيامة، وذلك من خلال النص عليه من الله والرسول، وهو ما يضفي على (الامامة) الطابع الإلهي المقدس، ويرفعها من طبيعتها السياسية الدنيوية الإدارية ومهمتها العادية في تطبيق الدين وتنفيذ الحدود الشرعية، والعدل بين الناس، الى درجة أعلى يتم فيها نصب الامام من الله واعتباره (اماما) سواء حكم أو لم يحكم، قام أو قعد.

**النص على الامامة في كتاب مختوم نازل من الله تعالى**

ينقل الشيخ المفيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص):"لما أسري بي الى السماء، وانتهيت الى سدرة المنتهى، نوديت: يا محمد استوص بعلي خيرا، فانه سيد المسلمين، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة". و "ان الله جل جلاله بعث جبرئيل الى محمد أن يشهد لعلي بالولاية في حياته ويسميه بإمرة المؤمنين قبل وفاته". [288]

**الوصية كتاب مسجل نازل من السماء**

ويروي الكليني حديثا عن أبي عبد الله: "حين نزل برسول الله (ص) الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً ، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة". و" إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتاباً لم ينزل على محمد (ص) كتاب مختوم إلا الوصية".[289]

وبعد أن رفع الباقر أمر الوصية الى نزولها مسجلة من السماء، قال: "إن الله عز وجل نصب علياً (ع) علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة ". [290]

وتأكيدا لذلك قال الامام الباقر لأبي الجارود زياد بن المنذر العبدي: " فرض الله عز وجل على العباد خمسا، أخذوا أربعا وتركوا واحدا...الصلاة ... ثم نزلت الزكاة ... ثم نزل الصوم ...ثم نزل الحج ... ثم نزلت الولاية وإنما أتاه (جبريل) ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجل " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي "وكان كمال الدين بولاية علي ابن أبي طالب (ع) فقال عند

---

[288] - المفيد، الأمالي، ص 18-19 و173

[289] - الكليني، الكافي، ج1 ص 279 - 284

[290] - الكليني، الكافي:437/1 وقد تطورت هذه الرواية لاحقا لتتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر. النعماني، محمد بن أبي زينب (ت 360) الغيبة، ص 93

ذلك رسول الله (ص) : أمتي حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني - فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة (أي مقطوعة) أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين".

فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال: "أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله، ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن ادعى فأجيب وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فما ذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت، وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين، فقال: اللهم اشهد - ثلاث مرات - ثم قال: يا معشر المسلمين هذا **وليكم من بعدي** فليبلغ الشاهد منكم الغائب...ثم إن رسول الله (ص) حضره الذي حضر، فدعا عليا فقال: يا علي إني أريد أن **أأتمنك على ما ائتمنني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه** الذي ارتضاه لنفسه. فلم يشرك والله فيها أحدا من الخلق".[291]

قال أبو جعفر (ع): كان والله علي (ع) **أمين الله على خلقه وغيبه ودينه** الذي ارتضاه لنفسه.[292]

**حديث الغدير وحديث الثقلين**

ولكن محمد بن علي الصدوق (ت 381) يروي أن تنصيب الامام علي بالخلافة تم في (الجحفة) وهو ميقات أهل الشام ومصر، ويبعد عن مكة 163 كم ، وذلك في رواية عن معروف بن خربوذ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، أن النبي (ص) قال: "ألا من كنت مولاه فانّ عليا مولاه ، وهو هذا ، ثمّ أخذ بيد علىّ (ع) فرفعها مع يده حتّى بدت آباطهما: ثم: قال: اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه، وانصر من نصره، و اخذل من خذله". وان معروف عرض هذه الرواية على الامام الباقر فقال:" هذا الكلام **وجدناه فى كتاب على** (ع) وعرفناه".[293]

وكما يلاحظ فان هذه الرواية التي تشابه (حديث الغدير) لا تتضمن نصا صريحا بالخلافة، كما تضمنت الرواية السابقة (هذا وليكم من بعدي) ولكنها تضيف: " ألا وإنّى سائلكم غدا ما ذا صنعتم فيما أشهدت الله به عليكم فى يومكم هذا إذا وردتم علىّ حوضي **وما ذا صنعتم بالثقلين من بعدى**. فانظروا كيف تكونون خلفتمونى فيهما حين تلقّوني؟ قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟ قال:

---

291 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

292 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 290 – 291

293 - الصدوق، الخصال، ص 65

أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عز وجلّ سبب ممدود من الله ومنّي في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم فيه علم ما مضى وما بقى إلى أن تقوم السّاعة **وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن و هو على بن أبى طالب و عترته وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض".**[294]

وقد أورد محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت 290) في كتابه (بصائر الدرجات) عدة أحاديث عن الامام الباقر عن رسول الله (ص) حول (الثقلين). منها ما رواه عن جابر، قال قال أبو جعفر: " دعا رسول الله أصحابه بمنى فقال يا أيّها النّاس إنّى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض ثم قال: يا أيّها النّاس انّى تارك فيكم حرمات الله كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام. ثمّ قال أبو جعفر: أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأمّا الكعبة فهدموا، وأمّا العترة فقتلوا، وكلّ ودائع الله فقد تبرّوا" .[295]

ومنها ما عن سعد الإسكاف قال: سألت أبا جعفر عن قول النبيّ (ص): "إنّي تارك فيكم الثقلين فتمسّكوا بهما فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض"؟ قال فقال: أبو جعفر: **" لا يزال كتاب الله والدليل منّا يدلّ عليه حتّى يردا علىّ الحوض".**[296]

ويروي أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 274 أو 280) عن الامام الباقر أنه قال: "لما أنزلت :"يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ" قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي من الله ، يقومون في الناس فيكذبهم ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ! ألا فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني ، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي ، وأنا منه برئ" .[297]

---

[294] - الصدوق، الخصال، ص 65

[295] - الصفار، بصائر الدرجات: 413 و 414

[296] - الصفار، بصائر الدرجات: 414

[297] - البرقي، المحاسن:155/1 حديث رقم 84 والصفار، بصائر الدرجات، ص 53 و الكليني، الكافى: 1/ 215

كما روى الباقر حديثا عن الإمام علي أنه خطب في أصحاب رسول الله بعد وفاته قائلا: "إن الله تبارك اسمه ... شد بي أزر رسوله .. واختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته فقال (ص) .. : أيها الناس إن عليا مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي... كان ذلك منه استخلافا لي كما استخلف موسى هارون (ع) حيث يقول: "اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين". [298]

## العصمة والتطهير

وتقول روايات شيعية أن الامام محمد الباقر، قام بعد رواية النص على جده الامام علي وعترته، بإضفاء طابع القداسة والعصمة على (الأئمة) من خلال تطبيق هذه الآية: "إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" عليهم، وتخصيصها فيهم، دون نساء النبي، فقد روى علي بن إبراهيم القمي (ت 329) في (تفسيره) عن أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" قال: نزلت هذه الآية في رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي (ص) فدعا رسول الله ( ص) عليا وفاطمة والحسن والحسين ثم ألبسهم كساء خيبريا ودخل معهم فيه ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: "أبشري يا أم سلمة انك إلى خير". [299]

## اسطورة تآمر قريش على الامام علي

وبعد أن يقدم الامامية النصوص السماوية، والوصية المسجلة النازلة من السماء حول إمامة علي بن أبي طالب، وتصريح النبي بها أمام الصحابة، ينقلون بعض الروايات التي تتحدث عن تآمر نفر من الصحابة لمعارضة قرار الله والنبي بتعيين الامام علي خليفة من بعده، اذ يروي الكليني في (الكافي) عن أحمد بن عيسى قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه (الباقر)، عن جده (ع) في قوله عز وجل: " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها " قال: لما نزلت " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" اجتمع

---

298 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة

299 - وينسب علي بن إبراهيم القمي رواية أخرى الى أبي الجارود أن زيد بن علي بن الحسين (ع) قال:" ان جهالا من الناس يزعمون إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي وقد كذبوا وأثموا، وأيم الله لو عنى بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا، ولكان الكلام مؤنثا كما قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن ولا تبرجن ولستن كأحد من النساء". القمي، علي بن إبراهيم، التفسير، ج 2 ص 193

نفر من أصحاب رسول الله (ص) في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمدا صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع عليا فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها " يعرفون يعني ولاية علي بن أبي طالب وأكثرهم الكافرون بالولاية.[300]

وتكمل الرواية: قوله: " لا أملك لكم ضرا ولا رشدا " قال: إن رسول الله (ص) دعا الناس إلى ولاية علي فاجتمعت إليه قريش، فقالوا يا محمد اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله (ص): هذا إلى الله ليس إلي، فاتهموه وخرجوا من عنده فأنزل الله "قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل إني لن يجيرني من الله (إن عصيته) أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته (في علي) ".
قلت، هذا تنزيل؟ قال: نعم، ثم قال توكيدا: " ومن يعص الله ورسوله (في ولاية علي) فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ".
قلت: " حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا" يعني بذلك القائم وأنصاره.[301]

ويكمل المفيد الصورة بحديث آخر عن جعفر بن محمد، يعلق فيه على الآية التي تتحدث عن الحديث الذي أسر به النبي الى بعض أزواجه، وهي:

- " وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ". (التحريم،3)

والسر كما يقول المفسرون: خلوته مع مارية القبطية في بيت عائشة، واطلاع حفصة على ذلك، وطلب النبي منها كتمان الأمر، ولكنها أفشت السر الى عائشة. ولكن الامام جعفر بن محمد يقول: "ان السر الذي كان من رسول الله (ص) الى بعض أزواجه: اخباره عائشة أن الله أوحى اليه أن يستخلف أمير المؤمنين، وانه قد ضاق ذرعا بذلك، لعلمه بما في قلوب قريش له من البغضاء والحسد والشنآن، وانه خائف منهم فتنة عاجلة تضر بالدين، وعاهدها أن تكتم ذلك ولا تبديه وتستره وتخفيه. فنقضت عهد الله سبحانه في ذلك، وأذاعت سره الى حفصة وأمرتها أن تعلم أباها ليعلم صاحبه، فيأخذ القوم لأنفسهم ويحتالوا في بعض ما يثبته رسول الله لأمير المؤمنين... ففعلت ذلك حفصة، واتفق القوم على عقد بينهم إن مات رسول

---

300 - الكليني، الكافي، ج1 ص 427

301 - الكليني، الكافي، ج1 ص 434

الله لم يورثوا أحدا من أهل بيته ولا يؤتوهم مقامه، واجتهدوا في تأخيرهم والتقدم عليهم".[302]

**انتقال الامامة الى الحسن والحسين**

واذا عدنا الى رواية الامام الباقر حول كيفية نزول الوحي على النبي (ص) وأمره بالصدع بامامة علي (ع) وما حدث بعده، فان تكملتها تقول: " ثم إن عليا (ع) حضره الذي حضره فدعا ولده وكانوا اثني عشر ذكرا فقال لهم:" يا بني إن الله عز وجل قد أبى إلا أن يجعل فيّ سنة من يعقوب، وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكرا، فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإني أخبركم بصاحبكم، ألا إن هذين ابنا رسول الله (ص) الحسن والحسين (ع) فاسمعوا لهما وأطيعوا، ووازروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني عليه رسول الله (ص) مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه".

فأوجب الله لهما من علي (ع) ما أوجب لعلي (ع) من رسول الله (ص) فلم يكن لاحد منهما فضل على صاحبه إلا بكبره، وإن الحسين كان إذا حضر الحسن لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم.

ثم إن الحسن (ع) حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين (ع).

ثم إن حسينا حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين (ع) – فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين (ع) مبطونا لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا".[303]

ويضيف الصفار (ت 290) على هذه الرواية : أن أبا الجارود سأل الباقر: ما في ذلك الكتاب؟ فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا.[304]

وفي رواية أخرى، يقول الباقر: إن الإمام أمير المؤمنين دفع إلى ابنه الحسن، **الكتاب والسلاح** وقال له : يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم اقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين (الذي كان بعمر حوالي سنتين

---

302 - المفيد، المسائل الحاجبية العكبرية، ص 77-78

303 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 291

304 - الصفار، بصائر الدرجات، 168

ولد 5 شعبان 38). ثم قال له: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك محمد (الذي لم يولد بعد)، **واقرأه من رسول الله (ص) ومني السلام**.[305]

"وإن الحسن استدعى عند موته أخاه محمد بن الحنفية وحذره قائلا: "يا محمد بن علي إني أخاف عليك الحسد...أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله جل اسمه في الكتاب، وراثة من النبي (ص) أضافها الله عز وجل له في وراثة أبيه وأمه، فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمدا (ص) واختار محمد عليا، واختارني علي بالإمامة، واخترت أنا الحسين". [306]

## اثبات إمامة زين العابدين

يعترف الباقر بعدم قيام الحسين بالوصية الى ابنه زين العابدين مباشرة، كما في رواية الكليني الآنفة. [307] الا ان الباقر يقول: "إن الحسين أوصى إلى ابنته الكبرى فاطمة وسلمها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة. وإن فاطمة دفعت الكتاب إلى علي بن الحسين، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا". وفي رواية أخرى يقول: "إن الحسين لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين دفعتها إليه". [308]

### "معجزة الحجر الأسود"

وحسبما يروي الصفار والكليني وابن بابويه القمي، في رواية عن أبي عبد الله، فإن الباقر قام بتدعيم ادعائه في امامة والده، برواية هذه القصة "الإعجازية" فقال: "لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين.. فخلا به فقال له: يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله (ص) دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى على روحه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي في سني وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة ولا تحاجني. فقال له علي بن الحسين : يا عم اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله (عز وجل) جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك. قال أبو جعفر (الباقر): وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله (عز وجل) وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال

---

305 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5

306 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسين بن علي، ح رقم 2

307 - " ... وكان علي بن الحسين (ع) مبطونا لا يرون إلا أنه لما به".

308 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 1 و 2 و3

علي بن الحسين: يا عم لو كنت وصيا وإماما لأجابك، قال له محمد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام".[309]

**"معجزة حصاة أم أسلم"**

وروى الباقر "معجزة" أخرى حول (إمامة أبيه) فقال: إن امرأة تسمى "أم أسلم" جاءت يوما إلى النبي (ص) فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني قد قرأت الكتب وعلمت كل نبي ووصي، فموسى كان له وصي في حياته ووصي بعد موته، وكذلك عيسى، فمن وصيك يا رسول الله؟ فقال لها: يا أم أسلم وصيي في حياتي وبعد مماتي واحد، ثم قال لها: يا أم أسلم من فعل فِعْلي هذا فهو وصيي، ثم ضرب بيده إلى حصاة من الأرض ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدقيق، ثم عجنها، ثم طبعها بخاتمه، ثم قال: من فعل فعلي هذا فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي، فخرجت من عنده، فأتيت أمير المؤمنين فقلت: بأبي أنت وأمي أنت وصي رسول الله (ص)؟ قال: نعم يا أم أسلم ثم ضرب بيده إلى حصاة ففركها فجعلها كهيئة الدقيق، ثم عجنها وختمها بخاتمه، ثم قال: يا أم أسلم من فعل فعلي هذا فهو وصيي، فأتيت الحسن وهو غلام فقلت له: يا سيدي أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم يا أم أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة ففعل بها كفعلهما، فخرجت من عنده فأتيت الحسين - وإني لمستصغرة لسنه - فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنت وصي أخيك؟ فقال، نعم يا أم أسلم ائتيني بحصاة، ثم فعل كفعلهم. فعمرت أم أسلم حتى لحقت بعلي بن الحسين بعد قتل الحسين في منصرفه، فسألته أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم، ثم فعل كفعلهم صلوات الله عليهم أجمعين". [310]

**ادعاء "علم الغيب"**

و في محاولة أخيرة من الباقر لتأكيد (إمامة أبيه) روى حكاية تتضمن علم زين العابدين بالغيب، كدليل على الامامة، وقال: ان أبا خالد الكابلي (خادم محمد بن الحنفية) لم يكن يشك في إمامة ابن الحنفية ، حتى أتاه ذات يوم فقال له : جعلت فداك إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً ، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال : فقال :" يا أبا خالد حلفتني بالعظيم ، الإمام: علي بن الحسين (ع) وعليك وعلى كل مسلم". فأقبل أبو خالد لما سمع ما قاله محمد بن الحنفية، إلى علي بن الحسين، فاستأذن عليه ، فلما دخل عليه دنا منه قال : مرحباً بك يا "كنكر" ما كنت لنا بزائر ما بدا لك

---

309 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 5 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 ص 522، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 60

310 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 15

فينا ؟ فخر أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من علي بن الحسين (ع) فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت. فقال له علي: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد ؟ قال : إنك دعوتني باسمي الذي سمّتني أمي التي ولدتني ، وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمراً من عمري ولا أشك إلا وانه إمام، حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين فأرشدني إليك وقال : هو الإمام علي وعليك وعلى خلق الله كلهم ، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك سميتني باسمي الذي سمتني أمي فعلمت انك الإمام الذي فرض الله طاعته علي وعلى كل مسلم.[311]

**كيف أثبت الباقر إمامته؟**

وهكذا نصل الى عملية اثبات الباقر الامامة الالهية لنفسه، فيقول: "ان الامام زين العابدين أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق، قال فحُمل بين أربعة". فلما توفي جاء إخوته يدَّعون ما في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق فقال: "والله ما لكم فيه شئ ، ولو كان لكم فيه شئ ما دفعه إليَّ . وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه". [312]

وقد بحثنا هذا الموضوع في الباب الثاني، في موضوع امامة الباقر العادية، وكما نرى ان هذا السفط لا يحمل أية دلالة (إلهية) على امامة الباقر، وكذلك بحثنا في ذلك الباب أيضا كيفية انتقال الامامة الى ابنه جعفر الصادق، وانها كانت عادية، ولكن الامامية الذين حولوا الامامة الى إلهية اضطروا الى نسج روايات من وحي الخيال، ومنها رواية (اللوح السماوي) الذي يحتوي على أسماء الأئمة واحدا بعد آخر. حيث يروي محمد بن علي الصدوق (381) في (اكمال الدين واتمام النعمة) و(عيون اخبار الرضا) عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) عند الوفاة، دعا بابنه الصادق (ع) ليعهد إليه عهدا فقال له أخوه زيد بن علي (ع): لو امتثلت فيّ تمثال الحسن والحسين (ع) رجوت أن لا تكون أتيت منكرا، فقال له: يا أبا الحسين إن الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى، ثم دعا بجابر بن عبد الله، فقال له يا جابر حدثنا بما عاينت في الصحيفة، فقال جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة (ع) لأهنئها بمولود الحسن (ع) فاذا هي بصحيفة بيدها من درة بيضاء، فقلت: يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي، فقلت لها : ناوليني لأنظر

---

311 - الكشي 2 | 336

312 - الكليني، الكافي:305/1 ، الصفار، بصائر الدرجات، ص 180

فيها، قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل لكنه نهى أن يمسها الا نبي أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر الى باطنها من ظاهرها... ". [313]

ولكن هذه الرواية لم تصح، لأنها تتحدث عن استعانة الباقر بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري، لكي يشهد على امامة الصادق، وعدم توريث زيد، في الوقت الذي كان جابر قد توفي قبل وفاة الباقر (- 114هـ) بحوالي أربعين عاما، أي بحدود 78 للهجرة، ومع ذلك فانها تحمل في طياتها أيضا اعترافا إماميا بعدم معرفة زيد بالامامة الإلهية، وعدم امتلاك الباقر أي دليل لاثباتها الا بالاستعانة بجابر وبحديث (اللوح النوراني السماوي).

## الاثنا عشرية

لقد رأينا في رواية البرقي عن جابر بن يزيد الجعفي، انها صريحة بحصر (الامامة الإلهية) في أهل بيت النبي (ص) بصورة مطلقة، أي دون تحديد الأئمة في البيت الحسيني ولا في (اثني عشر اماما) وذلك لأنها ظهرت قبل نشوء نظرية (الاثني عشرية) في القرن الرابع الهجري.

ولكن محمد بن علي الصدوق (-381) الذي جاء بعد البرقي بحوالي مائة عام، يروي في (كمال الدين) حديثا أكثر تطورا في نظرية الامامة، يتضمن حصر الامامة في نسل الحسين، حيث يروي عن أبى الطفيل عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (ع): اكتب ما أملى عليك قال: يا نبىّ الله أتخاف علىّ النسيان؟ فقال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك ولكن اكتب لشركائك قال: قلت: ومن شركائى يا نبى الله؟ قال: الائمة من ولدك بهم تسقى أمتى الغيث وبهم يستجاب دعاؤهم وبهم يصرف الله عنهم البلاء وبهم تنزل الرّحمة من السّماء وهذا أوّلهم. وأومأ بيده إلى الحسن (ع) ثم أومأ بيده إلى الحسين (ع) ثمّ قال: الأئمة من ولده". [314]

وكما علمنا آنفا، فان فكرة حصر الامامة في أبناء الحسين، دون أبناء الحسن، كانت قد طرحت في أيام الباقر، ولكن نظرية الامامة حينها كانت مفتوحة الى يوم القيامة.

## ف 3 - نقد وتقييم نظرية الامامة السرمدية الأبدية

---

313 - الصدوق، اكمال الدين، ج 1 ص 305 – 307 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم – ايران، محرم الحرام 1405 و الصدوق، عيون أخبار الرضا ج1، ص: 40، 6 باب النصوص على الرضا (ع) بالإمامة في جملة الأئمة الاثني عشر (ع).

314 - الصدوق، كمال الدين: 206

واذا أردنا أن نقيم هذه النظرية وهذه الروايات على ضوء القرآن الكريم، فلن نجد عليها أي دليل قرآني، بل على العكس من ذلك توجد آيات تنفيها بوضوح مثل: " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير". (المائدة 19) كما تنفيها آية أخرى هي آية ختم النبوة: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما". (الأحزاب 40) وحتى آية النبي إبراهيم "إني جاعلك للناس إماما" والتي تشبث بها الباقر، لا تدل على وجود الامامة قبله ولا استمرارها بعده، حيث يقول الله تعالى في الرد على سؤال إبراهيم "ومن ذريتي؟ **قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**".[315]

ولم يجب الله طلب النبي إبراهيم بجعل الامامة، أو النبوة في جميع ذريته الى يوم القيامة، وانما "قال: لا ينال عهدي الظالمين".

ولكن الباقر يقول: "إنما الحجة في آل إبراهيم (ص) والأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء (ع) **حتى تقوم الساعة** لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب، من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) ... وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى (ع)".[316]

وكما هو ملاحظ فقد أدخل الباقر فكرة (الأبدية: حتى تقوم الساعة) في (آل إبراهيم) كما أوّل بصورة تعسفية كلمة (بيوت) التي أذن الله أن ترفع، التي هي المساجد التي يذكر فيها اسمه، بالعوائل أو (بيوتات الأنبياء). ثم ذهب ليقيس (آل محمد) على (آل إبراهيم) وفسر (الملك العظيم) الوارد في هذه الآية: ( فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا): "بأن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم" وأضاف: "جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة، **فكيف يقرون في آل إبراهيم (ع) وينكرونه في آل محمد** (ص)".[317]

---

315 - الكليني، الكافي:175/1

316 - الكليني، الكافي:8 /394

317 - الكليني، الكافي:206/1 الكليني، الكافى: 1/ 205 وبصائر الدرجات ص 56

وبعد أن خلط بين الرسل والأنبياء والأئمة، طرح الباقر فكرة أخرى هي وجود الأوصياء لجميع الأنبياء، لكي يستدل بها على وجود الوصي أو الأوصياء للنبي محمد، وهي فكرة خيالية لا دليل عليها من القرآن.[318]

وعندما أصل الباقر مبدأ وجود (الامام العالم الحجة الهادي في كل زمان)، وطبق مفهوم الامامة العام على (أهل البيت).[319] لم يبين الأساس الذي يحدد هوية الأئمة، وهل هم من أبناء علي أو الحسن أو الحسين؟ ومن هم من أبناء الحسين؟ وبدلا من أن يقدم الأدلة العلمية القرآنية على دعواه، لجأ الى القسم بالله.[320] وهو أمر غير مقبول في إثبات الأفكار والدعاوى النظرية الخطيرة.

وأما التأويلات التي قام بها لعدد من آيات القرآن، فانها كلها تأويلات تعسفية بلا دليل، إذ يمكن لأي انسان، أو لأي علوي آخر مثلا ان يدعيها لنفسه ثم يدعي الامامة.

وأما الأحاديث التي نقلها عن رسول الله عن الله عزوجل، حول الامامة والوصية وأسماء الأئمة وأسماء آبائهم.[321] فهي أحاديث مرسلة لا يعرفها أحد، ولا يمكن التسليم بصحتها، وذلك لعدم معرفة الأئمة أنفسهم بامامتهم وامامة من بعدهم، وحدوث البداء فيهم.

وأما حديث بناء الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، وأهمية الولاية على غيرها من اركان الدين.[322] فانها فكرة مستحدثة تخالف المعروف من أصول الإسلام وأركان الدين، وهي التوحيد والنبوة والمعاد، والصلاة والزكاة والصوم والحج. ولا يوجد في القرآن أي حديث عن الولاء لأهل البيت خاصة، في حين يوجد أمر بالولاء للمؤمنين بصورة عامة، كما في هذه الآية: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

318 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم 2

319 - الكليني، الكافي:416/1

320 - الكليني، الكافى: 1/ 192.

321 - الكليني، الكافى: 1/ 193.

322 - الصدوق، الخصال: 277.و الطوسى، الأمالي: 1/ 124.

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ". (التوبة، 71)

وربما كان أغرب ما في هذه الاحاديث، ما ورد في تفسير قوله تعالى "فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" قول الباقر: "أمركم الله تبارك وتعالى أن تسألونا ولنا إن شئنا أجبناكم وإن شئنا لم نجبكم.[323] إذ أنه يناقض الهدف المدعى والمفترض من تعيين الأئمة، فكيف يمكن أن يأمر الله الناس بسؤال (الأئمة) عن معالم الدين، ويعطيهم في نفس الوقت الحق برفض الإجابة؟!

وبعيدا عن كل هذه الملاحظات المهمة، فان هذه المقدمة الأولى من فلسفة الامامة، انهارت تماما بعد وفاة الامام الحسن العسكري دون خلف، في منتصف القرن الثالث الهجري، وعدم حدوث أي زلزال في الأرض، كما كان يقول الامام الباقر: " لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة، لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله". أو " لو بقيت الأرض يوما بلا إمام منّا لساخت بأهلها".[324] فقد فقد الأئمة من آل البيت، منذ ذلك الحين ولم يحدث أي شيء ولم تتزلزل الأرض ولم تسخ بأهلها.

ولم ينقذ النظرية الامامية افتراض فريق من الشيعة (الاثني عشرية) بوجود امام مخفي وغائب، وذلك لأن وجوده مثل عدمه، وهو لا يؤدي وظائف الامام (الحجة).

وقد اضطر مؤسسو المذهب الاثني عشري، الى افتراض وجود (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) من أجل انقاذ نظرية (الامامة الإلهية) والزعم بوجوب وجود (الامام) في كل عصر الى يوم القيامة، دون وجود أي دليل تاريخي على ولادته ووجوده، بل بالضد من تصريح الامام الحسن العسكري أمام القضاء في سامراء، بعدم وجود أي خلف له. وقد بنوا فرضيتهم على تلك النظرية، في حين كان يجب عليهم التسليم بالأمر الواقع وإعادة النظر في نظرية (الامامة الإلهية) المثالية الخيالية البعيدة عن القرآن الكريم.

تقييم **النصوص على الأئمة والإمامة**

[323] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 58 وهناك احاديث مشابهة عن ابي عبد الله وعلي الرضا. ص 56 و 60

[324] - الكليني ، الكافي : 1/ 179 والصدوق، كمال الدين: 202 و203 و204

لسنا بحاجة للقول أن الاحاديث المنسوبة للامام الباقر بعضها يقطع بصدورها عنه، وبعضها يحتمل الصدور، وبعضها الآخر يقطع بتأليفه في وقت لاحق، ولا صحة لنسبته اليه، مثل الأحاديث التي تتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر، والتي نعتقد بتأليفها في القرن الرابع الهجري عشية تأسيس (المذهب الاثني عشري)، والتي وردت في (الكافي) للكليني ، و (كمال الدين) للصدوق، و (منتخب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) للخزاز القمي، و (كتاب سليم بن قيس الهلالي) و(الغيبة) للنعماني، و(الارشاد) و (الأمالي) للمفيد، وما شابه من المجامع الحديثية.

ومن الأحاديث التي نشك بصدورها عن الامام الباقر، أو نكاد نقطع بكذبها وتأليفها من قبل الامامية في وقت لاحق، ما ينقله المفيد في القرن الخامس الهجري، بلا سند، عن الامامين الصادق والباقر عن رسول الله حول الوصية بالامام علي من الله في أثناء الاسراء.[325] أو نزول جبرئيل قبل وفاة النبي بالشهادة لعلي بالولاية وإمرة المؤمنين. [326] وما رواه الكليني في القرن الرابع الهجري عن موسى بن جعفر في القرن الثاني الهجري، عن أبيه الصادق بنزول جبرئيل بالوصية بالامام علي من عند الله كتابا مسجلا ، وختم الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار. [327] و إن الوصية نزلت من السماء على محمد كتاباً لم ينزل على محمد (ص) كتاب مختوم إلا الوصية .[328]

وكذلك نشك برواية البرقي (ت 274 أو 280) عن الامام الباقر أنه قال: "لما أنزلت :"يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ" قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام

---

[325] - المفيد، الأمالي، ص 173

[326] - الأمالي، ص 18-19

[327] - الكليني، الكافي، ج1 ص 279 - 284 الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد عن أحمد بن محمد، عن الحارث ابن جعفر، عن علي بن إسماعيل بن يقطين، عن عيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير عن موسى بن جعفر.

[328] - الكليني، الكافي، ج1 ص 279 وقد طور الراوي معاذ بن كثير هذه الرواية، في وقت لاحق، ليضيف عليها بأنه قال للامام الصادق: أسأل الله الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات . قال: قد فعل الله ذلك يا معاذ ، قال: فقلت: فمن هو جعلت فداك؟ قال: هذا الراقد وأشار بيده إلى العبد الصالح وهو راقد .(يقصد ابنه موسى بن جعفر) بالرغم من الارتباك والغموض والاختلاف الذي حدث في مسألة الوصية لاسماعيل بن جعفر الصادق ووفاته قبل أبيه، وتبوء عبدالله الأفطح للامامة بعد أبيه، ثم وفاته دون عقب، وانتقال الشيعة بعد ذلك الى أخيه موسى الكاظم.

الناس كلهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي من الله" .[329]

وكل هذه الروايات العجيبة الغريبة أخبار آحاد (لا تفيد علما ولا عملا) ولم يروها أحد غير البرقي والصفار والكليني والمفيد، في وقت متأخر، بسند مجعول أو من غير سند، واذا تجاوزنا موضوع السند، وقلنا كما يقول الاخباريون الشيعة بصحة صدورها عن الباقر، الذي توفي في بدايات القرن الثاني الهجري، فاننا لا يمكن أن نقبلها منه أيضا بلا سند، علما بأننا لا نؤمن بعصمته، وهي أشبه بالروايات الخيالية، ولسنا بحاجة للتوقف عندها كثيرا، فان القرآن الكريم لم ينزل مكتوبا في صحف، فكيف تنزل الوصية مكتوبة ومسجلة، بصورة سرية خاصة، لم يرها أحد لا في حياة الرسول ولا من بعده، ولم يظهرها أي إمام من ذرية الامام علي، ولم يشر اليها في أية أحاديث أخرى. وهذا ما يرجح اختلاقها من قبل الامامية في وقت متأخر.

وأما قول الباقر: "إن الله عز وجل نصب علياً (ع) علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة ".[330] فيحتمل صدوره منه بناء على احتمال تبنيه لنظرية الامامة الإلهية، واذا صح صدوره عنه، فانه لا ينطوي على حجية، لأنه مجرد رأي شخصي أو ادعاء بلا دليل، بل يخالف القرآن الكريم الذي لم يتحدث عن الامامة ولم يجعل الاعتراف بامامة علي شرطا للإيمان، وانكارها كفرا وضلالا وشركا. وهذا ما يرجح أيضا تلفيق واختلاق هذا الحديث.

ونأتي الى حديث الباقر الطويل: "نحن جنب الله..." وهو أيضا لا يحمل أية حجية، إذ أنه مجرد ادعاء، وينطوي على مفاهيم متطرفة لا توجد رائحتها في القرآن الكريم مثل: "نحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله ونحن حجة الله ، ونحن أركان الإيمان ونحن دعائم الإسلام ".[331] ولا يمكن قبول مثل هذه الادعاءات من أي شخص قبل أن تثبت حجيته من مصدر خارجي كالقرآن، ولا يوجد مثل هذا المصدر بالنسبة للباقر.

---

329 - البرقي، المحاسن:155/1 حديث رقم 84 والصفار، بصائر الدرجات، ص 53 و الكليني، الكافى: 1/ 215

330 - الكليني، الكافي:437/1 وقد تطورت هذه الرواية لاحقا لتتضمن أسماء الأئمة الاثني عشر. النعماني، محمد بن أبي زينب (ت 340) الغيبة، ص 93

331 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 83 والصدوق، كمال الدين، ص 206 والطوسي، الأمالي، ص 654 والخصيبي، الهداية الكبرى ص 239

وهكذا هو الموقف من حديث الباقر المشهور لأبي الجارود، الذي يكاد يتفق الشيعة الامامية على صحة صدوره عنه: " فرض الله عز وجل على العباد خمسا، أخذوا أربعا وتركوا واحدا...الصلاة ... الزكاة ... الصوم ...الحج ... الولاية". " والولاية لنا أهل البيت فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة".[332]

وقد تضمن حديث الباقر لأبي الجارود تلاعبا بشأن نزول بعض الآيات، وأخبارا خيالية، في محاولة لتدعيم فكرة (الولاية) حيث قال: " أنزل الله عز وجل " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" في عرفة، وكان كمال الدين بولاية علي ابن أبي طالب (ع) فقال عند ذلك رسول الله (ص) : أمتي حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني - فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة (أي مقطوعة) أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت " يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته". وهذا افتراء خيالي كاذب على رسول الله (ص) أنه تردد في تبليغ الولاية خوفا من ردة قومه المسلمين حديثي العهد بالجاهلية، وتهديد الله له واجباره على إعلان الولاية: "فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال: "أيها الناس ...هذا **وليكم من بعدي** ...ثم إن رسول الله (ص) حضره الذي حضر، فدعا عليا فقال: يا علي إني أريد أن **أأتمنك على ما ائتمنني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه**".[333] ولذا نرجح اختلاق هذا الحديث على لسان الباقر، الذي نربأ به أن يكذب على جده رسول الله.

ومن الملفت أن هذا الحديث الذي يصرح بالولاية "هذا وليكم بعدي" يناقض الأحاديث الأخرى المعروفة التي يرويها الشيعة الامامية عن (حديث الغدير) فان هذا الحديث يدعي أن عملية النصب تمت في عرفة، وليس في (غدير خم) بينما يقول الصدوق أن تنصيب الامام علي بالخلافة تم في (الجحفة) وهو ميقات أهل الشام ومصر، ويبعد عن مكة 163 كم ، ولا يوجد فيه سوى: " اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، و اخذل من خذله".[334]

---

[332] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6 و الصدوق، الخصال: 277. والطوسى، الأمالي: 1/ 124.

[333] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[334] - الصدوق، الخصال، ص 65

ولكنه يضيف إشارة للثقلين (الكتاب والعترة): " أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عز وجلّ ... **وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو على بن أبى طالب وعترته وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض"**.[335]

وهو يكاد يشابه حديث الصفار عن الامام الباقر حول (الثقلين): " دعا رسول الله أصحابه بمنى فقال: "يا أيّها النّاس إنّى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض" ثمّ قال أبو جعفر: أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأمّا الكعبة فهدموا، وأمّا العترة فقتلوا، وكلّ ودائع الله فقد تبرّوا ". [336]

ولكن حديث (الثقلين) لم يتواتر عند الشيعة الامامية، ولم يجمعوا عليه، ولم يتفقوا على نصه الأصيل، فان الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان (ت 413) روى نسخة مختلفة عن (حديث الثقلين) بسنده عن عبد الله بن عباس، لا تتضمن الجمع بين القرآن والعترة، قال: إن علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس دخلوا على رسول الله (ص) في مرضه الذي قبض فيه... فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر ثم قال: "... ألا اني لاحق بربي، وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحا ومساء فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا اخوانا كما أمركم الله. وقد خلفت فيكم عترتي أهل بيتي، وأنا أوصيكم بهم ثم أوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم بلاهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار ويشاطروا الثمار ويؤثروا وبهم الخصاصة، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار وليتجاوز عن مسيئهم". [337]

وهذا النص يقترب جدا من النص الذي يرويه مسلم عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب

---

335 - الصدوق، الخصال، ص 65

336 - الصفار، بصائر الدرجات: 413 و 414

337 - المفيد، الأمالي، ص 46 - 47

الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". [338]

ويلاحظ هنا أن (حديث الثقلين) الذي يرويه المفيد في (المدينة)، ويرويه مسلم في (خم) لا يحتوي على (حديث الغدير) المعروف: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" الذي رواه الصدوق في (الجحفة). ولكن المفيد يروي (حديث الغدير) بهذه الصورة: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله". ويضيف عليه من عنده جملة أخرى، وهي:" ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام".[339] في محاولة من المفيد – كما يبدو - لاعطاء الحديث معنى سياسيا صريحا، في الوقت الذي ينفي أن يكون (حديث الثقلين) دليلا على (الامامة) ويقول أثناء جداله مع (الجارودية) الزيدية: "هذا الخبر بأن يكون حجة لمن جعل الامامة في جميع بني هاشم أولى من أن يكون حجة لمن جعلها في ولد فاطمة، لأن جميع بني هاشم عترة النبي وأهل بيته بلا اختلاف...". [340] ويضيف: "هذا يلزمنا لو تعلقنا في الامامة باسم العترة كما تعلقت الزيدية، لكنا لا نعتمد على ذلك ولا نجعله أصلا لنا في الحجة".[341]

وبالرغم من عدم وجود نص صريح بنصب الامام علي خليفة من بعد الرسول، فان الكليني يروي عن الامام الباقر حديثا عن الإمام علي أنه خطب في أصحاب رسول الله بعد وفاته قائلا: "إنه اختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته فقال (ص) .. : أيها الناس إن عليا مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي... كان ذلك منه استخلافا لي كما استخلف موسى هارون (ع) حيث يقول: "اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين". [342]

واذا صح هذا الحديث عن الامام علي، فان استخلاف النبي له في المدينة عند خروجه الى مؤتة، كان استخلافا مؤقتا، كما كان استخلاف موسى لأخيه هارون أثناء ذهابه الى مناجاة ربه، وقد مات هارون قبل موسى، ولم يصبح خليفة له بعد وفاته، فالقياس باطل وغير مفيد، بالإضافة الى استبعاد صحة صدور الحديث عن الباقر، وعن الامام علي.

---

338 - مسلم، 122/7 وتكملة الحديث: " فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال: ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم ".

339 - المفيد، النكت الاعتقادية، ص 45

340 - الجارودية، ص 40

341 - الجارودية، ص ٤١

342 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة

**العصمة والتطهير**

ونأتي الى رواية علي بن إبراهيم القمي (ت 329) في (تفسيره) غير الموثق، في القرن الرابع الهجري، عن الزيدي أبي الجارود، عن الامام محمد الباقر، وتأويله لآية التطهير "إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" وتخصيصها في (أصحاب الكساء) دون نساء النبي، خلافا لظاهرها وسياقها ضمن مجموعة آيات تخاطب نساء النبي، وذلك من أجل إضفاء صفة القدسية والطهارة على (أصحاب الكساء: الامام علي وفاطمة والحسن والحسين) بالرغم من أن الآية لا تحتم التطهير التكويني من قبل الله، وانما تطلب من نساء النبي الالتزام الشديد بتعاليم الشريعة بهدف اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيرا.

ويتشبث القمي باختلاف الخطاب من (نون النسوة) الى (ميم الجمع المذكر) فينقل رواية عن أبي الجارود عن زيد بن علي أنه قال:" ان جهالا من الناس يزعمون إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي وقد كذبوا وأثموا، وأيم الله لو عنى بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا، ولكان الكلام مؤنثا كما قال: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) (ولا تبرجن) (ولستن كأحد من النساء)".[343]

ولسنا بحاجة للتوقف كثيرا عند روايات القمي، فلا هو بالثقة ولا (تفسيره) تصح نسبته اليه، وهو يتضمن أحاديث كثيرة وصريحة بتحريف القرآن. وروايته عن أبي الجارود من دون سند، ومن المعروف أن أبا الجارود كان متأثرا بالباقر ويؤمن بالنص الخفي (بالوصف) على الامام علي، ثم انتقل الى الزيدية، بعد وفاة الباقر، ولم يؤمن بامامة ابنه جعفر الصادق، أي لم يحصر الامامة في أبناء الحسين، وانما قال بإمكانية كونها في (البطنين).

وعلى أية حال فان محاولة الامامية حصر آية التطهير في (الأئمة) وإخراج أزواج النبي منها، بناء على إرادة الله منها إرادة تكوينية، أي تحقق العصمة للأئمة فعلا، وليس كما يفهم من سياقها بأن المقصود منها الإرادة التشريعية، أي الهدف من التشدد مع أزواج النبي هو إرادة التطهير وإذهاب الرجس عنهن، وأما لماذا اختلفت آية التطهير من (نون النسوة) الى (ميم الجمع المذكر) فلأن هذا الهدف (التطهير) يشمل جميع أهل البيت ولا يختص بنساء النبي، كما خاطب الملائكة زوجة إبراهيم: "قالوا أتعجبين من أمر الله، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت، انه حميد مجيد". (هود 73) وذلك لشمول الرحمة والبركات عموم أهل البيت، وعدم اقتصاره على الزوجة.

---

343 - القمي، علي بن إبراهيم، التفسير، ج 2 ص 193

**ما صحة روايات التآمر على الامام علي؟**

ان روايات التآمر على الامام علي، من قبل خيار الصحابة كأبي بكر وعمر، أخبار آحاد مرفوضة، لانفراد الكليني والمفيد وبعض المحدثين الشيعة الامامية بروايتها، وعلى فرض صحة نسبتها للامام الباقر، فهي بلا سند ولا تشكل دليلا على حدوث التآمر، وذلك لأنها صادرة في أجواء الدعاية الامامية التي كانت تزعم وجود النص على الامام علي من الله والنبي محمد، وتحاول تبرير ما حدث في السقيفة من انصراف الصحابة عن بيعة الامام علي ببث إشاعة التآمر المسبق والتصميم على مخالفة النبي، وهي أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة.

ويشهد على وضع هذه الروايات احتواؤها على دعوى تحريف القرآن بصراحة، كما في هذه الرواية: "قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، قل إني لن يجيرني من الله (إن عصيته) أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته (في علي) ". قلت، هذا تنزيل؟ قال: نعم، ثم قال توكيدا: " ومن يعص الله ورسوله (في ولاية علي) فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ".[344]

وأما رواية (السر) التي يحكيها المفيد عن جعفر بن محمد، في تفسير آية: (التحريم،3) فهي رواية متهافتة وغير معقولة، وتخالف المعروف من أقوال المفسرين الذين يتحدثون عن خلوة النبي مع مارية القبطية في بيت عائشة، واطلاع حفصة على ذلك، وطلب النبي منها كتمان الأمر، ولكنها أفشت السر الى عائشة. ولكن رواية المفيد تقول: "ان السر الذي كان من رسول الله (ص) الى بعض أزواجه: اخباره عائشة أن الله أوحى اليه أن يستخلف أمير المؤمنين... وانها أذاعت السر، واتفق القوم على عقد بينهم إن مات رسول الله لم يورثوا أحدا من أهل بيته ولا يؤتوهم مقامه".[345]

ولا تقول الرواية لماذا أخبر النبي عائشة بالسر؟ ومتى كانت الحادثة؟ ولماذا كان أمر الوصية سرا؟ ألم يقل الاماميون بأن النبي قد عين الامام علي خليفة له في يوم الدار في مبتدأ البعثة في مكة، ثم في حديث المنزلة يوم مؤتة؟ ثم في غدير خم؟ فكيف تقول هذه الرواية: ان النبي خاف وتردد في اعلان الأمر؟

ورغم ادعاء الامامية بنزول الوصية للامام علي بالامامة، من السماء، وفي كتاب مسجل، فانهم يواجهون الواقع التاريخي الذي يحكي بيعة الامام علي

---

[344] - الكليني، الكافي، ج1 ص 434

[345] - المفيد، المسائل الحاجبية العكبرية، ص 77 - 78

للخلفاء الثلاثة، وهو ما ينقض حكاية النصب الإلهي له، اذ لم يكن يسعه التنازل عن امامته تحت أي ضغط، وفي محاولة لحل هذا التناقض روى الكليني حديثا مسندا عن الباقر، يفسر فيه سبب احجام الامام علي عن الدعوة لنفسه بعد وفاة رسول الله (ص) وكتمان أمره، بل ومبايعته لأبي بكر، بالإكراه وعدم وجود الأعوان. ويقول: "إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين (ع) من أن يدعو إلى نفسه إلا نظرا للناس وتخوفا عليهم أن يرتدوا عن الاسلام فيعبدوا الأوثان ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ص) وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الإسلام ... ولذلك كتم علي (ع) أمره وبايع مكرها حيث لم يجد أعوانا ".[346]

## انتقال الامامة الى الحسن والحسين

واذا كان اثبات الامامة الإلهية للامام علي صعبا، فان اثباتها لبقية الأئمة أصعب، وقد ادعى الامام الباقر تسلسل النص من الامام علي لأبنائه فقال في تتمة الرواية الآنفة التي تضمنت ( نزول الوحي على النبي (ص) وأمره بالصدع بامامة علي): " ثم إن عليا (ع) حضره الذي حضره فدعا ولده فقال لهم:"... ألا إن هذين ابنا رسول الله (ص) الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا... ثم إن الحسن (ع) حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين (ع). ثم إن حسينا حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين (ع) – فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين (ع) مبطونا لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا".[347]

---

346 - الكليني الكافي ج8 ص 296 – 295

347 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 291

وتغفل هذه الرواية السرية التي يرويها الكليني، عن الباقر: عن أن الامام علي رفض العهد لابنه الحسن،[348] وأن الامام الحسن تنازل عن الخلافة لمعاوية، واشترط عليه أن تعود الخلافة شورى،[349] وانه لم يوص لأخيه الحسين علنا.

واذا كانت هذه الرواية غريبة، فان الرواية الأخرى أغرب منها، وهي التي تزعم تحدث الامام علي مع حفيده علي بن الحسين ذي السنتين، وأمره بدفع الكتب والسلاح الى ابنه محمد الباقر، الذي لم يكن مولودا بعد.[350]

وفي الحقيقة ان نظرية الامامة الإلهية واجهت امتحانا صعبا جدا في محاولة إثبات الامامة لعلي بن الحسين، فقد اعترف الباقر بعدم قيام الحسين بالوصية الى ابنه زين العابدين مباشرة، كما في رواية الكليني الآنفة.[351] الا ان الباقر يقول: "إن الحسين أوصى إلى ابنته الكبرى فاطمة وسلمها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة. وإن فاطمة دفعت الكتاب إلى علي بن الحسين، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا".[352]

وربما كان الباقر يدرك أن الامامة لزين العابدين لا تثبت برواية خاصة سرية مشكوك فيها، أو بوراثة كتاب ملفوف لا يعرف أحد ماذا يوجد فيه، ولا سيما أن زين العابدين كان معتزلا الحياة الاجتماعية والسياسية، وان عمه محمد بن الحنفية كان يقود الشيعة بعد استشهاد الامام الحسين، في المرحلة (الكيسانية). وقوله له – حسب رواية الباقر –: "... وقد قتل أبوك ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي في سني وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة ولا تحاجني". ولذلك لجأ الباقر الى "دليل المعاجز" كـ :

**"معجزة الحجر الأسود"**

وقول علي بن الحسين لعمه محمد بن الحنفية: "إن الله (عز وجل) جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله

---

[348]- الشريف المرتضى، الشافي، ج 3 ، ص 295 ، والمرتضى، تثبيت دلائل النبوة، ج 1 ، ص 212 و ابن ابي الدنيا، مقتل الامام أمير المؤمنين، ص 43

[349]- المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 65 ، باب : كيفية المصالحة، من تاريخ الامام الحسن المجتبى.

[350] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5

[351] - "ثم إن حسينا حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين (ع) – فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين (ع) مبطونا لا يرون إلا أنه لما به".

[352] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 1 و 2 و3

عن ذلك". قال أبو جعفر (الباقر): وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فدعا الله علي بن الحسين بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين إلى علي بن الحسين ".[353]

وهذه الرواية ينقلها الصفار والكليني وابن بابويه الصدوق، في القرن الرابع الهجري، بفاصلة حوالي مائتي عام، عن الامام الباقر، الذي لم يشهد الحادثة، لأنه كان بعمر الرابعة، كما لم يشهدها أحد من المسلمين، رغم ما يقال بأنها حدثت في الكعبة، علما بأن هذا الحجر الأسود لم يشهد للنبي محمد (ص) بالنبوة، رغم طلب والحاح قريش عليه بالمجئ بآية معجزة حتى يؤمنوا برسالته. وهو ما يدفعنا للتشكيك بصحة الرواية التي ينقلها الثلاثي عن الامام الصادق، مع وجود احتمال بوضعها من قبل الرواة، أو اختلاقها من قبل منظري الامامية، ولكنهم عجزوا عن تمرير هذه الأسطورة غير قابلة للتصديق، فاختلقوا قصصا عن (معجزات) أخرى مثل **معجزة حصاة أم أسلم**.[354] والادعاء **بعلم الامام زين العابدين الغيب** ، ومعرفته باسم أبي خالد الكابلي الحقيقي الذي لا يعرفه أحد.[355]

واذا امعنا النظر في هذه القصص (الاعجازية) الثلاث، التي أوردها الباقر لاثبات إمامة أبيه زين العابدين، فانها تكشف وتؤكد عدم وجود نص بالامامة عليه، وعدم معرفة أحد بها من الشيعة فضلا عن عامة المسلمين. ثم ان هذه القصص لم يروها أحد غير الباقر، الذي كانت له مصلحة سياسية في روايتها، لأنها ستكون طريقا لادعائه بالامامة. ويقوى الظن بأنها قصص غير واقعية ولا حقيقة لها، وربما كانت من تأليف آخرين ونسبتها اليه.

ولو سلمنا بأن الباقر هو من رواها، فانه لم يذكر سنده لقصة التحاكم للحجر الأسود، فقد كان طفلا صغيرا بعمر الرابعة حين حدوثها المفترض، والمعروف ان زين العابدين لم يدع الامامة ولم يتصد لها. واذا كان لديه دليل على دعواه المفترضة بالامامة لكان قدمه الى عمه ابن الحنفية، ولم يكن ليلجأ الى الطريق (الاعجازي) بالتحاكم الى الحجر الأسود، الذي لم يتحاكم اليه رسول الله (ص) ولم يستخدمه لاثبات نبوته أمام قريش التي كانت تطالبه بآية معجزة. واذا كانت هذه القصة قد حدثت فعلا وفي الكعبة، فلماذا لم يروها أي أحد غير الباقر؟ وهل كانت الكعبة خالية من الناس؟ وما هي فائدة المعجزة اذا لم يشاهدها عامة الناس؟

أما القصة (الاعجازية) الثانية: (حصاة أم أسلم) فهي أيضا لا دليل على وقوعها، فلا أحد يعرف (أم أسلم) ولم يعرف عن النبي الأكرم أنه قام بفرك حصاة وتحويلها الى عجين وطبع

---

353 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 5 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 ص 522، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 60

354 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 15

355 - الكشي 2 | 336

خاتمه فيها، من أجل اثبات الامامة لعلي وبنيه، ولا سيما ان الرواية تقول بأن أم أسلم ذهبت مباشرة الى علي الذي قام أيضا بفرك حصاة أخرى وطبع خاتمه فيها، ثم ذهبت الى الحسن والحسين وهما طفلان صغيران، فقاموا بنفس العمل. وأخيرا جاءت بعد حوالي ستين عامة لكي تختبر زين العابدين بالقيام بنفس الشئ وتتأكد من امامته. مما يعني أنها لم تكن تعرف قبل ذلك بأي نص عليه.

ونأتي الى قصة (أبي خالد الكابلي) خادم محمد بن الحنفية، الذي كان يؤمن بامامته، ومع ذلك قام بسؤاله يوما: "هل أنت الامام الذي فرض الله طاعته؟" وان ابن الحنفيه أرشده الى زين العبادين، وأن هذا كان يعلم الغيب فناده باسمه. علما بأن ابن الحنفيه لم يكن يدعي أنه امام مفترض الطاعة من الله، وانما كان يدعي الوصية من أبيه الامام علي لا أكثر ولا أقل. ولم يقدم الباقر أي دليل على صحة ما ينقل عن الكابلي. مما يؤكد تأليف هذه القصص من الخيال من أجل ملء الفراغ في النص على إمامة زين العابدين.

**كيف أثبت الباقر إمامته؟**

وعندما نصل الى عملية اثبات الباقر الامامة الالهية لنفسه، لا نجد أي دليل سوى حكاية (السفط أو الصندوق) المملوء كتبا واسلحة، الذي منحه إياه والده زين العابدين عند وفاته. [356]

ومن الواضح ان هذا السفط لا يحمل أية دلالة (إلهية) على امامة الباقر، ولكن الامامية الذين حولوا الامامة العلمية العادية الى إلهية اضطروا الى نسج روايات من وحي الخلاف، ومنها رواية (اللوح السماوي) الذي يحتوي على أسماء الأئمة واحدا بعد آخر. والتي رواها الصحابي جابر الأنصاري لأهل البيت عند احتضار الامام الباقر، حسب ما يروي محمد بن علي الصدوق (381) في (اكمال الدين واتمام النعمة) و(عيون اخبار الرضا) . [357]

وقد فات الصدوق أن جابر الانصاري، كان قد توفي قبل وفاة الباقر (- 114هـ) بحوالي أربعين عاما، أي بحدود 78 للهجرة، ومع ذلك فان هذه الرواية تحمل في طياتها اعترافا إماميا بعدم امتلاك الباقر أي دليل لاثبات الامامة الا بالاستعانة بجابر وبحديث (اللوح النوراني السماوي) الأسطوري.

---

356 - الكليني، الكافي:305/1 ، الصفار، بصائر الدرجات، ص 180

357 - الصدوق، اكمال الدين، ج 1 ص 305 – 307 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم – ايران، محرم الحرام 1405 و الصدوق، عيون أخبار الرضا ج1، ص: 40، 6 باب النصوص على الرضا (ع) بالإمامة في جملة الأئمة الاثني عشر (ع).

**الامام الصادق يتبرأ من نظرية "الإمامة"**

وبالرغم من كل تلك الأحاديث المروية عن الباقر والصاق حول الامامة الدينية (الإلهية) فانه توجد أحاديث مضادة ينفي فيها الامام الصادق أن يكون مفروض الطاعة من الله، مما يحتمل أن تكون تلك الأحاديث مكذوبة عليه وعلى أبيه، أو أن يكون يمارس التقية في نفي الامامة عن نفسه علنا، وتأكيدها لبعض أصحابه سرا تحت جناح (التقية).

وهو أساسا لم يدع النص عليه من أبيه الباقر، كما لم ينص على أحد من ولده بالإمامة.

فقد روى الكليني عن سعيد السمان أنه كان عند أبي عبدالله (الصادق) إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا له: أ فيكم إمام مفترض الطاعة؟ فقال: لا، فقالا له: قد أخبرنا عنك الثقات أنك تفتي وتقر وتقول به ونسميهم لك، فلان وفلان، وهم أصحاب ورع وتشمير، وهم ممن لا يكذب. فغضب أبو عبدالله فقال: هم أعلم وما قالوا .. ما أمرتهم بهذا. فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا.[358]

ولكن السمان يضيف إلى هذه الرواية: أن الإمام الصادق لعن السائلَين (الزيديين) بعدما خرجا، وأكد نظرية الإمامة، وادعى: "أن لديه سيف رسول الله (ص) ودرعه ولامته ومغفره، وأن عنده خاتم سليمان والطست الذي كان يقرب بها موسى القربان، وأن عنده التابوت التي جاءت بها الملائكة تحمله، والسلاح الذي من صار إليه أوتي الإمامة".[359] وبغض النظر عن المناقشة في هذه الدعاوى العجيبة الغريبة التي لم يدعها رسول الله (ص) من أجل إثبات نبوته. فإن هذه التتمة تكشف عن تناقض دعوى "الإمامية" السرية مع موقف الإمام الصادق المعلن الرافض لنظرية "الإمامة الإلهية".

وقد روى الشيخ المفيد: ان المنصور الخليفة العباسي لما بلغه ما عليه الامام جعفر الصادق، من دعوى الامامة لنفسه أمر حاجبه الربيع بإحضاره الى بغداد فأحضره، فلما بصر به المنصور قال له: قتلني الله إن لم أقتلك، أتلحد في

---

358 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ، ح رقم 1 والكشي عن سعيد الأعرج عن الإمام الصادق. الخوئي، معجم الرجال، رقم 5109 والصفار، بصائر الدرجات، ج 4، باب (4) ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله ص وآيات الأنبياء، ح رقم (4)

359 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 5

سلطاني وتبغيني الغوائل؟! فقال له أبو عبد الله: والله ما فعلت ولا أردت، فإن كان بلغك فمن كاذب، ولو كنت فعلت لقد ظَلم يوسف فغفر، وابتلي أيوب فصبر، وأعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك.[360]

## ف4 - تطور قانون انتقال الامامة الدينية من واحد الى آخر

مع تطور نظرية الامامة العادية الى (الامامة الدينية الالهية) تطور أيضا قانون انتقال الامامة من واحد الى آخر ضمن السلالة الحسينية. وحسب هذه النظرية، فان هذا القانون اتخذ صفة إلهية، وخرج من أيدي الأئمة أنفسهم ليتعلق بإرادة الله عز وجل، كما يقول أبو بصير في حديث له عن الامام الصادق، حيث يقول: كنت عند أبي عبد الله (ع) فذكروا الأوصياء وذكرت إسماعيل (بن جعفر) فقال: لا والله يا أبا محمد ما ذاك إلينا، وما هو إلا إلى الله (عزّ وجلّ) ينزل واحداً بعد واحد. أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله (ص) لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه".[361]

وقال أبو بصير سألت أبا عبد الله (ع) وطلبت وقضيت إليه أن يجعل هذا الامر إلى إسماعيل فأبى الله الا ان يجعله لأبي الحسن موسى (ع) .[362]

وكان الامام الصادق قد أوصى الى ابنه إسماعيل، فمات في حياته قبل وفاة الصادق بحوالي عشرين عاما.

وقال الامام الصادق: إن جبرئيل اتى رسول الله بصحيفة مختومة **بسبع خواتيم** من ذهب وأمر إذا حضره أجله أن يدفعها إلى علي بن أبي طالب فيعمل بما فيه ولا يجوزه إلى غيره، وأن يأمر كل وصى من بعده أن يفك خاتمه ويعمل بما فيه ولا يجوز غيره .[363]

ويقارن الامام الصادق بين أوصياء الأنبياء والأئمة فيقول: "إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود لرجال مسمين، ليس للامام أن يزويها عن الذي يكون من بعده، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود (ع): أن اتخذ وصيا من أهلك فإنه

---

[360] - المفيد، الارشاد ، ج2 ص 182-184

[361] - الكليني، الكافي، ج1 ص 377 -378 والصفار، بصائر الدرجات، ص 490

[362] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 492

[363] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 166 يلاحظ: (صحيفة مختومة بسبع خواتيم)

قد سبق في علمي أن لا أبعث نبيا إلا وله وصي من أهله وكان لداود (ع) أولاد عدة وفيهم غلام كانت أمه عند داود وكان لها محبا، فدخل داود (ع) عليها حين أتاه الوحي فقال لها: إن الله عز وجل أوحى إليّ يأمرني أن أتخذ وصيا من أهلي فقالت له امرأته: فليكن ابني؟ قال: ذلك أريد وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري ... وكذلك الأوصياء (ع) ليس لهم أن يتعدوا بهذا الامر فيجاوزون صاحبه إلى غيره. [364]

ويقول: أترون أن الموصي منا يوصي إلى من يريد؟ لا والله ولكنه عهد من رسول الله (ص) إلى رجل فرجل. حتى انتهى إلى نفسه. [365]

وعن حمران عن أبي عبد الله (ع) قال يقول: ما مات عالم حتى يعلمه الله إلى من يوصي. [366]

وعن عمرو بن ابان عن أبي عبد الله (ع) قال: ما مات منا عالم حتى يعلمه الله إلى من يوصي. [367]

وتخبرنا هذه الروايات الآنفة، ومجموعة أخرى من الروايات عن عدم معرفة الأئمة أنفسهم بخلفائهم، كما عن الحكم بن مسكين، عن بعض أصحابنا قال: قلت لأبي عبد الله (ع): متى يعرف الأخير ما عند الأول؟ قال: في آخر دقيقة تبقى من روحه. [368]

- وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (ع) قال: لا يموت الامام حتى يعلم من يكون من بعده فيوصي إليه. [369]

- وعن يعقوب السراج قال سألت أبا عبد الله (ع): متى يمضي الامام حتى يؤدي علمه إلى من يقوم مقامه من بعده؟ فقال: لا يمضي الامام حتى يفضي

---

[364] - الكليني، الكافي، ج1 ص 278

[365] - الكليني، الكافي، ج1 ص 276-279

[366] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 493

[367] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 493

[368] - الكليني، الكافي، ج1 ص 274- 275 (باب وقت ما يعلم الامام جميع علم الإمام الذي كان قبله)

[369] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 486

علمه إلى من انتجبه الله، ولكن يكون صامتا معه فإذا مضى ولي العلم نطق به من بعده. [370]

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن أسباط عن الحكم بن مسكين، عن بعض أصحابنا قال: قلت لأبي عبد الله (ع): متى يعرف الأخير ما عند الأول؟ قال: في آخر دقيقة تبقى من روحه [371]

- محمد، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول: يعرف الذي بعد الامام علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه. [372]

- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن يعقوب بن يزيد، عن علي بن أسباط، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: الامام متى يعرف إمامته وينتهي الامر إليه؟ قال: في آخر دقيقة من حياة الأول. [373]

- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عمر قال: سألت الرضا (ع) عن قول الله عز وجل: " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " قال: هم الأئمة من آل محمد (ص) أن يؤدي الامام الأمانة إلى من بعده ولا يخص بها غيره ولا يزويها عنه. [374]

بيد أن هذا القانون تعرض الى تحد، عند وفاة الامام موسى الكاظم في بغداد بعيدا عن ابنه الرضا الذي كان في المدينة، مما دفع أحد أصحابه وهو صفوان بن يحيى أن يسأله: اخبرني عن الامام متى يعلم أنه امام؟ حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضي مثل أبى الحسن (ع) قبض ببغداد وأنت هيهنا؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه. قلت: باي شيء؟ قال يلهمه الله ذلك .[375]

---

[370] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 486

[371] - الكليني، الكافي، ج1 ص 274 (باب وقت ما يعلم الامام جميع علم الإمام الذي كان قبله)

[372] - الكليني، الكافي، ج1 ص 274

[373] - الكليني، الكافي، ج1 ص 276

[374] - الكليني، الكافي، ج1 ص 276

[375] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 486

وتكررت هذه المشكلة مع ابن الرضا محمد الجواد الذي كان في المدينة وتوفي ابوه في خراسان، كما تكررت مرة ثالثة مع علي الهادي الذي كان في المدينة حين توفي أبوه في بغداد.

وقد حل الامامية المشكلة بصورة غيبية، وقالوا: بينا أبو الحسن (الهادي) جالس مع مؤدب له يكنى أبا ذكريا، وأبو جعفر (الجواد) عندنا انه ببغداد، وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدبه إذ بكى بكاء شديدا فسأله المؤدب ما بكاؤك؟ فلم يجبه، فقال: ائذن لي بالدخول، فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا فسألناه عن البكاء؟ فقال: إن أبي قد توفى الساعة!.. فقلنا بما علمت؟ قال: فادخلني من اجلال الله ما لم أكن اعرفه قبل ذلك!.. فعلمت انه قد مضى (أبي). فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت .[376]

وينفرد أبو بصير برواية مخالفة لما سبق، فيروي عن أبي عبد الله (ع) ان الامام يعرف نطفة الامام التي يكون منها امام بعده. [377]

ولكن محمد بن علي الصدوق (381) ينقل في (اكمال الدين واتمام النعمة) رواية عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) عند الوفاة، دعا بابنه الصادق (ع) ليعهد إليه عهدا فقال له أخوه زيد بن علي (ع): لو امتثلت فيّ تمثال الحسن والحسين (ع) رجوت أن لا تكون أتيت منكرا فقال له: يا أبا الحسين إن الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى، ثم دعا بجابر بن عبد الله، فقال له يا جابر حدثنا بما عاينت في الصحيفة، فقال جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة (ع) لأهنئها بمولود الحسن (ع) فاذا هي بصحيفة بيدها من درة بيضاء، فقلت: يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي، فقلت لها : ناوليني لأنظر فيها، قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل لكنه نهى أن يمسها الا نبي أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر الى باطنها من ظاهرها... ". [378] ). ومن الواضح أن هذه الرواية التي ينقلها الصدوق بلا سند،

---

376 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 487

377 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 497

378- الصدوق، اكمال الدين، ج 1 ص 305 – 307 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم – ايران، محرم الحرام 1405 و الصدوق، عيون أخبار الرضا ج1، ص: 40، 6 باب النصوص على الرضا (ع) بالإمامة في جملة الأئمة الاثني عشر (ع). ومن الواضح أن هذه الرواية التي ينقلها

موضوعة، لأن جابر توفي قبل الباقر بحوالي أربعين عاما. ولم يكن الامام زيد الذي لم يكن يؤمن بنظرية الامامة، وكان على خلاف مع أخيه الباقر، ليطلب منه أن يعينه خليفة له.

وهناك رواية أخرى ينقلها أحد الغلاة، وهو الحسين بن حمدان الخصيبي (ت 358) في القرن الرابع مرسلا، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، تعتمد على موضوع (علم الامام بالغيب) كطريق لمعرفة الامام في غياب النص الواضح، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَ) وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَنِي دَلَالَةً مِثْلَ مَا أَعْطَانِي أَبُو جَعْفَرٍ (عَ). فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَا كَانَ لَكَ فِيمَا كُنْتَ فِيهِ شُغُلٌ؟! تَدْخُلُ عَلَى إِمَامِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟! قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا فَعَلْتُ إِلَّا عَلَى عَمْدٍ. قَالَ: أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي. قَالَ: قُمْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَاغْتَسِلْ. فَاغْتَسَلْتُ وَعُدْتُ إِلَى مَجْلِسِي، فَعَلِمْتُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ الْإِمَامُ . [379]

كما يروي الطبري الصغير (ت 410) رواية مشابهة عن مُهَلَّبُ بْنُ قَيْسٍ، تعتبر (الاعجاز) طريقا لمعرفة الامام، قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ (عَ): بِأَيِّ شَيْءٍ يَعْرِفُ الْعَبْدُ إِمَامَهُ؟ قَالَ: أَنْ يَفْعَلَ كَذَا. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَائِطٍ، فَإِذَا الْحَائِطُ ذَهَبَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أُسْطُوَانَةٍ فَأَوْرَقَتْ مِنْ سَاعَتِهَا، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ. [380]

وهكذا يروي الكليني عن زرارة عن أبى جعفر (ع) أنه قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهّرا مختونا، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينيه ولا ينام قلبه، ولا يتثأب ولا يتمطّى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونجوه كرائحة المسك والأرض موكّلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله (ص) كانت عليه وفقا، وإذا لبسها غيره من النّاس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبرا، وهو محدّث إلى أن تنقضي أيّامه". [381]

ولكن هذا الادعاء بأن تعيين الأئمة يتم بأمر من الله، حسب نظرية الامامة الالهية، تعرض الى امتحان كبير بوفاة إسماعيل بن جعفر الصادق عام 134 في

---

الصدوق بلا سند، موضوعة، لأن جابر توفي قبل الباقر بحوالي أربعين عاما. ولم يكن الامام زيد الذي لم يكن يؤمن بنظرية الامامة، وكان على خلاف مع أخيه الباقر، ليطلب منه أن يعينه خليفة له.

[379]- الخصيبي، الهداية الكبرى، ص 250

[380]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 251 و نوادر المعجزات: 140/ 9

[381] - الكليني، الكافى: 1/ 388

حياة أبيه، مما دفعه للقول: " بدا لله في إسماعيل" مما أحدث هزة كبيرة في صفوف الشيعة الامامية، وانشقاق سليمان بن جرير الرقي، الذي أنكر (البداء) وقال: كذبنا، ولم يكن جعفر إماما لأن الامام لا يكذب، ولا يقول ما لا يكون. ومال الى (البترية) وقال: إن الامامة بالشورى.[382]

وبعيدا عن الأحاديث التي رواها أبو بصير عن الامام الصادق بأن "الامامة عهد من الله ورسوله لرجل فرجل، حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه".[383] أو "ان الله أبى الا ان يجعل هذا الأمر لأبي الحسن موسى".[384] والتي يبدو أن أبا بصير اختلقها تأييدا لامامة موسى الكاظم فيما بعد، فان التاريخ الشيعي يؤكد عدم معرفة كبار الشيعة الامامية بخليفة الصادق، مثل زرارة بن أعين (الذي كان من كبار تلامذة الباقر والصادق) والذي سمع بوفاة الصادق وهو على فراش الموت في الكوفة، فأرسل ابنه عبيد الله إلى المدينة لكي يستطلع له هوية الإمام الجديد، ولكنه توفي قبل أن يعود ابنه من السفر، فوضع المصحف على صدره وقال أنه يأتم بهذا المصحف أو من يشير إليه المصحف.[385]

وان الشيعة أجمعوا على امامة ابن الصادق عبد الله الأفطح، على أساس الكبر، وليس بناء على النص، وانما بناء على أحاديث رووها حول هذا القانون، بأن الامامة في "الكبير ما لم تكن فيه عاهة".[386]

فقد ذهب عامة الشيعة الجعفرية الى عبد الله الأفطح بناء على حديث رووه عن الصادق، أنه سئل عن: المتوثب على هذا الأمر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ فقال: يُسأل عن الحلال والحرام. ثم قال: "ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، ويكون عنده السلاح، ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان: إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان بن فلان".[387]

كما رووا حديثا آخر: تكون الامامة في من تكون فيه:" الوصية الظاهرة والفضل، بحيث لا يستطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فرج، فيقال: كذاب ويأكل أموال الناس، وما أشبه هذا".[388] أو اتصافه بـ "السكينة والوقار

---

[382] - النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، ص 64

[383] - الكليني، الكافي، ج1 ص 377 -378 والصفار، بصائر الدرجات، ص 490

[384] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 492

[385] - الكشي، ترجمة زرارة بن أعين. والصدوق، إكمال الدين، ص 75 و76

[386] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 6

[387] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 2

[388] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 3

والهيبة".[389] وهذه أحاديث تنبع من ثقافة (الامامة العادية) قبل أن تتحول لدى بعض الشيعة الى (امامة إلهية).

ان التاريخ الشيعي يؤكد أن "عبد الله الأفطح" جلس مجلس أبيه الصادق، وادعى الوصية له، وأجمع الشيعة "الجعفرية" عليه.[390] (ما عدا "الإسماعيلية" [391] الذين تمسكوا بحياة إسماعيل أو انتقلوا للقول بإمامة ابنه محمد، و"الناووسية" الذين أنكروا وفاة الصادق، وقالوا بمهدويته وغيبته[392]). وذلك حسب العلامات التي كان قد همس بها الإمام الصادق لبعض شيعته، حول معرفة الإمام الجديد كالكبر والقرب والوصية الظاهرة. حيث يؤكد الصفار والكليني والمفيد والكشي: على ذهاب أقطاب "الإمامية" كعبد الله بن بكير وعمار الساباطي وهشام بن سالم الجواليقي ومحمد بن النعمان الأحول، في البداية إلى عبدالله الأفطح "الذي أجمع الناس عليه أنه صاحب الأمر بعد أبيه" وذلك لرواية الناس عن أبي عبدالله:" أن الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة"، وإصرار عمار الساباطي وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق على القول بإمامته حتى النهاية.[393] وحسبما يقول النوبختي فقد مال إلى عبد الله الأفطح جل مشايخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكُّوا في أن الإمامة في عبد الله بن جعفر وفي ولده من بعده.[394] وروى بعضهم عن الإمام الصادق أنه طلب من ابنه موسى

---

[389] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام، ح رقم 3 ومن الجدير بالذكر ان نظرية "الاثني عشرية" لم تكن معروفة في زمان الصادق، ولم يكن أحد سمع قط بأسماء الأئمة الاثني عشر الذين نظم الشيعة قائمتهم في القرن الرابع الهجري.

[390] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87 و النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78 و الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 87 - 88

[391] - نشأت الفرقة "الإسماعيلية" كانشقاق عن "الجعفرية" وقالت:"إن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، وان الإمام لا يقول إلا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت". وهذه الفرقة هي "الإسماعيلية الخالصة". بينما قالت فرقة منهم أن الإمام بعد جعفر، محمد بن إسماعيل، وقالوا أن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له ولا يجوز لغيره، لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، ولا تكون إلا في الأعقاب، ولم يكن لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع علي بن الحسين، وأصحاب هذا القول يسمون "المباركية" برئيس لهم يسمى "المبارك" مولى إسماعيل بن جعفر. النوبختي، فرق الشيعة، ص 67- 68

[392] - قال الناووسية: أن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس وأنه هو المهدي، وسميت "الناووسية" بهذا الاسم لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس. النوبختي، فرق الشيعة، ص 67

[393] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87

[394] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

أن يسلم الأمر لأخيه عبد الله ولا ينازعه بكلمة.[395] وهكذا احتل عبد الله الأفطح مقام الإمامة بالوصية والكبر والجلوس مجلس أبيه، بالرغم من عدم وجود نص واضح وصريح عليه من أبيه بالإمامة.[396]

وان الشيعة لم يذهبوا الى القول بامامة موسى الكاظم الا بعد وفاة أخيه الأكبر عبد الله دون عقب، ولو كان لديه أولاد لتسلسلت الامامة في ذريته. [397]

وتقول رواية ينقلها الصفار والكليني والصدوق والكشي والمفيد، عن أهم أقطاب نظرية الامامة الدينية، وهو هشام بن سالم الجواليقي، الذي يؤكد إجماع الشيعة على امامة الأفطح، ثم يدعي أنه امتحنه في مسألة فقهية، ولم يعجبه جوابه، فتراجع عن القول بإمامته محتارا، ولم يتعرف على موسى الكاظم الا بصورة اعجازية غيبية. ويقول في روايته:" كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله (ع) أنا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق، والناس مجمعون على عبد الله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه والناس عنده - فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم، فقلنا له: ففي مائة؟ قال :درهمان ونصف؟ قلنا: والله ما تقول المرجئة هذا، فقال: والله ما أدري ما تقول المرجئة. قال فخرجنا ضلالا لا ندري إلى أين نتوجه، أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين لا ندري أين نتوجه؟ إلى من نقصد؟ نقول: إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الزيدية؟ إلى الخوارج ؟ فنحن كذلك إذ رأيت رجلا شيخا لا أعرفه يومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عينا من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر الناس، فيؤخذ فيضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم. فقلت للأحول: تنح، فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريدني ليس يريدك، فتنح عني لا تهلك فتعين على نفسك، فتنحى عني بعيدا. وتبعت الشيخ، وذلك أني ظننت أني لا أقدر على التخلص منه، فما زلت أتبعه - وقد عرضت على الموت - حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى (ع) ثم خلاني ومضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله. فدخلت فإذا أبو الحسن موسى (ع) فقال لي ابتداء منه: "إليّ إليّ، لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، ولا إلى الزيدية ". قلت: جعلت فداك، مضى أبوك؟ قال: "نعم ". قلت: مضى موتا؟ قال: " نعم " قلت: فمن لنا من بعده؟ قال: " إن شاء الله أن يهديك هداك " قلت: جعلت

---

[395] - الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 88

[396] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87 وهو ما يشكل دليلا على عدم معرفة الشيعة في ذلك الوقت بنظرية الامامة الإلهية.

[397] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

فداك، إن عبد الله أخاك يزعم أنه الإمام بعد أبيه، فقال: "عبد الله يريد ألا يعبد الله " قال: قلت: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: " إن شاء الله أن يهديك هداك " قال: قلت: جعلت فداك، فأنت هو؟ قال: " لا أقول ذلك." قال: فقلت: في نفسي: لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: " لا " قال: فدخلني شئ لا يعلمه إلا الله إعظاما له وهيبة، ثم قلت: جعلت فداك، أسألك كما كنت أسأل أباك؟ قال: " سل تخبر ولا تذع، فإن أذعت فهو الذبح" قال: فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك، شيعة أبيك ضلال، فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت علي الكتمان، قال: " من آنست منهم رشدا فألق إليه وخذ عليه بالكتمان، فإن أذاع فهو الذبح. قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى، وحدثته بالقصة، ثم لقينا الفضيل وأبا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه".[398]

وكما يلاحظ فان هذه الرواية التي ينقلها اقطاب الشيعة الامامية الاثني عشرية، تنفي وجود نص من الصادق على الكاظم، وعدم معرفة الشيعة بما كان يقول أبو بصير، ولذلك أجمعوا على امامة عبد الله الأفطح بعد الصادق، وان هشام بن سالم الجواليقي لم يعرف امامة الكاظم الا بالمعجزة التي تمثلت بعلم الكاظم بالغيب، ومعرفته بما كان يقول محتارا:" فخرجنا ضلالا لا ندري إلى أين نتوجه، أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين، لا ندري أين نتوجه؟ إلى من نقصد؟ نقول: إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الزيدية؟ إلى الخوارج؟". وقد سأل الجواليقي الكاظم عدة مرات: من لنا بعد أبيك؟ فلم يجبه بصراحة، ولم يعرف بإمامته الا بعد أن قال له: "ليس عليّ إمام".!

واذا عدنا الى المؤرخ الشيعي النوبختي فان الشيعة لم يتراجعوا عن القول بامامة الأفطح لقلة علمه أو ورعه، وانما بسبب وفاته دون عقب.[399] ومع ذلك فقد تمسك بامامته (الشيعة الفطحية) الذين جمعوا بينه وبين أخيه موسى، ولم يتخلوا عنه.

وكان من ابرز اقطاب النظرية الفطحية التي تقبل الجمع بين الأخوين في الامامة، بعد موت الأول دون عقب، أصحاب الاجماع الموثوقين عند عامة الشيعة، وهم: عبد الله بن بكير، وعمار بن موسى الساباطي، واسحاق بن عمار

---

[398] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، 2 ص 221 و ص 291، والفصول، ص 253 ، وعلي بن بابويه الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 205 والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم. والنوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

[399] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

الساباطي، وعلي بن اسباط، ويونس بن يعقوب، وعلي بن حديد بن حكيم، والحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن الحسن بن علي بن فضال.

وقد نال هؤلاء (الفطحية) - حسب المصادر الرجالية الشيعية - ثقة الأئمة وعلماء الامامية، فعلى سبيل المثال: سئل الامام العسكري عن صحة الاحاديث المنقولة عن بني فضال وهم من الفطحية، فقال: "خذوا ما رووا وذروا ما رأوا".[400]

ومن المعلوم أن علماء بني فضال الذين كانوا زعماء الشيعة في الكوفة، في أواسط القرن الثالث الهجري، وهو ما يشير الى استمرار التيار الفطحي المرن الذي لم يتوقف عند شعار (لا تكون الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين) ذلك الشعار الذي كان يتمسك به المتشددون من الشيعة، الذين قاموا بشطب اسم (الامام عبد الله الأفطح) من قائمة الامامة، بسبب عدم وجود خلف له، وانتقلوا من الصادق الى موسى الكاظم، مباشرة.

وان وجود التيار الفطحي بين الشيعة يدل على غموض خلفاء الأئمة وعدم معرفة الشيعة بهم، من قبل، ومن هنا فان التيار الفطحي المتأخر، المتمثل في علماء بني فضال، لم يعرف اسم خليفة الحسن العسكري، ولم يؤمن بوجود ابنه المفترض (محمد المهدي) وآمن بدلا من ذلك بامامة جعفر بن علي الهادي بعد وفاة أخيه العسكري دون عقب. [401]

وقد ذكر الشيخ الطوسي في (كتاب العدة): أنه إذا كان الراوي منتمياً إلى إحدى الفرق الشيعية كالفطحية والناووسية والواقفة، وكانت هناك ثقة بأمانته، ولم تكن هنالك رواية تخالف روايته ولم تكن الإمامية قد عملت بخلاف ذلك؛ فيجب العمل بروايته، ولهذا أخذت الإمامية بحديث عبد الله بن بكير وغيره من الفطحية، وروايات سماعة بن مهران وعلي بن أبي حمزة وعثمان بن عيسى الرواسي وغيرهم من الواقفة، وأيضاً روايات بني فضال. [402]

---

[400] - الطوسي في الغيبة، ص 390

[401] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 110، والمفيد، الفصول المختارة، ص 259

[402] - الطوسي، العدة، ج1 ص 150

وتكرر القول بالبداء مرة أخرى، بعدما عين الامام علي الهادي ابنه محمد كخليفة له، ولكنه توفي في حياته، فقال: " لقد بدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل" حسب رواية علي بن عبد الله بن مروان الأنباري الذي يقول: كنت حاضرا عند مضى أبى جعفر (السيد محمد) بن أبي الحسن (ع) فجاء أبو الحسن فوضع له كرسي فجلس عليه وأبو محمد قائم في ناحية فلما فرغ من أبى جعفر التفت أبو الحسن إلى أبى محمد (الحسن العسكري) فقال: "يا بنى أحدث الله شكرا فقد أحدث فيك أمرا". [403]

## ف 5 - وجوب الولاء للأئمة المعينين من قبل الله

بعد أن أصبحت نظرية "الإمامة لأهل البيت" دينية إلهية، كان لا بد أن يصبح الولاء للأئمة واجباً دينياً مقدساً وليس خياراً سياسياً حراً، كما هو الحال في نظام الشورى المدني الذي يختار فيه المسلمون إمامهم طواعية ويعقدون معه اتفاقية معينة للحكم، ويمنحونه ولاءهم على أساسها، فإذا خالف شروطهم سحبوا ولاءهم عنه وأسقطوه.

وكان من الطبيعي أن يتضمن الفكر الإمامي بندا خاصا بوجوب الولاء للأئمة من أهل البيت، ورفع الأمر إلى مرتبة الأحكام الشرعية والأركان المهمة في الإسلام. وتأكيدا لذلك روى الإمامية أحاديث عديدة عن الإمام الباقر تدعو الشيعة لتقديم الولاء له، والتصديق بإمامته الخاصة من الله، كما ورد في "الكافي" عنه أنه قال:

- " قال رسول الله (ص): من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء، ويموت ميتة تشبه ميتة الشهداء، ويسكن الجنان التي غرسها الرحمن؛ فليتولَّ عليا وليوالِ وليَه وليقتد بالأئمة من بعده، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي.. وويل للمخالفين لهم من أمتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي". [404]
- وما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر قال:" قال رسول الله (ص): من سره أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي... فليتولَّ علي بن أبي طالب (ع) وأوصياءه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا

---

[403] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 492

[404] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 3

يخرجونكم من باب هدى ... وإني سألت ربي ألا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا علي الحوض ".[405]

- وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر يقول:" قال رسول الله (ص): إن الله تبارك وتعالى يقول: استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك: من ترك ولاية علي ووالى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده، فإن فضلك فضلهم، وطاعتك طاعتهم، وحقك حقهم، ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك، جرى فيهم روحك ...حق عليَّ لقد اصطفيتهم وانتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجى من أحبهم ووالاهم وسلم لفضلهم، ولقد آتاني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم وأحبائهم والمسلمين لفضلهم".[406]
- وعن جابر، عن أبي جعفر، قال: لما نزلت هذه الآية: "يوم ندعو كل أناس بإمامهم" قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله (ص): أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيُكذبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم، واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ". [407]
- وروى الإمامية عن الباقر أن رسول الله (ص) وَعَدَ من يتولى الأئمة بالشفاعة، وقال: "إن الروح والراحة والفلج والعون والنجاح والبركة والكرامة والمغفرة والمعافاة واليسر والبشرى والرضوان والقرب والنصر والتمكن والرجاء والمحبة من الله عز وجل لمن تولى عليا وائتم به، وبرئ من عدوه، وسلم لفضله وللأوصياء من بعده، حقا علي أن أدخلهم في شفاعتي، وحق على ربي تبارك وتعالى أن يستجيب لي فيهم، فإنهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني".[408]
- وأن الباقر قال لأبي خالد الكابلي:" والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلما لنا فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر". [409]
- ويقولون: إن الباقر نظر ذات يوم إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال:" هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيُعلِمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية: "واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم".[410]

---

405 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 6 وفي رواية ثالثة يرويها أبو عبد الله عن رسول الله، يقول فيها"...إلى الله أشكو أمر أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلن ابني لا أنالهم الله شفاعتي". المصدر ، ح رقم 5

406 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 4

407 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان، ح رقم 1

408 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 7

409 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 1

410 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام، ح رقم 1 و 2

- وإنه قال لسدير: "إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيُعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" - ثم أومأ بيده إلى صدره - إلى ولايتنا. وفسر قوله تعالى: " قل إنما أعظكم بواحدة" بقوله: إنما أعظكم بولاية علي، هي الواحدة التي قال الله تبارك وتعالى " إنما أعظكم بواحدة".[411]
- ورووا عن الباقر: أن الله أوحى إلى نبيه (ص): " فاستمسك بالذي أوحي إليك، إنك على صراط مستقيم" أي: إنك على ولاية علي وعلي هو الصراط المستقيم.[412]
- وأن الباقر قال: إن جبرئيل عليه السلام **نزل بهذه الآية على محمد (ص) هكذا**: "بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي) بغيا".[413]
- وأنه قرأ هذه الآية "أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم". البقرة 87 مع شرح خاص هكذا: " أ فكلما جاءكم (محمد) بما لا تهوى أنفسكم (بموالاة علي) فاستكبرتم، ففريقا (من آل محمد) كذبتم وفريقا تقتلون".[414]
- وان الباقر قال: نزل جبرئيل (ع) بهذه الآية على محمد (ص) هكذا "فبدل الذين ظلموا (آل محمد حقهم) قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا (آل محمد حقهم) رجزا من السماء بما كانوا يفسقون".[415]
- وأنه قال: نزل جبرئيل (ع) بهذه الآية هكذا: " إن الذين كفروا وظلموا (آل محمد حقهم) لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا" ثم قال: " يا أيها الناس قد جاء كم الرسول بالحق من ربكم (في ولاية علي) فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا (بولاية علي) فإن لله ما في السماوات وما في الأرض ". النساء: 168- 170[416]
- وأنه قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: " فأبى أكثر الناس (بولاية علي) إلا كفورا". وأنه قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: " وقل الحق من ربكم (في ولاية علي) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين (آل محمد) نارا".[417]

- وحسبما يقول الإمامية، فإن أبا جعفر اختصر أمر الولاية بكلمة فقال:" إن الله عز وجل نصب عليا علما بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن نصب معه شيئا كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة". [418] وأنه قال:

---

411 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 41
412 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 24
413 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25
414 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 31
415 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 58
416 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 59
417 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 65
418 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 7

"إن عليا (ع) باب فتحه الله، فمن دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك وتعالى: لي فيهم المشيئة". [419]

- وأن الباقر عزا مسألة الولاية والقبول بها إلى عوامل جينية تعود للطينة التي خلق منها الإنسان في عالم الذر (وهو كما يقال: عالم مثالي قبل عالم الأرض) فقال:" إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر، بالإقرار له بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة وعرض الله عز وجل على محمد (ص) أمته في الطين وهم أظلة وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله (ص) وعرفهم عليا ونحن نعرفهم في لحن القول". [420]

- واعتبر الباقر الولاية لأهل البيت مرادفة لأركان الإسلام، وقال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية".[421] وفي رواية أخرى:" فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية". [422] وإن "الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن". وإن " ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا". أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته". [423]

- وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) في قول الله: "يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية والإنجيل وما انزل إليكم من ربكم". قال: "هي الولاية". وقال في قول الله تعالى "يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته" قال: "هي الولاية". [424]

- وفسر الباقر قول الله تبارك وتعالى: " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" بأن قال: هي الولاية لأمير المؤمنين.[425]

---

[419] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 8

[420] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 9

[421] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 1

[422] - واعتبر الصادق في حديث له الولاية ثالثة الأثافي، فقال: أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 3 و 4

[423] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 5

[424] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 535

[425] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 1

- كما شرح قول الله عز وجل: " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم" فقال: الولاية.[426]

- وروى أبو الصباح الكناني قال قال لي أبو عبد الله (ع): يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال و نحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه .[427]

**وجوب التسليم للأئمة**

ويخصص الصفار في كتابه (بصائر الدرجات: بابا في التسليم لآل محمد (ص) فيما جاء عنهم) ويروي بسنده:

- عن كامل التمار قال قال أبو جعفر (ع): يا كامل تدري ما قول الله "قد أفلح المؤمنون"؟ قلت: جعلت فداك، افلحوا وفازوا وادخلوا الجنة. قال: قد أفلح المسلّمون ان المسلّمين هم النجباء .[428]
- عن كامل التمار عن أبي جعفر (ع) قال: قد أفلح المسلّمون، ان المسلّمين هم النجباء، يا كامل الناس كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين والمؤمن غريب .[429]
- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) في قول الله تعالى "ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا" قال: الاقتراف: التسليم لنا والصدق علينا ولا يكذب علينا .[430]
- عن ضريس: قال أبو جعفر (ع): أرأيت ان لم يكن الصوت الذي قلنا لكم أن يكون ما أنت صانع قال قلت انتهى فيه والله إلى امرك قال فقال هو والله التسليم والا فالذبح وأهوى بيده إلى حلقه .[431]

**من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية**

---

426 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 6

427 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 224

428 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 540

429 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 542

430 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 541

431 - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 542

وروى احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت 274) بسنده عَنْ مُيَسِّرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) وَفِي الْفُسْطَاطِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا فَجَلَسَ بَعْدَ سُكُوتٍ مِنَّا طَوِيلٍ فَقَالَ:

- **مَا لَكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي نَبِيُّ اللَّهِ؟! لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا كَذَلِكَ**، وَلَكِنْ لِي قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَوِلَادَةٌ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّهَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ حَرَمَهَا حَرَمَهُ اللَّهُ. أَ تَدْرُونَ أَيُّ الْبِقَاعِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً؟

فَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنَّا أَحَدٌ وَكَانَ هُوَ الرَّادُّ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ:

- ذَاكَ مَكَّةُ الْحَرَامُ الَّتِي رَضِيَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ حَرَماً وَجَعَلَ بَيْتَهُ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ:
- أَ تَدْرُونَ أَيُّ بُقْعَةٍ فِي مَكَّةَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً؟ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنَّا أَحَدٌ فَكَانَ هُوَ الرَّادُّ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ:
- ذَاكَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ثُمَّ قَالَ:
- أَ تَدْرُونَ أَيُّ الْبُقْعَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنَّا أَحَدٌ فَكَانَ هُوَ الرَّادُّ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ:
- ذَاكَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَذَلِكَ بَابُ الْكَعْبَةِ وَ ذَلِكَ حَطِيمُ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي كَانَ يُزَوِّدُ فِيهِ غُنَيْمَاتِهِ وَيُصَلِّي فِيهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عَبْداً صَفَّ قَدَمَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ قَائِمَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً حَتَّى يَجِيئَهُ النَّهَارُ وَصَائِمَ النَّهَارِ حَتَّى يَجِيئَهُ اللَّيْلُ ثُمَّ لَمْ يَعْرِفْ لَنَا حَقَّنَا وَحُرْمَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً". [432]
- وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (ع) يَقُولُ: إِنَّ مَنْ دَانَ اللَّهَ بِعِبَادَةٍ يُجْهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ بِلَا إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ سَعْيَهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَ هُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ شَاةٍ لَا رَاعِيَ لَهَا ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَقَطِيعِهَا فَتَاهَتْ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً يَوْمَهَا فَلَمَّا أَنْ جَنَّهَا اللَّيْلُ بَصُرَتْ بِقَطِيعِ غَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَجَاءَتْ إِلَيْهَا فَبَاتَتْ مَعَهَا فِي رِبْضَتِهَا مُتَحَيِّرَةً تَطْلُبُ رَاعِيَهَا وَ قَطِيعَهَا فَبَصُرَتْ بِسَرْحِ قَطِيعِ غَنَمٍ آخَرَ فَعَمَدَتْ نَحْوَهُ وَ حَنَّتْ إِلَيْهَا فَصَاحَ بِهَا الرَّاعِي الْحَقِي بِقَطِيعِكِ فَإِنَّكِ تَائِهَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ قَدْ ضَلَلْتِ عَنْ رَاعِيكِ وَقَطِيعِكِ فَهَجَمَتْ ذَعِرَةً مُتَحَيِّرَةً لَا رَاعِيَ لَهَا يُرْشِدُهَا إِلَى مَرْعَاهَا أَوْ يَرُدُّهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا اغْتَنَمَ الذِّئْبُ ضَيْعَتَهَا فَأَكَلَهَا وَ هَكَذَا يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ مَنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَادِلٌ أَصْبَحَ تَائِهاً مُتَحَيِّراً إِنْ مَاتَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ مَاتَ مِيتَةَ كُفْرٍ وَنِفَاقٍ وَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أَئِمَّةَ الْحَقِّ وَأَتْبَاعَهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ إِلَى آخِرِهِ". [433]

---

[432] - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص91- 92

[433] - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 92

- وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (ع) يَقُولُ: "إِنَّ أَئِمَّةَ الْجَوْرِ وَأَتْبَاعَهُمْ لَمَعْزُولُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَالْحَقِّ قَدْ ضَلُّوا بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا -كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ". [434]
- وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (ع) يَقُولُ: أَرْبَعٌ مِنْ قَوَاصِمِ الظَّهْرِ مِنْهَا إِمَامٌ يَعْصِي اللَّهَ وَيُطَاعُ أَمْرُهُ". [435]
- وعَنْ حَبِيبٍ السِّجِسْتَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً جَائِراً لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً وَ لَأَعْفُوَنَّ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً هَادِياً مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً". [436]
- و عَنْ عِيسَى بْنِ السَّرِيِّ أَبِي الْيَسَعِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): "أَحْوَجُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِذَا بَلَغَ نَفْسُهُ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ يَقُولُ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى أَمْرٍ حَسَنٍ". [437]
- و عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: مِنَّا الْإِمَامُ الْمَفْرُوضُ طَاعَتُهُ مَنْ جَحَدَهُ مَاتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً وَ اللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ آدَمَ إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِهِ إِلَى اللَّهِ حُجَّةً عَلَى الْعِبَادِ مَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ وَ مَنْ لَزِمَهُ نَجَا حَقّاً عَلَى اللَّهِ". [438]
- و عن جابر قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله " قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الامام الذي جعله الله للناس إماما، فلذلك قال " ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم

---

434 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 93
435 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص94
436 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص94
437 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 92
438 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 92

حسرات عليهم وما هو بخارجين من النار ) "ثم قال أبو جعفر (ع) :هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم.[439]

- وعن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في السلام نصيبا.[440]

**ف 6 – الأرض كلها للامام و الخمس ايضا**

بالرغم من عدم وجود أي مستند قرآني أو حديث نبوي على إمامة محمد الباقر أو ابنه جعفر الصادق، وبقية السلالة الحسينية، وانما مجرد الادعاء مشفوعا بتأويل آيات من القرآن الكريم، أو رواية أحاديث سرية خاصة غير معروفة لعامة المسلمين، منسوبة للنبي الأكرم، أو الامام علي، بلا سند، وانما عبر كتب سرية ككتاب علي أو مصحف فاطمة أو الجفر وما شابه، فان (الأئمة) – حسبما يظهر من الأحاديث الواردة عنهم - اعتبروا أنفسهم أئمة منصبين من قبل الله، في مقابل الحكام الأمويين والعباسيين الذين استولوا على السلطة بالقوة واعتبروا أنفسهم خلفاء شرعيين يتحكمون بأموال المسلمين العامة ومصائرهم السياسية. وذلك بعيدا عن مبدأ الشورى وحق الأمة في اختيار الامام. وكان (الأئمة من أهل البيت) يبنون بذلك شرعيتهم الدينية السياسية في عقول وقلوب أتباعهم من الشيعة، ويمارسون سلطتهم البديلة عمليا، ولكن بصورة سرية، في الوقت الذي كانوا يعلنون فيه الولاء لحكام زمانهم ويبايعونهم طوعا وكرها.

وقد استعرضنا في الفصول الماضية من هذا الباب الثالث، نشوء نظرية الامامة الإلهية الدينية، وما رافقها من شكوك ونفي من قبل الامام الصادق، وقيامه بالقسم أمام المنصور العباسي في نفي ادعائه بالامامة حتى العادية، ولا ندري هل كان ذلك حقيقة أم تقية، ونود الآن تسليط الضوء على نظرتهم للمال العام وموقفهم من الأنفال.

---

439 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

440 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

يروي الصفار في (بصائر الدرجات) والكليني في (الكافي) تحت عنوان (ان الارض كلّها للامام، وباب: أن لهم الأنفال) مجموعة أحاديث حول الموضوع، منها:

- علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الريان قال: كتبت إلى العسكري (ع) جعلت فداك روي لنا أن ليس لرسول الله (ص) من الدنيا إلا الخمس، فجاء الجواب : ان الدنيا وما عليها لرسول الله (ص).[441]
- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر (ع) قال: وجدنا في كتاب علي (ع): "أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين " أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ونحن المتقون والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضا من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها فإن تركها أو أخربها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها، يؤدي خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها، كما حواها رسول الله (ص) ومنعها إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم و يترك الأرض في أيديهم. [442]
- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد قال: أخبرني أحمد بن محمد بن عبد الله عمن رواه قال: الدنيا وما فيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنا، فمن غلب على شئ منها فليتق الله، وليؤد حق الله تبارك وتعالى وليبر إخوانه، فإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله ونحن برآء منه. [443]
- عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد رفعه عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): خلق الله آدم وأقطعه الدنيا

---

[441] – الكليني، الكافي، ج1 ص 409 و410

[442] – الكليني، الكافي، ج1 ص 407

[443] – الكليني، الكافي، ج1 ص 407

قطيعة فما كان لآدم (ع) فلرسول الله (ص) وما كان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمّد (ع).[444]

- محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الله بن أحمد، عن علي ابن النعمان، عن صالح بن حمزة، عن أبان بن مصعب، عن يونس بن ظبيان أو المعلى ابن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله (ع): مالكم من هذه الأرض؟ فتبسم ثم قال: إن الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل (ع) وأمره أن يخرق بإبهامه ثمانية أنهار في الأرض، منها سيحان وجيحان وهو نهر بلخ والخشوع وهو نهر الشاش ومهران وهو نهر الهند ونيل مصر ودجلة والفرات، فما سقت أو استقت فهو لنا وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدونا منه شئ إلا ما غصب عليه وإن ولينا لفي أوسع فيما بين ذه إلى ذه - يعني بين السماء والأرض - ثم تلا هذه الآية: " قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا (المغصوبين عليها) خالصة (لهم) يوم القيامة" بلا غصب.[445]
- محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعا عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله (ع) قال: إن جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه :الفرات ودجلة ونيل مصر و مهران ونهر بلخ فما سقت أو سقي منها فللامام والبحر المطيف بالدنيا للامام.[446]
- - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد قال: أخبرني أحمد بن محمد بن عبد الله عمن رواه قال: الدنيا وما فيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنا، فمن غلب على شئ منها فليتق الله، وليؤد حق الله تبارك وتعالى وليبر إخوانه، فإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله ونحن برآء منه.[447]
- محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن أبى خالد الكابلي عن أبى جعفر (ع) قال :وجدنا في كتاب علىّ (ع) "أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين": أنا

---

[444] – الكليني، الكافى: 1/ 409 و410

[445] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[446] – الكليني، أصول الكافي 410/1 و 409

[447] – الكليني، أصول الكافي 410/1

و أهل بيتي الّذين أورثنا الله الأرض ونحن المتّقون والأرض كلّها لنا، فمن أحيا أرضا من المسلمين فليعمرها وليؤدّ خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها فإن تركها أو أخربها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها و أحياها فهو أحقّ بها من الّذي تركها يؤدّى خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتّى يظهر القائم من أهل بيتي بالسّيف فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها كما حواها رسول الله (ص) ومنعها، إلّا ما كان في أيدى شيعتنا فانّه يقاطعهم على ما في أيديهم و يترك الأرض في أيديهم. [448]

- حدثنا أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير عن أبي الصباح الكناني قال قال لي أبو عبد الله (ع): يا أبا الصباح!.. نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال..." .[449]
- الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشّاء عن أبان عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر (ع) فى قول الله تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى" قال :هم قرابة رسول الله (ص) والخمس لله وللرّسول ولنا.[450]
- عنه علىّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن جميل بن درّاج، عن محمّد بن مسلم، عن أبى جعفر (ع) أنّه سئل عن معادن الذهب و الفضّة والحديد والرصاص والصفر، فقال :عليها الخمس.[451]
- حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن بعض أصحابنا عن سيف بن عميره عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: من أحللنا له شيئا أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم فما أحلوا فهو حلال وما حرموا فهو حرام .[452]

---

[448] – الكليني، الكافى: 1/ 407- 408

[449] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 224

[450] – الكليني، الكافى: 1/ 539

[451] – الكليني، الكافى: 1/ 544

[452] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 404

- ويقول: عمر بن يزيد: رأيت مسمعا بالمدينة، وقد كان حمل إلى أبي عبد الله (ع) تلك السنة مالا، فرده أبو عبد الله، فقلت له: لمَ رد عليك أبو عبد الله المال الذي حملته إليه؟ قال: فقال لي: إني قلت له حين حملت إليه المال: إني كنت وليت البحرين الغوص فأصبت أربعمائة ألف درهم وقد جئتك بخمسها بثمانين ألف درهم وكرهت أن أحبسها عنك وأن أعرض لها وهي حقك الذي جعله الله تبارك وتعالى في أموالنا، فقال: أوَ ما لنا من الأرض وما أخرج الله منها إلا الخمس يا أبا سيار؟ إن الأرض كلها لنا فما أخرج الله منها من شئ فهو لنا، فقلت له: وأنا أحمل إليك المال: كله؟ فقال: يا أبا سيار قد طيبناه لك وأحللناك منه فضم إليك مالك، وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا فيجبيهم طسق ما كان في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم، وأما ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم حتى يقوم قائمنا، فيأخذ الأرض من أيديهم ويخرجهم صغرة. قال عمر بن يزيد :فقال لي أبو سيار: ما أرى أحدا من أصحاب الضياع ولا ممن يلي الأعمال يأكل حلالا غيري إلا من طيبوا له ذلك. [453]
- علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الريان قال: كتبت إلى العسكري (ع): جعلت فداك روي لنا أن ليس لرسول الله (ص) من الدنيا إلا الخمس، فجاء الجواب: أن الدنيا وما عليها لرسول الله (ص). [454]
- حدثنا أبو محمد عن عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عن علي بن أسباط عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال: قرأت عليه آية الخمس، فقال ما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسوله فهو لنا، ثم قال: لقد يسر الله على المؤمنين أنه رزقهم خمسة دراهم وجعلوا لربهم واحدا وأكلوا أربعة حلالا، ثم قال: هذا من حديثنا صعب مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه الا ممتحن قلبه للايمان .[455]

---

[453] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[454] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[455] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 49

- محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن ابن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: أما على الامام زكاة؟ فقال: أحلت يا أبا محمد، أما علمت أن الدنيا والآخرة للامام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله، إن الامام يا أبا محمد لا يبيت ليلة أبدا ولله في عنقه حق يسأله عنه.[456]

- ويحدثنا الكليني، بسنده عن علي بن إبراهيم، عن السري بن الربيع قال: لم يكن ابن أبي عمير يعدل بهشام بن الحكم شيئا وكان لا يغب إتيانه، ثم انقطع عنه وخالفه وكان سبب ذلك أن أبا مالك الحضرمي كان أحد رجال هشام ووقع بينه وبين أبن أبي عمير ملاحاة في شئ من الإمامة، قال ابن أبي عمير :الدنيا كلها للإمام (ع) على جهة الملك وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم، وقال أبو مالك: ليس كذلك ، أملاك الناس لهم إلا ما حكم الله به للامام من الفيئ والخمس والمغنم فذلك له، وذلك أيضا قد بين الله للامام أين يضعه وكيف يصنع به، فتراضيا بهشام بن الحكم وصارا إليه، فحكم هشام لأبي مالك على ابن أبي عمير فغضب ابن أبي عمير وهجر هشاما بعد ذلك. [457]

واذا صحت هذه الاحاديث، فانها تكشف عن إيمان الباقر والصادق بنظرية الامامة الإلهية، وعدم الاكتفاء ببث الفكرة بين الشيعة، وانما وضعها تحت التنفيذ بحسب ما يمكن، ولا سيما في المجال المالي، وقبض الخمس من الشيعة، وإصدار الفتاوى بالتحريم والتحليل في التصرف في المال العام، كما لو كانوا هم الحكام الفعليين، أو باعتبارهم (الحكام الشرعيين) في مقابل الحكام الظالمين "المغتصبين" لمقامهم الممنوح لهم من الله.

وبالرغم من أن بعض رواة تلك الأحاديث، ضعاف وغلاة ، الا انه يمكن وضعها في سياق الأحاديث الواردة في الامامة، وتشكيل نتيجة منطقية لها.

وإذا أردنا مناقشة تلك الأحاديث من حيث المتن والسند، فيمكن أن نتوقف عند رواية أبي جعفر عن رسول الله بلا سند ( بأن الله خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة فما كان لآدم (ع) فلرسول الله (ص) وما كان لرسول الله فهو للأئمة من

---

[456] – الكليني، أصول الكافي 410/1 و408

[457] – الكليني، أصول الكافي 410/1 و 413

آل محمّد) [458] وهو حديث غير معروف ولم يروه أحد غيره، مما يحتمل أن يكون موضوعا، ويدخل في باب الادعاء والخيال.

وكذلك حديث المعلى ابن خنيس عن أبي عبد الله بأن أنهار الأرض الخمسة لهم، وما كان لهم فهو لشيعتهم. [459] وهذه دعوى لا تستند الى قرآن أو حديث نبوي، وانما هي مجرد دعوى بلا دليل.

وقد أضاف عليها حفص بن البختري، في روايته عن أبي عبد الله "البحر المطيف بالدنيا". [460]

ونلاحظ في رواية أبى خالد الكابلي عن أبى جعفر، أنها تستند الى حديث موجود في كتاب سري لم يطلع عليه أحد، وهو (كتاب علىّ) إضافة الى اعتمادها على تأويل تعسفي لآية "انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" بالقول: (أنا وأهل بيتي الّذين أورثنا الله الأرض ونحن المتّقون والأرض كلّها لنا). [461] وهذا في الوقت الذي كان أبناء علي الحسنيين والحسينيين وغيرهم يختلفون فيما بينهم حول من يستحق الامامة، ومن لا يستحقها، ولم يكن أحد منهم يمتلك دليلا على حصر الحق في الامامة فيه.

وأما رواية أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله فانها تختصر الكلام بالادعاء: (نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال). [462] ولا تقول: أين فرض الله طاعتهم؟ ومن هم القوم؟ ولماذا لهم الأنفال وصفو المال؟

ورغم أن آية الخمس: "وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى" نزلت في غنائم الحرب، وأنها لا تخص قرابة الرسول، فقد شملها

---

[458] – الكليني، الكافى: 1/ 409 و410

[459] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[460] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[461] – الكليني، الكافى: 1/ 407- 408

[462] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 224

أبو جعفر لجميع المعادن،[463] وخصص القربى بقرابة الرسول، ثم خصص القرابة بالأئمة، وادعى بأن الخمس لهم.[464] بغض النظر عما اذا كان (الأئمة) أو (القرابة) يحكمون أو لا يحكمون. ولم يقل لماذا لم يطبق الامام علي أو الحسن أو الحسين هذه الآية في حياتهم، ولماذا لم يطالبوا بالخمس يوما من الأيام.

وانطلاقا من الاعتقاد بتفويض الله للائمة إدارة الحياة السياسية والاقتصادية، يحلل أبو جعفر للشيعة التصرف بالأموال التي يحصلون عليها من المشاركة في أعمال (الظالمين): (فما أحلوا فهو حلال وما حرموا فهو حرام) .[465]

وبناء على ذلك التفويض المتخيل حلل أبو عبد الله، لرجل شيعي اسمه (مسمع) كان واليا للعباسيين على الغوص في البحرين، مبلغا كبيرا من المال، قدمه له كخمس، وأعاده اليه، وطيبه له.[466]

ولم يكن التحليل سياسة عامة، وانما كان الامام يأخذ (الخمس) في أحيان كثيرة، وربما تتكدس لديه الأموال، وهذا ما دفع أبا بصير لسؤال أبي عبد الله: هل على الامام زكاة؟ فجاءه الجواب مستنكرا: أما علمت أن الدنيا والآخرة للامام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله.[467]

وأخيرا يبدو من خلال رواية السري بن الربيع أن أقطاب الشيعة الامامية، كانوا يختلفون فيما بينهم حول حدود ملكية الأئمة للمال العام، فبينما كان ابن أبي عمير يعتقد بأن (الدنيا كلها للامام) كان آخرون مثل أبي مالك الحضرمي، أحد رجال هشام بن الحكم، يعتقد بأن (أملاك الناس لهم إلا ما حكم الله به للامام من الفيئ والخمس والمغنم فقط).[468]

---

[463] – الكليني، الكافى: 1/ 544

[464] – الكليني، الكافى: 1/ 539

[465] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 404

[466] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[467] – الكليني، أصول الكافي 410/1

[468] – الكليني، أصول الكافي 410/1

وإذا كان هؤلاء الأصحاب المقربون من الأئمة يختلفون فيما بينهم، فلنا أن نحتمل أن بعضهم كان يؤلف ما يشاء من الأفكار والنظريات وينسبها الأئمة من دون علمهم. وهذا ما يدفعنا الى الشك بجميع الروايات التي وصلت الينا شفويا عبر عشرات السنين وسجلت في القرن الرابع الهجري في كتب، بعد ذلك.

## ب4 نظرية الامامة المشابهة للنبوة

### ف1 – الامام محمد الباقر.. نبي أهل الكوفة؟

### دعوى (المحدَّث)

استعرضنا في بابين سابقين الامامة العلمية والسياسية للامام محمد الباقر، وكذلك (الامامة الدينية الالهية) التي قيل ان الامام الباقر ادعاها بناء على روايته للنص من النبي الاكرم (ص) على جده الامام علي، بالامامة والخلافة، وتوارث تلك الامامة في ذريته من أبناء الحسين، الى يوم القيامة. وسوف نستعرض في هذا الباب دعوى أخرى أكبر من كل ذلك، وهي دعوى (المحدَّث) القريبة من النبوة، والتي نسبت أيضا الى الامام الباقر، وقال بعض الشيعة بناء عليها بأن (الأئمة أنبياء). وقد انتشرت هذه الفكرة في بداية القرن الثاني الهجري، في بعض أوساط الشيعة في الكوفة، حتى قال الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، في لقائه مع زيد بن علي، معرضا بأخيه الباقر: "هذا نبي أهل الكوفة المفتون به أهل العراق".[469]

كما أدى انتشار الفكرة الى سؤال بعض الشيعة من الباقر: هل انت نبي؟ وقيامه بنفي ذلك، ولعن من يقول بذلك من الشيعة.

وسوف نبحث في هذا الفصل حقيقة هذه الدعوى الخطيرة (أو الاشاعة): (الامامة المشابهة للنبوة) وارتباطها بالامام الباقر، وموقف أئمة أهل البيت منها. وسنعتمد في ذلك بالطبع على أهم المصادر الشيعية الامامية (كبصائر الدرجات للصفار، والكافي للكليني)، **وندرس سند الروايات** التي تتحدث عن ذلك.

### صعوبة حديث آل محمد

[469] - الكليني، الكافي، ج 8 ص 120، والذهبي سير أعلام النبلاء، ج 4 ص 405

وفي الحقيقة لم يكن من الممكن انتشار تلك الفكرة المتطرفة من دون التمهيد لها بمقدمة تخدر العقول وتسلب القدرة على التفكير السليم، وهي: دعوى "صعوبة حديث آل محمد". فقد عنون الصفار في (بصائر الدرجات) بابا تحت عنوان: ( باب ان أمرهم صعب) والكليني في (الكافي) تحت عنوان: (باب **فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب**) ورووا فيه عدة روايات منها:

- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان عن جابر قال قال أبو جعفر (ع): قال رسول الله (ص): إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد (ص) فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدَّث أحدكم بشئ منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والانكار هو الكفر.
- عن جابر قال قال أبو جعفر (ع) : قال رسول الله (ص): " إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به الّا ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد، فلانت له قلوبكم وعرفتموه، فاقبلوه، و ما اشمأزّت منه قلوبكم وانكرتموه فردوه الى الله والى الرسول والى العالم من آل محمّد، وإنمّا الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا - ثلثا - ".
- عن أبى الجارود، عن أبى جعفر (ع) قال سمعته يقول: "إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب، ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله الّا ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة فاذا قام قائمنا نطق وصدّقه القرآن ".
- وعن أبى بصير وأبى حمزة الثمالىّ قال قال أبو جعفر: " حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به الّا ملك مقرب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما عرفت قلوبكم فخذوه وما انكرت فردّوه إلينا ".
- وعن عمرو بن شمر، عن أبى جعفر قال: "انّ حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان وعر، شريف كريم، فاذا سمعتم منه شيئا ولانت له قلوبكم، فاحتملوه واحمدوا الله عليه، و إن لم يحتملوه و لم تطيقوه فردّوه إلى الامام العالم من آل محمّد (ص) فانّما الشقى الهالك الّذي يقول: والله ما كان هذا، ثمّ قال يا جابر انّ الانكار هو الكفر بالله العظيم".

إضافة الى تغليف تلك الروايات بالسرية المطلقة باسم (التقية) مما يجعلنا في حيرة وشك: هل صدرت تلك الروايات فعلا عن الامام الباقر نفسه؟ أم كانت من تأليف الغلاة الذين كانوا يحيطون به ويدعون الانتماء اليه والرواية عنه؟

واذا كان (علم الرجال) يستطيع الحسم في كثير من الروايات واسقاطها عن الحجية، فان النظر اليها مجتمعة يقود الى تصديق بعضها والتسليم بصدورها عن الباقر، في حين يبقى السؤال: متى ادعى الباقر هذه المرتبة الجديدة الأعلى من الامامة الإلهية، ولماذا؟ وما هو (أمر أهل البيت) الصعب المستصعب الذي لا يدركه ملك مقرب ولا نبي مرسل؟ وهل يتفق مع القرآن الكريم الذي يسره الله للذكر؟ أم يختلف ويتناقض معه؟ ولا يوجد أي أثر له فيه كادعاء النبوة أو ما يشابهها مثل نظرية (المحدَّث)؟

**ما هو الفرق بين (المحدَّث) وبين النبي والرسول؟**

يروي عدد من أصحاب الامام الباقر، مثل جابر وحمران وزرارة وبريد والأحول وأبو حمزة الثمالي، قراءة خاصة لهذه الآية من القرآن الكريم:" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم" (الحج 52) وذلك بإضافة (ولا محدث) الى الآية، وهي قراءة مروية عند محدثي أهل السنة أيضا.[470] ولكن الامام الباقر اعتمد عليها كثيرا، وصنع منها نظرية جديدة ترتفع بالامامة الى درجة أعلى تقارب النبوة.

فقد روى الصفار بسنده عن بريد عن أبي جعفر، أنه قرأ الآية بهذه الصورة: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ ولا محدَّث" فاستغرب بريد وقال: جعلت فداك ليس هذه قراءتنا، فما الرسول والنّبي والمحدّث؟ قال الباقر: "الرسول: الّذي يظهر له الملَك فيكلّمه، والنّبي: يرى في المنام وربّما اجتمعت النّبوة والرسالة لواحد، والمحدَّث: **الذي يسمع الصوت و لا يرى الصورة**. قال قلت: أصلحك الله كيف يعلم أنّ الذي رأى فى المنام هو الحقّ وانّه من الملك؟ قال

---

470 - هي قراءة يرويها البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، وينسبونها الى ابن عباس، ويروون فيها حديثا عن ابي هريرة أنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ ". وزَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ (ص):" لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مِنْ نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ). ابن حجر : الحديث الحادي عشر : حديث أبي هريرة ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، حديث 3486 وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

يوقع علم ذلك حتّى يعرفه".[471] ويضيف الكليني على هذه الرواية:" لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء".[472]

ويؤكد الصفار هذا المعنى في رواية أخرى بسنده عن زرارة بن أعين، يقول فيها: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل: "وَكانَ رَسُولًا نَبِيًّا". [473] قلت ما هو الرسول؟ من النبيّ؟ قال: النبيّ هو الذي يرى فى منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول يعاين الملك ويكلمه، قلت: فالامام ما منزلته؟ قال يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين. ثم تلا "وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍ ولا محدَّث".[474]

وهنا سأله محمد بن مسلم قائلا: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: "إنه يعطي السكينة والوقار، حتى يعلم أنه كلام ملك ".[475]

وفي تعريف آخر للفرق بين الثلاثة، يقول الأحول محمد بن النعمان، المعروف بمؤمن الطاق: سألت أبا جعفر (ع) عن الرسول والنبي والمحدث، فقال: "الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلا فيراه ويكلمه فهذا الرسول ، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل (ع) من عند الله بالرسالة وكان محمد (ص) حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلمه بها قبُلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة **ويرى في منامه** ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظة. وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى، **في منامه**".[476]

---

[471] - الصفار، بصائر الدرجات: 371.

[472] - الكليني، الكافي: 177/1

[473] - الذي يرد في آية 51 من سورة مريم: " واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا". و في آية 54 من نفس السورة: " واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا".

[474] - الصفار، بصائر الدرجات: 368.

[475] - الكليني، الكافي: 1/ 211

[476] - الكليني، الكافي، 1/ 176

ويلاحظ في هذه الرواية التفريق بين النبي والمحدث أن الأول يرى ويسمع في المنام، بينما الثاني يسمع ولا يرى، في المنام، وليس في اليقظة، كما يفهم من الروايتين الآنفتين بصورة مطلقة.

وطبقا لكل هذه التعاريف فان (المحدَّث) يعتبر نوعا من أنواع الأنبياء الخمسة الذين يعرفهم الامام الباقر: " الأنبياء على خمسة أنواع: منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عنى به، ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وابراهيم، ومنهم من يعاين، ومنهم من ينكت في قلبه، و(منهم من) يوقر في أذنه".[477]

وفي رواية أخرى يرويها زرارة، يصرح فيها الامام الباقر بأن (المحدَّث) أعلى من الدرجة الخامسة التي (يوقر في أذنه)، حيث يقول: " أمّا المحدَّث فهو الّذي يسمع كلام الملك فيحدّثه من غير أن يراه ومن غير أن يأتيه في النوم".[478]
وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحجال، عن القاسم بن محمد، عن عبيد بن زرارة قال: أرسل أبو جعفر (ع) إلى زرارة أن يعلم الحكم بن عتيبة أن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدَّثون.[479]

ويعود الباقر للتنازل بعض الشئ، في رواية أخرى عن أبى حمزة الثماليّ، عنه، قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ ولا محدّث الّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته". فقلت: وأيّ شيء المحدّث؟ قال: "ينكت فى أذنه فيسمع طنينا كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست". وهذا ما أثار تعجب الثمالي من هذا الجواب فسأل الباقر: هل المحدث نبىّ؟ فقال: "لا.. مثل الخضر ومثل ذي القرنين".[480]

وتعجب أيضا رجل يسمى عبد الرحمن بن زيد، (وفي رواية الكليني: علي بن رشاد) وكان أخا لعلي بن الحسين لأمّه، فقال: سبحان الله محدَّثا؟! كالمنكر لذلك،

---

[477] - الصفار، بصائر الدرجات: 369.

[478] - الصفار، بصائر الدرجات: 371.

[479] - الكليني، الكافي، ج1 ص 270

[480] - الصفار، بصائر الدرجات: 373

فضرب أبو جعفر فخذه فقال: "أمّا ابن أمّك كان أحدهم ، فلمّا قال ذلك سكت الرّجل، فقال أبو جعفر: هي الّتي هلك فيها أبو الخطّاب لم يدر تأويل المحدَّث والنّبي". [481]

وفي رواية مشابهة ينقلها الكليني، ولكن يرويها عن الحكم بن عتيبة (الذي لم يكن يؤمن بنظرية الامامة) عن علي بن الحسين، يقول:

- عن محمد، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن زياد بن سوقة، عن الحكم بن عتيبة قال: دخلت على علي بن الحسين (ع) يوما فقال: يا حكم هل تدري الآية التي كان علي بن أبي طالب (ع) يعرف قاتله بها ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس؟ قال الحكم: فقلت في نفسي: قد وقعت على علم من علم علي بن الحسين، أعلم بذلك تلك الأمور العظام، قال: فقلت: لا والله لا أعلم، قال: ثم قلت :الآية تخبرني بها يا ابن رسول الله؟ قال: هو والله قول الله عز ذكره: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدَّث) " وكان علي بن أبي طالب (ع) محدثا. [482]

وتعجب كذلك حمران بن أعين، عندما قال له أبو جعفر:" إنّ عليّا (ع) كان محدّثا". ويتابع حمران فيقول: فخرجت الى أصحابي فقلت لهم جئت بعجيبة! قالوا ما هي؟ قلت سمعت أبا جعفر (ع) يقول: كان عليّ محدّثا. قالوا ما صنعت شيئا إلّا سألته من يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت له: إنّي حدّثت أصحابي بما حدثتني قالوا ما صنعت شيئا إلّا سألته من يحدّثه، فقال لي: "يحدّثه ملك". وهذا ما زاد من تعجب حمران فقال له: أنّه نبي؟ قال فحرّك الباقر يده هكذا ثم قال: "كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو ما بلغكم انّه قال: وفيكم مثله؟". [483]

ويقول أبو حمزة الثماليّ: كنت أنا والمغيرة بن سعيد جالسين في المسجد فأتانا الحكم بن عيينة (وفي بعض النسخ: عتيبة) فقال: لقد سمعت من أبى جعفر (ع) حديثا ما سمعه أحد قطّ !.. فسألناه فأبى أن يخبرنا به فدخلنا عليه فقلنا انّ الحكم

---

[481] - الصفار، بصائر الدرجات: 320.الكليني، الكافى: 1/ 531 والنعماني، الغيبة : 66

[482] - الكليني، الكافي، ج1 ص 270 (باب أن الأئمة (ع) محدثون مفهمون). ويلاحظ في هذه الروايات الآنفة أن اسم أخي علي بن الحسين، يرد مرة باسم : عبدالرحمن بن زيد، ومرة ثانية باسم :عبد الله بن زيد، ومرة ثالثة باسم : علي بن رشاد. كما ينقل الحديث مرة عن الباقر، ومرة أخرى عن الحكم عن علي بن الحسين، ومرة يكون الراوي الأول الحكم، وفي مرات أخرى: أخبروا الحكم، أو لا تخبروا الحكم.

[483] - الصفار، بصائر الدرجات: 321.

بن عيينة أخبرنا انّه سمع منك ما لم يسمعه منك أحد قطّ فأبى أن يخبرنا به. فقال (الباقر): نعم وجدنا علم عليّ (ع) في آية من كتاب الله "وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍ ولا محدث" فقلنا: ليست هكذا هي! فقال: في كتاب عليّ "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ ولا محدث الّا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته". فقلت: وأيّ شيء المحدث؟ فقال: ينكت في أذنه فيسمع طنينا كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست. فقلت: انّه نبي؟! ثم قال: لا.. مثل الخضر ومثل ذي القرنين".[484]

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال: كان علي يعمل بكتاب الله وسنة رسوله فإذا ورد عليه شئ والحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنة ألهمه الله الحق فيه الهاما وذلك والله من المعضلات".[485]

وعن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر (ع) قال: كان علي إذا ورد عليه أمر ما نزل به كتاب ولا سنة، قال رجم فأصاب. قال أبو جعفر (ع) وهي المعضلات". [486]

والسؤال الآن: هل كانت دعوى (المحدَّث) خاصة وسرية؟ أم عامة وعلنية؟

في الحقيقة.. توجد روايات متناقضة حول الموضوع، ففي إحداها يقول زرارة إنه التقى الباقر فقال له: "قل لحمران لمَ حدثت الحكم بن عتيبة عني أن الأوصياء محدَّثون؟ لا تحدثه وأشباهه بمثل هذا الحديث".[487] ولكن روايات أخرى ينقلها الصفار والكليني تقول: إن الباقر أرسل الى زرارة قائلا: "أعلم الحكم بن عيينة (أو عتيبة): أن أوصياء محمد (أو إنّ اوصياء عليّ) محدَّثون".[488]

---

[484] - الصفار، بصائر الدرجات: 324. و بصائر الدرجات: 369.

[485] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 254

[486] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 409

[487] - الخوئي ، معجم رجال الحديث، ج7 ص 271

[488] - الصفار، بصائر الدرجات: 320. الكليني، الكافي 270/1

وهذا مما يدل على أن الأمر لم يقتصر على الامام علي، وانما امتد لجميع الأئمة (الأوصياء) كما يروي الكليني عن الباقر أنه قال: "إن علم ما لا اختلاف فيه عند الأوصياء، كما كان رسول الله (ص) يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله (ص) يرى، لأنه كان نبيا وهم محدَّثون، وأنه كان يفد إلى الله (عز وجل) فيسمع الوحي وهم لا يسمعون". واستشهد بهذه الآية: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يُفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين" فقال: "إن هذا الأمر الحكيم الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من السماء إلى الأرض، ولا بد لهم من سيد يتحاكمون إليه... لعمري ما في الأرض ولا في السماء وليٌّ لله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أُيِّد لم يخطِ، وما في الأرض عدوٌ لله عز ذكره إلا وهو مخذول، ومن خُذل لم يصب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لابد من والٍ... أبى الله عز وجل بعد محمد (ص) أن يترك العباد ولا حجة عليهم". وقال:" لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أول نبي يكون، وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد رد على الله (عز وجل) علمه، لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدَّثون إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة، مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل (ع)". [489]

وكما ينقل العباس بن جريش (أو: حريش) [490] عن أبى جعفر الثانى (محمد الجواد) قال قال أبو جعفر الباقر (ع): "إنّ الأوصياء محدّثون يحدّثهم روح القدس ولا يرونه، وكان علىّ (ع) يعرض على روح القدس ما يسأل عنه، فيوجس في نفسه أن قد أصبت بالجواب، فيكون كما قال".[491]

و عن أبي جعفر (ع) قال: لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا ولقد خلق فيها أول نبي يكون، وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد رد على

---

[489] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1 و 7

[490] - الرجل ضعيف جدا، قال ابن الغضائري: هو أبو محمد ضعيف روى عن أبي جعفر الثاني (ع) فضل انا أنزلناه، كتابا مصنفا فاسد الألفاظ . راجع (جامع الرواة) لمحمد علي الأردبيلي، ج1 ص 205

[491] - الصفار، بصائر الدرجات: 453 والكليني، الكافي، ج1 ص 244

الله عز وجل علمه، لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل **والمحدثون** إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة، مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل عليه السلام، قلت: والمحدثون أيضا يأتيهم جبرئيل أو غيره من الملائكة عليهم السلام؟ قال :أما الأنبياء والرسل صلى الله عليهم فلا شك، ولا بد لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فناء الدنيا أن تكون على أهل الأرض حجة ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحب من عباده.

وأيم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم، وأيم الله ما مات آدم إلا وله وصي، وكل من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الامر فيها، ووضع لوصيه من بعده، وأيم الله إن كان النبي ليؤمر فيما يأتيه، من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد (ص) أن أوصى إلى فلان، ولقد قال الله عز وجل في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد (ص) خاصة: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم - إلى قوله - فأولئك هم الفاسقون " يقول :أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتى يبعث النبي الذي يليه " يعبدونني لا يشركون بي شيئا " يقول: يعبدونني بإيمان لا نبي بعد محمد (ص) فمن قال غير ذلك " فأولئك هم الفاسقون " فقد مكن ولاة الامر بعد محمد بالعلم و نحن هم، فاسألونا فإن صدقناكم فأقروا وما أنتم بفاعلين، أما علمنا فظاهر، وأما إبان أجلنا الذي يظهر فيه الدين منا حتى لا يكون بين الناس اختلاف، فإن له أجلا من ممر الليالي والأيام، إذا أتى ظهر، وكان الامر واحدا. وأيم الله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد (ص) علينا، **ولنشهد على شيعتنا، ولتشهد شيعتنا على الناس،** أبى الله عز وجل أن يكون في حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض. ثم قال أبو جعفر (ع): فضل إيمان المؤمن بحمله " إنا أنزلناه " وبتفسيرها على من ليس مثله في الايمان بها، كفضل الانسان على البهائم، وإن الله عز وجل ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدنيا - لكمال عذاب الآخرة لمن علم أنه لا يتوب منهم - ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين ولا أعلم أن في هذا الزمان جهادا إلا الحج والعمرة والجوار".[492]

ورغم دفاع الباقر عن نظرية (المحدث) واستعانته بالحرف الشاذ المضاف للقرآن الكريم (ولا محدث) إلا ان كثيرا من الشيعة أو بعضهم لم يقبل الفكرة، وجاء

---

[492] - الكليني، الكافي، ج1 ص 250

أحدهم إلى الإمام الباقر، وأجرى معه حوارا مهما جدا حول موضوع "المحدَّث" وابتدأ حديثه بالقول:

- يا ابن رسول الله لا تغضب علي؟. قال: لماذا؟ قال: لما أريد أن أسألك عنه، قال: قل، قال: ولا تغضب؟ قال: ولا أغضب. قال:
- أَرأيت قولك في ليلة القدر، وتنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء، يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله (ص) قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله (ص) علمه؟ وقد علمت أن رسول الله (ص) مات وليس من علمه شئ إلا وعلي (ع) له واع. قال أبو جعفر:
- مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي؟ قال:
- أدخلني عليك القضاء لطلب الدين، قال:
- فافهم ما أقول لك: إن رسول الله (ص) لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جملا يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان علي بن أبي طالب (ع) قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر، كما كان مع رسول الله (ص)، قال السائل:
- أو ما كان في الجمل تفسير؟ قال:
- بلى، ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: افعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه، قال:
- فسر لي هذا، قال:
- لم يمت رسول الله (ص) إلا حافظا لجمله وتفسيره، قال:
- فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟ قال:
- الأمر واليسر فيما كان قد علم، قال السائل:
- فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟ قال:
- هذا مما أمروا بكتمانه، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل. قال السائل:
- فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال:
- لا، وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه. قال السائل:
- فهل يسعنا أن نقول: إن أحداً من الوصاة (الأوصياء) يعلم ما لا يعلم الآخر؟ قال:
- لا، لم يمت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد. قال السائل:

- و ما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال:
- بلى قد علموه ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة. قال السائل:
- يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا؟ قال أبو جعفر:
- من أنكره فليس منا. قال السائل:
- يا أبا جعفر أرأيت النبي (ص) هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه؟ قال:
- لا يحل لك أن تسأل عن هذا، أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبى أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم. قال السائل:
- يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال:
- إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه.[493]

**هل كان الصادق "محدَّثاً" ؟**

وكما رويت أحاديث عن الإمام محمد الباقر ونسب إليه القول بنزول الملائكة وتحدثهم معه، نقل بعض اصحابه عن ابنه الإمام جعفر الصادق أنه قال:" مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا".[494] وأنه أجاب الحارث بن المغيرة، عندما سأله قائلا: أخبرني عن علم عالمكم؟ فقال:" وراثة من رسول الله (ص) ومن علي، قال الحارث: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم؟ قال: أو ذاك".[495]

وزعم أبو حمزة أنه سأل الصادق: عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرأونه، فتعلمون منه؟ فقال:" الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان" ... قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا

---

493 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 8
494 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة، ح رقم 1
495 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة، ح رقم 2

الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبدا علمه الفهم".[496]

وروى سماعة عن أبي عبدالله أنه قال:" إن لله تبارك وتعالى علمين: علما أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلما استأثر به فإذا بدا لله في شئ منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا". [497] وروى أبو بصير أيضا عنه أنه قال:"إن لله عز وجل علمين: علما عنده لم يطلع عليه أحدا من خلقه، وعلما نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا".[498]

وروى الصفار عدة روايات أخرى بسنده عن عدد من أصحاب أبي عبد الله، وهم علي السائي ومحمد بن الفضيل، وزرارة، يسألونه فيها عن مبلغ علمهم فقال: "مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر، أما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع وهو أفضل **علمنا ولا نبي بعد نبينا..** وأما النكت في القلوب فإلهام واما النقر في الاسماع فإنه من الملك. قال زرارة: قلت: كيف يعلم أنه كان من الملك ولا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يرى الشخص؟ قال: إنه يلقى عليه السكينة فيعلم انه من الملك".[499]

ونسب بعض الغلاة الى الإمام الصادق أنه قرأ الآية التالية هكذا: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدَّث)".[500] وعَرَّف "المحدَّث" بأنه الذي "يسمع الصوت ولا يرى الشخص. ويعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك".[501]

وروى بعض الغلاة تفاصيل عن دعواهم تحدث الملائكة مع الأئمة، وحاولوا أن يجيبوا على تساؤلات بعض الشيعة الرافضين لها واحتمالهم كون ما يدعي

---

496 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 5

497 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1

498 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 2

499 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 338

500 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

501 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4

(المحدَّث) سماعه؛ أنه من وحي الشيطان. وكيف يعرف بأنه ملك؟ فرووا عن أبي عبد الله أنه قال: "يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك".[502]

ونقل الرواة عن الصادق دعوى تنزل الأمر على ولي الأمر بعد رسول الله، وإصراره على هذه الدعوى إلى درجة انتقاد المخالفين لها الذين يقولون: "مضت ليلة القدر مع رسول الله (ص)". واعتبار ذلك:" فتنة أصابتهم خاصة، وبها ارتدوا على أعقابهم، لأنه إن قالوا: لم تذهب، فلابد أن يكون لله عز وجل فيها أمر، وإذا أقروا بالأمر لم يكن له من صاحب بد".[503] وأنه استدل بنزول الملائكة في ليلة القدر على وجود صاحب لها على مدى الزمان، وعدم اختصاصها برسول الله.[504]

كما أجاب عن تساؤلات أخرى حول تفوق علم الأئمة على علم النبي، إن صحت دعوى "التحدث" وحاول أن يحل ذلك الإشكال بالقول:" ليس يخرج شئ من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله (ص) ثم بأمير المؤمنين (ع) ثم بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا".[505]

وزعم أبو بصير أن الصادق أكد له مرافقة الروح للأئمة، وهو " خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله (ص) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده".[506] ونقل رواة آخرون عن الصادق أنه قال: "منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد (ص) ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا".[507] وقال في تفسير قوله تعالى: "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" إنه: "خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد (ص) وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجد".[508]

وادعى أبو يحيى الصنعاني: أن الإمام الصادق حدثه عن صعود أرواح "الأوصياء" إلى السماء لطلب المزيد من العلم، فقال:" يا أبا يحيى إن لنا في ليالي

---

502 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4 ولكن هذا الجواب لم يحسم الإشكال، وقد كان الناس يستشكلون حتى على الأنبياء في دعواهم النبوة فكانوا يحتجون عليهم بالمعاجز، في حين لم يكن يقدم الأئمة أية معاجز تثبت صحة دعواهم في نزول الملائكة أو نبوتهم.

503 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 4

504 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 4

505 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 4

506 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 1 و 2 و 3

507 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 2

508 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 4

الجمعة لشأنا من الشأن، فقال: جعلت فداك وما ذاك الشأن؟ قال: "يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى (ع) وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف به أسبوعا وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سرورا ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير".[509] وفي رواية أخرى: "إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله (ص) العرش ووافى الأئمة (ع) معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا".[510]

**الأئمة وروح القدس**

ويرتفع أبو جعفر الباقر بالامام درجة أعلى من (المحدث) فيجمع بين (الامام) وبين الأنبياء، ويقول، في رواية عن جابر عنه (ع) قال سألته عن علم العالم، فقال: "يا جابر انّ فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الايمان، و روح الحياة، و روح القوّة، و روح الشّهوة، فبروح القدس يا جابر علمنا ما تحت العرش الى ما تحت الثرى. ثم قال يا جابر انّ هذه الأرواح يصيبه الحدثان، إلّا أنّ روح القدس لا يلهو ولا يلعب ".[511]

ويفصل الامام الباقر موضوع الأرواح في حديث آخر يرويه جابر بن يزيد الجعفي، حيث يقول: سألت أبا جعفر (ع) عن الروح؟ قال يا جابر: "إنّ الله خلق الخلق على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وبيّن ذلك في كتابه حيث قال: "فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ" فأمّا ما ذكر من السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح البدن. وبيّن ذلك فى كتابه حيث قال: "تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس" ثمّ قال فى جميعهم: "وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ" فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين، وغير مرسلين، وبروح القدس علموا جميع الأشياء، وبروح الإيمان عبدوا الله، ولم يشركوا به شيئا، و

---

509 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 1

510 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 2 و باب لولا أن الأئمة يزدادون لنفد ما عندهم، ح رقم 1 و 2

511 - الصفار، بصائر الدرجات: 447 والكليني، الكافى: 1/ 272

بروح القوّة جاهدوا عدوّهم، وعالجوا معايشهم، وبروح الشّهوة أصابوا لذّة الطعام و نكحوا الحلال من النّساء، وبروح البدن يدبّ ويدرج.

وامّا ما ذكرت من أصحاب الميمنة فهم المؤمنون حقّا جعل فيهم أربعة أرواح روح الإيمان، و روح القوّة و روح الشهوة، و روح البدن. ولا يزال العبد مستعملا بهذه الأرواح الأربعة حتّى يهمّ بالخطيئة فإذا همّ بالخطيئة زيّن له روح الشّهوة و شجّعه روح القوّة، وقاده روح البدن حتى يوقعه فى تلك الخطيئة فاذا لامس الخطيئة انتقص من الإيمان، وانتقص الايمان منه، فان تاب تاب الله عليه، وقد يأتى على العبد تارات ينقص منه بعض هذه الأربعة، و ذلك قول الله تعالى "وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً" فتنتقص روح القوّة ولا يستطيع مجاهدة العدوّ ولا معالجة المعيشة، فتنتقص منه روح الشّهوة، فلو مرّت به أحسن بنات آدم لم يحنّ إليها و تبقى فيه روح الإيمان و روح البدن، فبروح الإيمان يعبد الله و بروح البدن يدبّ ويدرج، حتّى يأتيه ملك الموت.

وأمّا ما ذكرت أصحاب المشئمة فمنهم أهل الكتاب. قال الله تبارك وتعالى: "الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" عرفوا رسول الله (ص) والوصىّ من بعده و كتموا ما عرفوا من الحقّ بغيا وحسدا، فيسلبهم روح الإيمان وجعل لهم ثلاثة أرواح روح القوّة وروح الشّهوة و روح البدن، ثمّ أضافهم الى الأنعام فقال "إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"، لأن الدابّة إنمّا تحمل بروح القوّة و تعتلف بروح الشهوة و يسير بروح البدن".[512]

ويبدو من هذه الرواية أن الباقر جعل الأوصياء (الأئمة) في الصنف الأول (الرسل وغير الرسل) الذين يتمتعون بالروح الخامسة : روح القدس، ولم يذكرهم في الصنفين الآخرين: (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة).

وأوضح الامام الباقر بصراحة أكثر أن الأئمة يشاركون النبي محمد (ص) العلم، فقد قال لزرارة بن أعين: "نزل جبرئيل (ع) برمّانتين من الجنّة فأعطاه إيّاهما فأكل واحدة و كسر الاخرى بنصفين فأعطى عليّا (ع) نصفها فأكلها، فقال يا علىّ: أمّا الرمانة الاولى الّتي أكلتها فالنبوّة ليس لك فيها شيء، و أمّا الاخرى فهو العلم فأنت شريكى فيه".[513]

---

[512] - الصفار، بصائر الدرجات: 447

[513] - الكليني، الكافى: 1/ 263

(باب أن الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام)

علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة، عن أبي عبد الله (ع) قال إن لله تبارك وتعالى علمين :علما أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلما استأثر به فإذا بدا لله في شئ منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا. [514]

وقال محمّد بن مسلم: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: " نزل جبرئيل على محمّد (ص) برمّانتين من الجنّة، فلقيه عليّ (ع) فقال: ما هاتان الرمّانتان؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا هذه فالعلم، ثمّ فلقها رسول الله (ع) بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله نصفها، ثمّ قال: أنت شريكى فيه وأنا شريكك فيه. قال: فلم يعلم والله رسول الله (ص) حزما ممّا علّمه الله عزّ وجلّ إلّا وقد علّمه عليّا ثمّ انتهى العلم إلينا" ثمّ وضع يده على صدره. [515]

وعندما سمع حمران بن أعين هذا الكلام من الباقر، استغرب قائلا: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟ قال: "لا يعلّم الله محمّدا علما الّا وأمره أن يعلّم عليّا". [516]

وكما يلاحظ في جميع هذه الروايات، أن الباقر يحكيها من دون سند، ولا أي دليل، مما يحتمل أن تكون من خياله، إذا صحت النسبة اليه، ولم تكن من اختلاق أصحابه. ولكنها على أي حال ترفع (الأئمة) الى درجة قريبة أو مشاركة للنبي في العلم، والعلم هو أساس النبوة.

## الأئمة أعلم من الأنبياء!

واذا كانت تلك الرواية صعبة مستصعبة، فان الرواية التالية تفوقها صعوبة، حيث يروي الصفار بسنده عن عبد الله بن وليد السّمان، قال: قال لي أبو جعفر

---

[514] - الكليني، الكافي، ج1 ص 255

[515] - الصفار، بصائر الدرجات: 295. الكليني، الكافي، ج1 ص 263

[516] - الصفار، بصائر الدرجات: 292.

(ع): يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ (ع) وموسى وعيسى؟ قال قلت: جعلت فداك، ومن أي حالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء. قال قلت: جعلت فداك، فما عسى أقول فيهم؟ فقال: هو والله أعلم منهما. ثمّ قال: يا عبد الله **أ ليس يقولون إنّ لعلى (ع) ما للرسول من العلم؟** قال قلت: بلى. قال: فخاصمهم فيه، إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى "و كتبنا له في الألواح من كل شيء" فأعلمنا انّه لم يبيّن له الأمر كلّه وقال الله تبارك وتعالى لمحمّد (ص): "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء".[517]

وهنا رفع الباقر الامام عليا فوق النبيين العظيمين موسى وعيسى (عليهما السلام) في الفضل والعلم، بناء على شراكته مع النبي محمد (ص) في العلم.

وقال الباقر: إن رسول الله (ص) وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي. وفسر قول الله عز وجل:" الله نور السموات والأرض" بأنه يقول: أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته وهو نوري الذي يهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد (ص) والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله: "المصباح في زجاجة " يقول: إني أريد أن أقبضك فأجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة " كأنها كوكب دري" فأعلمهم فضل الوصي... وقوله عز وجل: "يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء" يقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم كمثل الزيت الذي يعصر من الزيتون .. يقول: **يكادون أن يتكلموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك"**. [518]

وهناك رواية ينقلها الكليني في (الكافي) عن الامام الباقر يرفع فيها الأئمة فوق الأنبياء، ويقول:" إن العلم الذي نزل مع آدم (ع) لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان علي (ع) عالم هذه الأمة، وإنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله. وإن الله عزّ وجلّ جمع لمحمد (ص) سنن النبيين من آدم وهلم جراً إلى محمد (ص) قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره ، وإن رسول الله (ص) صير ذلك كله عند أمير المؤمنين (ع) فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: "إسمعوا ما

---

[517] - الصفار، بصائر الدرجات: 228. ملاحظة: المقطع الأول هو جزء من آية 41 من النساء "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا". وأما المقطع الثاني فهو جزء من آية 89 من سورة النحل: "ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين".

[518] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 574

يقول ! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمد (ص) علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين (ع) وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين! ".[519]

ويظهر من بعض الروايات أن بعض الشيعة الامامية لم يكونوا يستسيغون القول بامتلاك الامام الباقر وبقية الأئمة العلم الإلهي الذي يشابه علم الأنبياء، وهذا ما دفع الباقر لكي يقول لأناس من أصحابه بغضب – كما ينقل ضريس الكناسي-: "عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ثمّ يكسرون حجّتهم و يخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا، والتسليم لأمرنا، أ ترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، **ثمّ يخفي عنهم أخبار السموات والأرض و يقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم؟!**

وهنا قال له حمران: جعلت فداك أ رأيت ما كان من أمر قيام علىّ بن أبى طالب والحسن والحسين (ع) وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر (ع) : يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثمّ أجراه، فبتقدم علم إليهم من رسول الله (ص) قام علىّ والحسن والحسين (ع) وبعلم صمت من صمت منّا، ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّ و جلّ أن يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب ازالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذا لأجابهم و دفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان ذلك الّذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم".[520]

وكما يبدو فان اشكال حمران هو عن دور (العلم الإلهي) وغيابه في مواقف الأئمة المتناقضة بين الثورة والتصدي السياسي والسكوت والانسحاب.

**العلم الجديد المستمر**

---

[519] - الكليني، الكافي، ج1 ص 222

[520] - الكليني، الكافى: 1/ 262

وكان الامام الباقر قد نسب سابقا علمه الى كتب ورثها من آبائه من رسول الله (ص) (كما رأينا في فصل سابق في الباب الأول) ولكنه بعد أن تطور في نظريته عن الامامة، الى هذه المرحلة العليا المشابهة للنبوة، راح يتحدث عن (العلم الجديد المستمر) فقال لزرارة: " لولا أنا نزاد لأنفدنا". وهذا ما أثار استغراب زرارة فقال له: تزادون شيئا لا يعلمه رسول الله؟ قال: "انّه إذا كان ذلك عرض على رسول الله (ص) وعلى الأئمة، ثمّ انتهى إلينا". [521]

ويقول ضريس الكناسي: كنت مع أبى بصير عند أبى جعفر (ع) فقال له أبو بصير: بما يعلم عالمكم جعلت فداك؟ قال: "يا با محمّد أنّ عالمنا لا يعلم الغيب ولو وكل الله عالمنا الى نفسه كان لبعضكم (كبعضكم) **و لكن يحدث إليه ساعة بعد ساعة** ". [522]

وقد أكد محمّد بن حكيم هذا القول، في رواية له عن الامام موسى الكاظم، قال: سمعت أبا الحسن (ع) يقول: كان ابو جعفر (ع) يقول: **"لولا أنّا نزاد لأنفدنا".** [523]

وهذا ما دفع بريد بن معاوية، لسؤال أبى جعفر وابنه أبى عبد الله ، قال قلت له: ما منزلكم؟ ممّن تشبهون ممّن مضى؟ فقال:" كصاحب موسى وذي القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين". [524]

ولم يعرف فيما اذا كان بريد قد اقتنع بالجواب؟ أم ظل يتساءل عن الفرق بين (الأئمة المحدثين) الذين يزداد علمهم في كل يوم بل وفي كل ساعة، وبين صاحب موسى (الخضر) أو ذي القرنين الذي أوحى الله تعالى له بعض التعليمات الخاصة، كما جاء في القرآن الكريم: "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا". الكهف، 86

**الأئمة وعلم الغيب**

---

[521] - الصفار، بصائر الدرجات: 392 و 394.

[522] - الصفار، بصائر الدرجات: 325

[523] - الصفار، بصائر الدرجات: 395.

[524] - الصفار، بصائر الدرجات: 366

ان دعوى (المحدث) في الروايات الواردة عن الامام محمد الباقر أكبر بكثير من علم الرجل الصالح (الخضر) صاحب موسى، أو ذي القرنين، وهي تشابه النبوة أو تفوقها أحيانا، وتشتمل على دعوى علم الأئمة بالغيب، ومعرفة علم الله والملائكة والنبيين، كما نرى في الأحاديث التالية:

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد قال: سأل أبا الحسن (ع) رجل من أهل فارس فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر (ع): يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم، وقال: سر الله عز وجل أسره إلى جبرئيل (ع) وأسره جبرئيل إلى محمد (ص) وأسره محمد إلى من شاء الله. [525]

- أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن أحمد بن الحسن بن علي، عن عمرو ابن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن الامام؟ يعلم الغيب؟ فقال: لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشئ أعلمه الله ذلك. [526]

- عن حنان بن سدير عن أبى جعفر (ع) قال: "انّ لله علما عامّا وعلما خاصّا، فأمّا الخاصّ فالّذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل وأمّا علمه العام الّذي اطلعت عليه الملائكة المقرّبون والأنبياء المرسلون قد رفع ذلك كله إلينا" ثم قال أما تقرأ "إن الله عنده علم السّاعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا وما تدري نفس بأيّ أرض تموت، إن الله عليم خبير". (لقمان 34). [527]

- عن ضريس عن أبى جعفر (ع) قال سمعته يقول: " إنّ لله علمين علم مبذول وعلم مكفوف فأمّا المبذول فانّه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرّسل إلا ونحن نعلمه، وأمّا المكفوف فهو الّذي عنده في أمّ الكتاب إذا خرج نفذ".[528]

- عن فضيل بن يسار عن أبى جعفر (ع) قال: "انّ لله علما لا يعلمه غيره وعلما قد أعلمه ملائكته و أنبيائه ورسله فنحن نعلمه ثم أشار بيده الى صدره".[529]

---

[525] - الكليني، الكافي، ج1 ص 256 (باب نادر فيه ذكر الغيب).

[526] - الصفار، بصائر الدرجات: 292. الكليني، الكافي، ج1 ص 257

[527] - الصفار، بصائر الدرجات: 109.

[528] - الصفار، بصائر الدرجات: 109. و112

[529] - الصفار، بصائر الدرجات: 110 و111

- عن جابر قال قال أبو جعفر (ع): " إنّ لله علما لا يعلمه الّا هو وعلما يعلمه الملائكة المقرّبون والأنبياء المرسلون فما كان من علم يعلمه الملائكة المقرّبون وانبياؤه المرسلون فنحن نعلمه".[530]

- عن جابر بن يزيد، عن أبى جعفر (ع) قال قال رسول الله (ص): " ما من أرض مخصبة ولا مجدبة ولا فئة تضلّ مائة وتهدى مائه الا أنا أعلمها وقد علّمتها أهل بيتي يعلم كبيرهم وصغيرهم الى أن تقوم الساعة". [531]

عن عمّار بن هارون عن أبى جعفر (ع) قال قال: "عندنا علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب وانساب العرب ومولد الإسلام".[532]

- وعن عمر بن ميمون عن عمّار بن مروان، عن أبى جعفر (ع) قال: انّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان و بحقيقة النفاق. [533]

- وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن عمرو بن ميمون عن عمار بن مروان، عن جابر، عن أبي جعفر (ع) قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق. [534]

- وعن أبى بكر بن محمّد الحضرمى، عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول : إنّه ليس من مخلوق إلّا بين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر ذلك محجوب عنكم وليس بمحجوب عن الأئمة من آل محمّد (ص) ثم ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية "إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ" فهم المتوسّمون. [535]

---

[530] - الصفار، بصائر الدرجات: 110.و الكليني، الكافى: 1/ 256

[531] - الصفار، بصائر الدرجات: 297

[532] - الصفار، بصائر الدرجات: 266.

[533] - الصفار، بصائر الدرجات: 288

[534] - الكليني، الكافى، ج 1/ 438

[535] - المفيد، الاختصاص: 302

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة ابن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن عبد الواحد بن المختار قال، قال أبو جعفر (ع) : لو كان لألسنتكم أوكية لحدثت كل امرئ بما له وعليه. [536]

عن بعض الصادقين يرفعه إلى جعفر قال قال أبو جعفر (ع): " يمصّون الثماد ويدعون النّهر العظيم. قيل له: ومن النهر العظيم؟ قال: رسول الله (ص) وانّه والعلم الذي أتاه الله أنّ الله جمع لمحمّد (ص) سنن النبيين من آدم هلم جرّا إلى محمّد. قيل له: وما تلك السنن؟ قال علم النبيّين بأسره إنّ الله جمع لمحمّد (ص) علم النبيّين بأسره وانّ رسول الله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين (ع) فقال له الرّجل: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول: إنّ الله يفتح مسامع من يشاء إنّى حدّثت أنّ الله جمع لمحمّد (ص) علم النّبيين و انّه جعل ذلك كلّه عند أمير المؤمنين وهو يسألني هو أعلم أم بعض النّبيين؟". [537]

عن أبى الصبّاح الكنانى عن أبى جعفر (ع) قال سمعته يقول: "والله انّ في السّماء لسبعين صنفا من الملائكة لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلّهم، يحصون عدد كلّ صنف منهم ما أحصوهم، وانّهم ليدينون بولايتنا". [538]

وفي أبرز مظهر من مظاهر النبوة، ادعى أبو جعفر الباقر بأن الملائكة تنزل عليهم، ففي رواية للصفار بسنده عن أبى اليسع، قال دخل حمران بن أعين على أبى جعفر (ع) وقال له: جعلت فداك يبلغنا انّ الملائكة تنزل عليكم؟ فقال: " إنّ الملائكة والله لتنزل علينا وتطأ فرشنا، أ ما تقرأ كتاب الله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"؟. [539] وقال:" نحن الّذين إلينا تختلف الملائكة". [540] وقال:"

---

[536] - الكليني، الكافي، ج1 ص 264 (باب ان الأئمة (ع) لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه)

[537] - الصفار، بصائر الدرجات: 117

[538] - الصفار، بصائر الدرجات: 67

[539] - الصفار، بصائر الدرجات: 91

[540] - الصفار، بصائر الدرجات: 92

منّا من يسمع الصّوت ولا يرى الصّورة وأنّ الملائكة لتزاحمنا على تكآتنا، وانّا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخابا لأولادنا ".[541]

وروى الكليني أحاديث عن جعفر الصادق أنه قال:"إن الملائكة تصافح الأئمة على فرشهم، وأنهم ألطف بصبياننا منا بهم".[542] وأنه ضرب بيده إلى مساور في البيت وقال: "مساور طالما اتكت عليها الملائكة وربما التقطنا من زغبها".[543]

وهناك قصة مشهورة يرويها يونس بن يعقوب حول علم الامام الصادق بالغيب كدليل على الامامة الالهية، وهي قصة الرجل الشامي الذي حاور هشام بن الحكم في منى ، وهي كما يلي:

عن يونس بن يعقوب قال: "كنت عند أبي عبد الله (ع) فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك... قال: فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا الا من هو أكبر سنا منه، قال: فوسع له أبو عبد الله (ع) وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه و يده... ثم قال للشامي: كلم هذا الغلام، فقال: نعم فقال لهشام: ... يا هذا من انظر للخلق اربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله (ص) أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله (ص) والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء والأرض وراثة عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي ان اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي، قطعت عذري فعلي السؤال. فقال أبو عبد الله (ع) يا شامي: أخبرك كيف كان سفرك؟ وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا، فاقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله (ع): بل آمنت بالله الساعة، ان الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون، فقال الشامي: صدقت

---

[541] - الصفار، بصائر الدرجات: 92. و93

[542] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 1

[543] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 2

فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ص) وانك وصي الأوصياء".[544]

**الامام الباقر: لسنا انبياء**

وبالرغم من أن دعوى (المحدث) تكاد تشابه دعوى النبوة، إلا أن الامام الباقر حاول تخفيف وقعها على الشيعة فخاطب جمعا منهم قائلا:" ما لكم؟ لعلّكم ترون أنّي نبىّ الله؟ والله ما أنا كذلك و لكن لي قرابة من رسول الله (ص) ..." .[545]

وقال الإمام الصادق: "الأئمة بمنزلة رسول الله (ص) إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي (ص) فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله (ص)".[546] أو "إنما الوقوف علينا في الحلال، فأما النبوة فلا".[547]

وقال: "إن الله عز ذكره ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده أبدا، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبدا، وأنزل فيه تبيان كل شئ وخلقكم وخلق السماوات والأرض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم وأمر الجنة والنار وما أنتم صائرون إليه".[548]

وعن الوشا عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال: "من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله" .[549]

---

[544] - الكليني، الكافي، ج1 ص 171 -173 ويحتمل ان تكون هذه الرواية موضوعة لأن الكليني يرويها عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمن ذكره، عن يونس بن يعقوب.

[545] - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، عقاب الاعمال: 244

[546] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 7

[547] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 2

[548] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 3

[549] - الكشي

وعن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله (ع): "يا أبا محمد أبرأ ممن يزعم أنا أرباب، قلت: برئ الله منه، فقال: أبرأ ممن يزعم أنا أنبياء، قلت: برئ الله منه". [550]

وعن حنان بن سدير عن أبيه قال: قُلْتُ لأبي عَبْدِ اللهِ (ع): إِنَّ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ آلِهَةٌ، يَتْلُونَ عَلَيْنَا بِذلِکَ قُرْآناً "وَهُوَ الَّذِی فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ" ؟ فَقَالَ: "يَا سَدِيرُ، سَمْعِی وَ بَصَرِی وَبَشَرِی وَلَحْمِی وَدَمِی وَشَعْرِی مِنْ هوءُلاَءِ بَرَاءٌ [برىء]، وَ بَرِئَ اللهُ مِنْهُمْ ، مَا هوءُلاَءِ عَلی دِينِی، وَلاَ عَلی دِينِ آبَائِی ؛ وَ اللهِ، لاَ يَجْمَعُنِی اللهُ وَإِيَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِمْ".

قَالَ: قُلْتُ: وَعِنْدَنَا قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ رُسُلٌ، يَقْرَؤُونَ عَلَيْنَا بِذلِکَ قُرْآناً: "يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّی بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"؟ فَقَالَ: "يَا سَدِيرُ، سَمْعِی وَ بَصَرِي وَ شَعْرِي وَ بَشَرِي وَ لَحْمِي وَ دَمِي مِنْ هوءُلاَءِ بَرَاءٌ [برىء]، وَ بَرِئَ اللهُ مِنْهُمْ وَرَسُولُهُ، مَا هوءلاَءِ عَلی دِينِی، وَلاَ عَلی دِينِ آبَائِی ؛ وَ اللهِ، لاَ يَجْمَعُنِی اللهُ وَإِيَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ وَ ُهوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِمْ".
قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَنْتُمْ؟؟!
قَالَ: "نَحْنُ خُزَّانُ عِلْمِ اللهِ، نَحْنُ تَرَاجِمَةُ أَمْرِ اللهِ، نَحْنُ قَوْمٌ مَعْصُومُونَ، أَمَرَ اللهُ تَبَارَکَ وَتَعَالی بِطَاعَتِنَا، وَنَهی عَنْ مَعْصِيَتِنَا، نَحْنُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلی مَنْ دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الأَرْضِ". [551]

وبالرغم من نفي الامامين الباقر والصادق عن نفسيهما النبوة، الا أن دعوى (المحدث) أحدثت ارتباكا كبيرا في صفوف الشيعة، وقد رأينا كبار أصحاب الامام الباقر مثل حمران وأبي حمزة الثمالي يتساءلون بتعجب: هل المحدث نبيّ؟

وقد تجادل معلى بن خنيس ذات مرة مع عبد الله ابن أبي يعفور، فقال معلى: "الأوصياء أنبياء". بينما قال عبدالله: "الأوصياء علماء أبرار أتقياء" فدخلا على الصادق فلما استقر بهما المجلس بدأهما فقال : يا عبد الله أبرأ ممن قال: "إنا أنبياء".[552]

---

[550] - الكشي

[551] - الكليني، الكافی ، ج1، ص 672 والصفار، بصائر الدرجات، ص 104، ح 6، والكشّی، ص 306 ، ح 551،

[552] - الكشی : 160

وقد واجه أحد الزيدية الامام الصادق بهذه القضية فقال له: إني خرجت من عند بني الحسن آنفا فسمعتهم يقولون: إن شيعتك بالكوفة يزعمون إنك نبي!. [553]

واذا كان بعض أصحاب الأئمة يتراجعون عن الاعتقاد بأنهم أنبياء، فان أصحابا آخرين مثل معتمد الامام الصادق السابق في الكوفة أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي، لم يستطع التفريق بين (المحدث) و (النبي) بعد تصديقه للأحاديث التي تزعم علم الأئمة بالغيب ونزول الملائكة عليهم وتحدثهم معهم، فأصر على القول بأن الأئمة أنبياء. وكما قال الأمام الباقر: " هي التي هلك فيها أبو الخطاب، لم يدر تأويل المحدث والنبي". [554]

وهذا ما دفع حمران بن أعين لأن يسأل الامام الصادق: أنبياء أنتم؟ قال: لا، قلت: فقد حدثني من لا اتهم أنك قلت: انكم أنبياء. قال: من هو؟ أبو الخطاب؟ قال حمران: نعم. قال الصادق: كنت إذا اهجر!. [555]

## ف2 ـ تفويض الأئمة في التشريع

تفرع عن القول بأن (الأئمة محدّثون) وأنهم بمنزلة الأنبياء أو تحتهم أو فوقهم، ادعاء مرتبة خاصة بالأنبياء وهي التشريع، والقول بأن الله تعالى قد فوض الأئمة الحق في التشريع، كما تفرع عنه القول بالتفويض بالخلق والرزق والولاية التكوينية، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع في باب قادم.

## التفويض في التشريع

اعتمد الامام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق على فقرة في الآية السابعة من سورة الحشر، وهي: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" لبناء فكرة معينة عامة حول تفويض الله للنبي في التشريع وفي الأمر والنهي وفي كل شيء، ومن ثم جر ذلك التفويض الى الأئمة، علما بأن الآية تتحدث عن توزيع النبي الأكرم لغنائم يهود بني قريضة بعد اجلائهم من المدينة: "مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ

553 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 199

554 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 340

555 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 278

الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". (الحشر، 7) وقد نزلت هذه الآية بعد قيام النبي بتوزيع الغنائم على المهاجرين الفقراء، كما في هذه الآية التالية: "لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ". (الحشر، 8) وعدم إعطاء الأنصار شيئا منها، مما أدى الى اعتراض بعضهم، فجاءت الفقرة الآنفة في الآية السابقة لكي تطلب من المعترضين عدم مخالفة الرسول (وما نهاكم عنه فانتهوا). ولكن الامام الباقر (وابنه جعفر الصادق) أعطى تلك الفقرة مفهوما آخر أوسع من توزيع الغنائم، وهو التفويض العام، وقال: "إن الله خلق محمدا عبدا فأدبه حتى إذا بلغ أربعين سنة أوحى إليه وفوض إليه الأشياء فقال: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )". [556]

ولكن فهم (التفويض) من تلك الفقرة من الآية، كان يتعارض بوضوح مع آية أخرى هي: "ليس لك من الأمر شيء" وهذا ما دفع أكبر الغلاة في شيعة الباقر جابر بن يزيد الجعفي، للتوقف، وسؤال الباقر عنها،

وبعد اثبات موضوع (التفويض) للرسول تم الانتقال الى المرحلة الثانية وهي اثبات التفويض للامام علي، فقال أبو جعفر الباقر: "ان عليا (ع) كان فيما ولى بمنزلة سليمان بن داود قال الله تعالى: " فامنن أو أمسك بغير حساب ".[557]

ثم تم بعد ذلك الانتقال الى المرحلة الثالثة وهي اثبات التفويض لبقية الأئمة، وبناء على ذلك قال الباقر: "من أحللنا له شيئا أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال لان الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال وما حرموا فهو حرام". [558]

وأكد الامام الصادق الحق بالتفويض في الإفتاء متعدد الأشكال المختلف والمتناقض، كما في رواية عن موسى بن أشيم (المغالي) الذي سأل الامام عن آية من كتاب الله فخبره بها فلم يبرح أن دخل رجل فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره

---

556 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 398

557 - الصفار، بصائر الدرجات، 405

558 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 404

بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كاد قلبي يشرح بالسكاكين وقلت: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الحرف الواحد الواو وشبهها وجئت إلى من يخطئ هذا الخطاء كله. فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني والذي سأله بعدي فتجلى عني وعلمت أن ذلك تقية منه، فحدثت نفسي بشئ فالتفت إلي أبو عبد الله (ع) فقال: يا بن أشيم لا تفعل كذا وكذا، فحدثني عن الامر الذي حدثت به نفسي. ثم قال: "يا ابن أشيم إن الله فوض إلى سليمان بن داود (ع) فقال: "هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب " وفوض إلى نبيه فقال: " ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ". فما فوض إلى نبيه فقد فوضه إلينا".[559]

وقد فتحت هذه الدعوى (التفويض في التشريع) الباب واسعا أمام ورود فتاوى وأحاديث متناقضة أو غامضة عن الأئمة أو قابلة للتأويل والتفسير، وحدوث الاختلاف في صفوف الشيعة، حتى نقل عن الأئمة قولهم: "إن في أخبارنا محكما كمحكم القرآن ، ومتشابها كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها، فتضلوا".[560]

ونقل عن الأئمة أيضا إجازة العمل بكل الأحاديث المختلفة أحيانا.

وروى عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: "إني لأتكلم على سبعين وجها لي في كلها المخرج".[561]

**ف3-**

## ارتكاز نظرية الامامة على تحريف القرآن وتأويله بصورة تعسفية

اضطر القائلون بنظرية الامامة الإلهية، الى القول بتحريف القرآن، أو تأويله بصورة تعسفية، وذلك لأن الادعاء بأهمية الامامة ورفعها الى درجة مقاربة

---

559 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 406 والكليني، الكافي، ج1 ص 265

560 - الوافي، [ 33355 ] عن عيون أخبار الرضا 1 : 290 | 39.

561 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 348

للنبوة،[562] يستدعي سؤالا بديهيا: لماذا إذن لم يشر القرآن الى أهل البيت أو الى نظرية الامامة، إذا كانت حقا مهمة وركنا من اركان الدين؟ وللاجابة على هذا السؤال المحرج قام الاماميون بالتشكيك بعملية جمع القرآن في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، وزعموا قيام هؤلاء "الذين اغتصبوا الخلافة" بحذف كل ما كان يوجد في القرآن من آيات أو كلمات تتحدث عن أهل البيت وحقهم في الخلافة، وادعوا تعرض القرآن الى عملية تلاعب وزيادة ونقصان، ونسبوا تلك الروايات بالدرجة الأولى الى الامام محمد بن علي الباقر، فقد روى السياري عن علي بن النعمان عن أبيه عن عبدالله بن مسكان عن أبي جعفر (ع) انه قال: "لولا أنه زيد في القرآن ونقص ما خفي حقنا على ذي حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن". كما روى عن سيف وهو ابن عميرة عن غير واحد عن أبي عبد الله (ع) انه قال:" لو ترك القرآن كما أنزل لألفينا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا". " وكانت فيه أسماء الرجال، فألقيت".[563]

وقام الامامية بالادعاء بدلا من ذلك، بأن القرآن كان مجموعا في عهد الرسول الأكرم، وقد سلمه الى الامام علي بن أبي طالب عند وفاته، فقام بجمعه بصورة كاملة ونهائية وتقدم به الى الخليفة أبي بكر والصحابة فرفضوه، وقام هؤلاء بعد ذلك بجمعه على طريقتهم الخاصة.[564]

وتأكيدا لذلك يروي الكليني أحاديث عن الإمام محمد بن علي الباقر أنه قال: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (ع) والأئمة من بعده".[565] و"ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء".[566] و"ما

---

[562] - كما روي عن الباقر أنه قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية.. فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية". وما روي عن الصادق أن:" أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 1 و 3 و 4

[563] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 215

[564] - المفيد، أوائل المقالات، القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، ص 80 – 82

[565] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 1 والصفار، بصائر الدرجات، ص 213

[566] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 2

يستطيع أحد يقول جمع القرآن كله غير الأوصياء" و " ما أجد من هذه الأمة من جمع القرآن الا الأوصياء".[567]

وأن الإمام علي "أتى بالكتاب كملا مشتملا على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلم يقبلوا ذلك".[568]

كما يروي الكليني عن الامام جعفر الصادق أنه قال: إنّ رسول الله (ص) قال لعلي عند وفاته: " يا عليُّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة" فانطلق عليٌّ فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته. وقال: لا أرتدي حتّى أجمعه. وإن كان الرجل ليأتيه، فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه.[569] وأن الصادق قال: " أخرجه علي إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد (ص) وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحفٌ جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه! فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عَلَيَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه – واضاف - : إذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام !".[570]

ويقول سالم بن أبي سلمة أن رجلا قرء على أبي عبد الله (ع) وانا اسمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبد الله : مه.. مه.. كف عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام فقرأ كتاب الله على حده واخرج (المصحف) الذي كتبه علي (ع).[571]

---

[567] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 213 - 214

[568] - تفسير الصافي، المقدمة السادسة ص 11

[569] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 92، ص 48 و 52 نقلاً عن تفسير القمي.

[570] - الكليني، الكافي:633/2

[571] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 213

وقد كان الباقر يعبر عن تلك النسخة المخفية أحيانا بـ "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة".[572]

ويروي الكليني في (الكافي) عن الإمام الصادق، أن "مصحف فاطمة" يوازي ثلاثة أضعاف القرآن الذي بين أيدي المسلمين، وأنه يحتوي على "ستة عشر ألف آية، والله لا يوجد منها في مصحفكم هذا حرف واحد".[573] وأنه كان يختلف عن المصحف المعروف في بعض الآيات.[574]

وقد أصبح ادعاء وجود نسخة خاصة من القرآن للامام علي بن أبي طالب عند أبنائه، نافذة أو قاعدة لما أصبح يعرف بـ "قراءة أهل البيت" الخاصة للقرآن،
وفي حين لم يصدر عن أي امام من الأئمة أي كتاب موثوق يعبر عن أفكاره أو يفسر القرآن بشكل موثق، فقد قام أحد المدعين للتشيع في منتصف القرن الثالث الهجري، وهو أحمد بن محمد بن سيار بن عبد الله السياري، بتأليف كتاب تحت عنوان "القراءات، أو التنزيل والتأويل" وقد توفي هذا المؤلف سنة 268، مما يعني أنه عاصر الأئمة محمد الجواد (ت 220) وعلي الهادي (ت 255) والحسن العسكري (ت 260).

ولم يصل كتاب "القراءات" للسياري الينا بصورة مسندة. ولكن رواياته انعكست في كتب الحديث والتفسير الامامية التي انتشرت في القرنين الثالث والرابع كـ (بصائر الدرجات) لمحمد بن حسن بن فروخ الصفار (290)، و(ناسخ القرآن ومنسوخه) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي (حوالي 300)، وتفسير علي بن ابراهيم القمي (307)، و(الكافي) لمحمد بن يعقوب الكليني (329)، وتفسير محمد بن مسعود العياشي (320) ، وتفسير فرات بن ابراهيم الكوفي (352)،

---

572 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 6

573 - الكليني، الكافي : ج 1 ص 238

574 - الكليني، الكافي ، الروضة، ص 49 ولكن روايات أخرى عن الصادق تنفي أن يكون "مصحف فاطمة" يحتوي على قرآن، و"إنما هو شئ أملاه الله وأوحى إليها" (الصفار، بصائر الدرجات : ص 171 - 172 ، ح 3) و" ما فيه آية من كتاب الله" (المصدر، ص 172) ويقول فيها:" إن عندنا مصحف فاطمة ، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخط علي". ( المصدر، ص ص 181 ، ح 33 ) و" إن عندي... مصحف فاطمة ، وما أزعم أن فيه قرآنا، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى إن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش". (الكليني، الكافي : ج 1 ، ص 240 ، ح 3 ) وقد" خلَّفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله وخط علي". (الصفار، بصائر الدرجات : ص 175 ، ح 14) وأن "مصحف فاطمة" كان يحتوي على مسائل فقهية حول الزكاة. المجلسي، بحار الأنوار : ج 47 ، ص 227 ، الرواية 17 ، الباب 7 وربما عبر الصادق عن ذلك الكتاب بـ "الجفر" وهو الجلد الذي يحتوي الكتاب. الصفار، بصائر الدرجات : ص 175 ، ح 11 و ص 171 ، ح 2

وتفسير ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني (360) و (قراءة أهل البيت عليهم السّلام) و ( قراءة أمير المؤمنين عليه السّلام) لمحمد بن العباس بن علي الماهيار المعروف بابن الحجّام (حوالي 328).[575]

ومع وجود شك منهجي معتبر في صحة جميع الروايات المنقولة في تلك الكتب، عن الإمامين الباقر والصادق، لأنها نقلت عنهما بصورة شفوية من واحد الى آخر، خلال مائة عام أو أكثر، قبل أن تسجل في كتاب، ووجود كثير من الرواة الضعفاء والغلاة والكذابين بين الناقلين، الا اننا لا يمكن أن نشطب بجرة قلم واحدة على كل ما روي عنهما. وقد حاول الشيخ المفيد تفسير تلك الروايات التي تتحدث عن وجود إضافات في مصحف علي أو مصحف فاطمة ، بأنها من التأويل المنزل.

وسوف نقدم الآن بعض الأمثلة على التحريف والتأويل، الهادفين الى تعزيز مكانة (آل محمد) أو دعم نظرية (الامامة الإلهية):

1- "إنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرانَ (وآل محمد) عَلى العالَمينَ". (آل عمران 33) وقد رواها السياري عن محمد بن سنان عن أبي خالد القماط عن حمران بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقرأ: "ان الله اصطفى آدم ونوحاً و آل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين" ثم قال: هكذا والله نزلت. وقال علي بن إبراهيم في تفسيره: قال "العالم": "لما نزل (وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) فأسقطوا (آل محمد) من الكتاب. وروى فرات بن ابراهيم في تفسيره معنعنا عن حمران قال سمعت أبا جعفر (ع) يقرأ هذه الآية: "... و آل محمد على العالمين" قلت ليس نقرأ هكذا، فقال: ادخل حرف مكان حرف. وروى العياشي عن هشام بن سالم قال سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تعالى "ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم" قال: هو (آل ابراهيم وآل محمد على العالمين) فوضعوا اسماً مكان اسم. وعنه أيضا قال: (وآل محمد) كانت فمحوها وتركوا آل ابراهيم وآل عمران. وقال الطوسي في (التبيان) والطبرسي في (مجمع البيان): وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام (وآل محمد على العالمين). وكما يبدو فان الاصرار على تثبيت (آل محمد) محاولة لإثبات حق (أهل البيت)

---

[575] - الطوسي، الفهرست، 149 - 150

بالخلافة، بالرغم من أن معنى (آل محمد) قد يشمل جميع المسلمين وليس (أهل البيت) فقط. و"وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ (آل محمد) أَيَّ مُنقَلَب يَنقَلِبُونَ". (الشعراء 227)

2- " وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ (أمم) النَّبِيّينَ لَما ءاتَيْتُكُم مِنْ كِتاب وَحِكمَة ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه". (آل عمران 81) وقد روى السياري عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله تبارك وتعالى "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" كيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه؟ وكيف يؤمن عيسى بمحمد (ص) وينصره ولم يدركه؟ فقال: يا حبيب ان القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلاّ حروف أخطأت به الكتبة وتوهمتها الرجال وهذا وهم فاقرأها "وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين ..." هكذا أنزله الله يا حبيب، فوالله ما وفت أمة من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذ الله عليها من الميثاق لكل نبي بعثه الله بعد نبيها ولقد كذبت الأمة التي جاءها موسى لما جاءها موسى ولم يؤمنوا به ولا نصروه إلاّ القليل منهم، ولقد كذبت أمة عيسى بمحمد (ص) ولم يؤمنوا به ولا نصروه لما جاءها إلاّ القليل منهم.

3- "يا أَيُّها النّاسُ قَد جاءَكُمُ الرَّسولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم (في ولاية علي) فَآمِنُوا خَيْراً لَكُم وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لله ما في السَّمواتِ وَالأرضِ وَكانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ". (النساء 170)

وقد رواها المفسرون والمحدثون الشيعة كالسياري والكليني والعياشي وعلي بن ابراهيم القمي ، بإضافة: (في ولاية علي).

4- "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُول وَلاَ نَبِيٍّ (ولا محدَّث) إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَـنُ في أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَـنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَـتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ". (الحج 52)

وقد رواها الكليني: عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد (السياري) عن أحمد بن أبي نصر عن ثعلبة بن ميمون عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل "وكان رسولاً نبياً" وما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه. إلى أن قال (ع) ثم تلا (ع): (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث).

واذا كانت هذه الروايات عامة وغير صريحة بالامامة، فان الروايات التالية تتضمن بصمات الفكر الامامي، أو محاولات قراءة القرآن، حرفا وحركة، بشكل مختلف يخدم نظرية الامامة الالهية.

4- قول الله تعالى في الآية 102 من سورة آل عمران : " يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَموتُنَّ إلاّ وَأنْتُم مُسلِمون". فقد روى السياري والعياشي والطوسي عدة روايات عن جعفر بن محمد الصادق وابنه موسى الكاظم بأنهم كانوا يقرأون: (مسَلِّمون) بالتشديد، لرسول الله ثمّ الإمام من بعده. وأن الحسين بن خالد قرأ هذه الآية، فقال له الكاظم: سبحان الله يوقع الله عليهم اسم الايمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الاسلام والايمان فوق الاسلام؟ فقال الحسين: هكذا يقرأ في قراءة زيد، فقال: انما هي في قراءة علي (ع) وهي التنزيل الذي نزل به جبرائيل على محمد (ص): إلا وأنتم مسلمون لرسول الله ثم الامام من بعده.

5- قوله تعالى في الآية 104 من سورة آل عمران: " وَلْتَكُن مِّنكُم أُمَّةٌ يَّدعونَ إلى الخَيرِ وَيَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَأولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ". وقد رويت (أئمة) بدل (أمة). كما في تفسير الطبرسي.

6- قوله تعالى في الآية 95 من سورة المائدة: " يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثلُ ما قَتَلَ مِنَ النِّعَمِ يَحكُمُ بِهِ ذَوا عَدل مِنكُم هَدياً بالِغَ الكَعبَةِ ". فقد روى السياري عن أبي عبد الله أنه قرأ ( ذو عدل) بدل " ذَوا عَدل". يعني به الإمام. وروى العياشي والكليني عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله "يحكم به ذوا عدل منكم" قال العدل رسول الله (ص) والامام من بعده ثم قال: وهذا مما أخطأت به الكتاب.

7-قوله تعالى في الآية 41 من سورة الحجر: " قَالَ هَـذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ". وقد روى السياري والكليني والعياشي وفرات عن أبي عبد الله قال: (هذا صراطُ عليٍ مستقيم).

8-قوله تعالى في الآية 74 من سورة الفرقان: " واجعلنا للمتقين اماما". وقد روى سعد بن عبد الله القمي وعلي بن ابراهيم عن أبي عبد الله أنه قال لأبي بصير عندما قرأ هذه الآية: لقد سألت ربك عظيما إنما هي (واجعل لنا من

المتقين إماما). وقال الطبرسي في (مجمع البيان) انها في قراءة أهل البيت (ع): (واجعل لنا من المتقين اماماً).

9- قوله تعالى في الآية 17 من سورة هود: "أَ فَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَة مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَـبُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ في مِرْيَة مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُ مِن رَبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ". فقد روى السياري وسعد بن عبد الله القمي وعلي بن ابراهيم والنعماني روايات عديدة عن أبي جعفر الباقر، زعمت وجود تحريف وتقديم وتأخير في هذه الآية، وقرأتها هكذا: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد من ربه إماما ورحمة، ومن قبله كتاب موسى...) وروى القمي عن أبي عبد الله قوله:" لا والله ما هكذا أنزلها إنما هو (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى)".

10- وقد تمت اضافة اسم (علي) الى عدد من الآيات، كقوله تعالى: " وإِنْ كُنتُم في رَيْب مِمّا نزّلنا على عَبْدِنا ( في علي) فأتوا بسورة من مثله ". (البقرة 23) "بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي) بغيا".[576] ، وآية:" لكِنِ اللهُ يشْهَدُ بِما أَنزَلَ إِلَيْكَ (في علي) أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفى بِاللهِ شَهيداً". (النساء 166)، وآية :" إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ (في علي) وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ". (الأحقاف 9) وآية: "وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـلِحَـتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّد (في علي) وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِهِمْ ". (محمد 2) وآية: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ (في علي) فَأَحْبَطَ أَعْمَـلَهُمْ ".(محمد 9) وآية: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللهُ (في علي) سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ". (محمد 26)

11- إضافة كلمة (عليا) الى آية:" فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (عليا) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب". (الانشراح 7)

**12-** حذف نقطة؛ وتبديل (علينا) بـ (علياً) في آية: " إِنَّ عَلَيْنَا (علياً) لَلْهُدَى". (الليل 12)

13- اضافة (آل محمد حقهم) الى قوله تعالى: "فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَموا (آل محمد حقهم) قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلى الَّذينَ ظَلَموا (آل محمد حقهم) رِجزاً مِّنَ السَّماءِ بِما كانوا يَفسقون ". (البقرة 59) وآية:" يَومَئِذ يَوَدُّ الَّذينَ كَفَروا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ (وظلموا آل محمد حقّهم ) لَو تُسَوّى بِهِمُ

576 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25

الأَرضَ ". (النساء 42) وآية: "وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ (آل محمد حقهم) عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَيَعْلَمُونَ". (الطور 47)، وآية: "وان للذين ظلموا (آل محمد حقهم) عذاباً دون ذلك". (الطور 47) وآية:"... وَتَرَى الظَّـلِمِينَ (لآل محمد حقهم) لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيل ". **(الشورى 44)**

14- إضافة كلمة (إلى محمد وأهل بيته) الى آية:" يَـأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (إلى محمد وأهل بيته) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً". **(الفجر 27)**

15- تبديل كلمة (أمة) بـ (أئمة) كما في قوله تعالى: " وَكذلك جَعَلْناكُم أُمّةً (أئمة) وَّسطاً لِتَكُونوا شُهداءَ عَلى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسولُ عَلَيْكُم شَهِيداً ". **(البقرة 142)** وقد علق النعماني في تفسيره بقوله "معنى وسطاً بين الرسول و بين الناس، فحرفوها و جعلوها أمة". وذكرها سعد بن عبد الله القمي في كتابه (ناسخ القرآن ومنسوخه) في باب الآيات المحرفة.

16- وكذلك تبديل (أمة) بـ (أئمة) في آية 110 من سورة آل عمران: "كُنتُم خَيرَ أُمَّة أُخرِجَت للنّاسِ تَأمُرونَ بالمَعروفِ ". وروى علي بن ابراهيم والنعماني عن أبي عبد الله أنه قال: خير أمة يقتلون أميرالمؤمنين والحسن والحسين بن علي (عليهم السلام)؟! فقال القاري: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال: (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) ألا ترى مدح الله لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله؟.

17- اضافة (وإلى أولي الأمر منكم) الى هذه الآية: "يا أيُّها الّذينَ آمَنوا أطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُم فَإنْ تَنازَعْتُم في شَيء فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسولِ (وإلى أولي الأمر منكم من آل محمد) إنْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأحْسَنُ تَأويلاً ". (النساء 59) فقد روى السياري عن بريد بن معاوية قال كنت عند أبي جعفر، فسألته عن قول الله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم"؟ قال فكان جوابه أن قال:... إيانا عنى خاصة (فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله و إلى الرسول و أولي الأمر منكم) هكذا نزلت، و كيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر ويرخص لهم في منازعتهم انما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.

18- إضافة كلمة (في أمر الولاية) الى آية: " فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أنْفُسِهِم حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ (في

أمر الولاية) وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً". (النساء 65 ). أو (موالاة علي) كما في هذه الآية: "أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم (بموالاة علي) فاستكبرتم، ففريقا (من آل محمد) كذبتم وفريقا تقتلون".

19- اضافة كلمة (في ولاية علي) الى هذه الآية: " وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَـفِقِينَ (بولاية علي) لَكَـذِبُونَ ". (المنافقون 1) ، وآية: "وَإِنَّهُ (ان ولاية علي) لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ". (الحاقة 48) وآية: " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَاب وَاقِع لِّلْكَـفِرِينَ (بولاية علي) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ". (المعارج 2) وروى السياري عن أبي عبدالله انه تلا (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي) ثم قال هكذا هي في مصحف فاطمة عليها السلام.

20- إضافة (في ولاية علي والأئمة من بعده) بعد (رسوله) في آية " وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ". (الأحزاب 71)

21- إضافة كلمة (عن ولاية علي) الى هذه الآية:" بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ (عن ولاية علي) فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ". (فصلت 4)

**22-** إضافة كلمة الى هذه الآية:" وَمَا ءَاتَـكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ (في ظلم آل محمد) إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". (الحشر 7)

23- تبديل (ترابا) بـ (ترابيا) في آية: "وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَـالَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً (ترابيا)" . (النبأ 40) وقد عد سعد بن عبدالله القمي في كتاب (ناسخ القرآن ومنسوخه) هذه الآية في عداد الآيات المحرفة، وقال: انما هو (يا ليتني كنت ترابيا) وذلك ان رسول الله (ص) كنى أمير المؤمنين (ع) بأبي تراب.

24- تبديل (الموءودة) بـ (الموَدَّة) في آية: "وإذا الموءودة سئلت". (التكوير 8) وروى علي بن إبراهيم عن أبي جعفر: قال: من قتل في مودتنا. [577]

**تأويل القرآن أو التفسير الباطني**

[577] - الكليني ، الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25 و 31 و47و58 و 59 و65 والكافي، الأصول ، كتاب الحجة : جـ 1 ص 479 والكافي، ج 1 ص 292 باب (الاشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام)

وبالإضافة الى عملية التحريف، وردت الينا روايات كثيرة بتأويل القرآن بصورة تعسفية، من أجل اثبات نظرية الامامة الالهية لأهل البيت، وقد فتح الامام محمد الباقر باب التأويل، وادعى بأنه لا يعلمه الا الأئمة.

25- يقول فضيل بن يسار: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية "ما من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن"؟ فقال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجرى كما يجرى الشمس والقمر، كما جاء تأويل شئ منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء، قال الله (تعالى): "وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم" نحن نعلمه".[578]

26- روى محمد بن منصور قال: سألت "عبدا صالحا" عن قول الله عز وجل: " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن" قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق". [579]

27- روى العياشي في تفسيره عن بريد بن معاوية قال: كنت عند أبي جعفر (ع) فسألته عن قول الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنْكُمْ " قال فكان جوابه أن قال: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ": فلان وفلان، "وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ": الأئمة الضالة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلاً" . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً". أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ" يعني الإمامة والخلافة فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً . نحن الناس الذين عنى الله، والنقير النقطة التي في وسط النواة " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ" فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً. "فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً " يقول:

---

[578] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 216

[579] - الكليني، الكافي، ج1 ص 374 و(العبد الصالح) كناية عن الامام

فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد (ص)؟ " فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً". قال قلت: قوله في آل إبراهيم "آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً " ما الملك العظيم؟ قال: أن جعل منهم أئمةً من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم . قال ثم قال:" إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرا" قال: إيانا عنى أن يؤدي الأول منا إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح. "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ " الذي في أيديكم ، ثم قال للناس :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة:" أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ". إيانا عنى خاصة " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول (وأولي الأمر منكم)، هكذا نزلت ، أي قصد الله بها ، وكيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر ويرخص لهم في منازعتهم ، إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".[580]

## ب3 ف4 - المعجزات دليلا على الامامة الإلهية في غياب النص الجلي

[581]

كما لاحظنا في الفصول السابقة، فان نظرية الامامة الإلهية كانت تفتقر الى آيات صريحة من القرآن الكريم، أو أحاديث نبوية جلية ومتواترة، وانها قامت على دعاوى منسوبة الى الامام محمد الباقر في بداية القرن الثاني الهجري، ولذا

---

[580] - العياشي، التفسير، 246/1. والكليني، الكافي، ج1 ص 205 و 206

[581]_

كان لا بد أن تعتمد على قصص خيالية أسطورية (إعجازية) ودعاوى بعلم الأئمة بالغيب كطريق وحيد لإثبات الإمامة لهذا الامام أو ذاك. وقد روى هذه القصص رجال معروفون بالغلو والكذب، وبعضهم ملعونون على لسان أئمة أهل البيت، كالمفضل بن عمر، الذي كان ينتمي الى فرقة (الخطابية) التي كانت تؤله الأئمة، ثم انشق عنها ليؤسس فرقة (المفوضة) أو (المفضلية) وقال: بأن الله قد فوض للأئمة مهمة الخلق والرزق والحياة والموت. الا ان هذه القصص تسربت في الثقافة الشعبية الشيعية، وصدق الكثير من الشيعة نسبتها الى الأئمة، دون أن يبحثوا عن سندها أو عرضها على القرآن الكريم والتاريخ المؤكد.

**ولادة فاطمة الزهراء الغريبة**

ومن بين تلك القصص الخيالية، قصة ولادة فاطمة الزهراء الغريبة، التي رواها الطبري الصغير (في القرن الخامس الهجري) في كتابه (دلائل الامامة) ونشرها حديثا قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، في حوزة قم، في عام 1413هـ ، وهي كما يلي:

"حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ زُرْعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ع): كَيْفَ كَانَتْ وِلَادَةُ فَاطِمَةَ (ع)؟

قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ خَدِيجَةَ (رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا) لَمَّا تَزَوَّجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) هَجَرَتْهَا نِسْوَةُ مَكَّةَ، فَكُنَّ لَا يَدْخُلْنَ عَلَيْهَا، وَلَا يُسَلِّمْنَ عَلَيْهَا، وَلَا يَتْرُكْنَ امْرَأَةً تَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَاسْتَوْحَشَتْ خَدِيجَةُ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا حَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ (ع) وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَغْتَمُّ وَتَحْزَنُ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ تُحَدِّثُهَا مِنْ بَطْنِهَا، وَتُصَبِّرُهَا، وَكَانَ حُزْنُ خَدِيجَةَ وَحَذَرُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَدَخَلَ يَوْماً، فَسَمِعَ خَدِيجَةَ تُحَدِّثُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ لَهَا: يَا خَدِيجَةُ، مَنْ يُحَدِّثُكَ؟! قَالَتْ: الْجَنِينُ الَّذِي فِي بَطْنِي يُحَدِّثُنِي وَ يُؤْنِسُنِي.

فَقَالَ لَهَا: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جَبْرَئِيلُ يُبَشِّرُنِي بِأَنَّهَا أُنْثَى، وَأَنَّهَا النَّسَمَةُ الطَّاهِرَةُ الْمَيْمُونَةُ، وأَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) سَيَجْعَلُ نَسْلِي مِنْهَا، **وَسَيَجْعَلُ مِنْ نَسْلِهَا أَئِمَّةً فِي الْأُمَّةِ، وَيَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِهِ.**

فَلَمْ تَزَلْ خَدِيجَةُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَضَرَتْ وِلَادَتُهَا، فَوَجَّهَتْ إِلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَبَنِي هَاشِمٍ لِيَلِينَ مِنْهَا مَا تَلِي النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ. فَأَرْسَلْنَ إِلَيْهَا بِأَنَّكَ عَصَيْتِنَا، وَ لَمْ تَقْبَلِي

قَوْلَنَا، وَتَزَوَّجْتِ مُحَمَّداً، يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ، فَقِيراً لَا مَالَ لَهُ، فَلَسْنَا نَجِيئُكِ، وَلَا نَلِي مِنْ أَمْرِكِ شَيْئاً. فَاغْتَمَّتْ خَدِيجَةُ لِذَلِكَ.

فَبَيْنَا هِيَ فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا أَرْبَعُ نِسْوَةٍ طِوَالٍ كَأَنَّهُنَّ مِنْ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ، فَفَزِعَتْ مِنْهُنَّ، فَقَالَتْ لَهَا إِحْدَاهُنَّ: لَا تَحْزَنِي- يَا خَدِيجَةُ- فَإِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ إِلَيْكَ، وَنَحْنُ أَخَوَاتُكَ، أَنَا سَارَةُ، وَهَذِهِ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ وَ هِيَ رَفِيقَتُكِ فِي الْجَنَّةِ، وَ هَذِهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَ هَذِهِ صَفُورَاءُ بِنْتُ شُعَيْبٍ؛ بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْكِ لِنَلِيَ مِنْ أَمْرِكِ مَا تَلِي النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ.

فَجَلَسَتْ وَاحِدَةٌ عَنْ يَمِينِهَا، وَ الْأُخْرَى عَنْ يَسَارِهَا، وَالثَّالِثَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَالرَّابِعَةُ مِنْ خَلْفِهَا، فَوَضَعَتْ خَدِيجَةُ فَاطِمَةَ (ع) طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً، فَلَمَّا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ أَشْرَقَ مِنْهَا النُّورُ حَتَّى دَخَلَ بُيُوتَاتِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا غَرْبِهَا مَوْضِعٌ إِلَّا أَشْرَقَ فِيهِ ذَلِكَ النُّورُ.

فَتَنَاوَلَتْهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَ دَخَلَتْ عَشْرٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَعَهَا طَسْتٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَ إِبْرِيقٌ، وَ فِي الْإِبْرِيقِ مَاءٌ مِنَ الْكَوْثَرِ، فَتَنَاوَلَتْهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا فَغَسَلَتْهَا بِمَاءِ الْكَوْثَرِ، وَ أَخْرَجَتْ خِرْقَتَيْنِ بَيْضَاوَتَيْنِ، أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَ أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ وَ الْعَنْبَرِ، فَلَفَّتْهَا بِوَاحِدَةٍ، وَقَنَّعَتْهَا بِأُخْرَى.

ثُمَّ اسْتَنْطَقَتْهَا فَنَطَقَتْ فَاطِمَةُ (ع) بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ أَنَّ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ، وَ أَنَّ بَعْلِي سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، وَ أَنَّ وَلَدَيَّ سَيِّدَا الْأَسْبَاطِ. ثُمَّ سَلَّمَتْ عَلَيْهِنَّ، وَسَمَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِاسْمِهَا، وَ ضَحِكْنَ إِلَيْهَا.

وَ تَبَاشَرَتِ الْحُورُ الْعِينُ، وَ بَشَّرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِوِلَادَةِ فَاطِمَةَ (ع) وَ حَدَثَ فِي السَّمَاءِ نُورٌ زَاهِرٌ، لَمْ تَرَهُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الزَّهْرَاءُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا).

وَقَالَتْ: خُذِيهَا، يَا خَدِيجَةُ، طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً، زَكِيَّةً مَيْمُونَةً، بُورِكَ فِيهَا وَ فِي نَسْلِهَا.

فَتَنَاوَلَتْهَا خَدِيجَةُ فَرْحَةُ مُسْتَبْشِرَةً، فَأَلْقَمَتْهَا ثَدْيَهَا، فَشَرِبَتْ فَدَرَّ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ (ع) تَنْمُو فِي كُلِّ يَوْمٍ كَمَا يَنْمُو الصَّبِيُّ فِي شَهْرٍ، وَفِي شَهْرٍ كَمَا يَنْمُو الصَّبِيُّ فِي السَّنَةِ".[582]

[582]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة ص 77- 78

ولسنا بحاجة الى التعليق على هذه الأسطورة الواضحة التي لم تحدث للنبي الأكرم نفسه، أو تفنيدها، فهي أساسا مروية عن المفضل بن عمر، الغالي الملعون، عن الامام الصادق في القرن الثاني الهجري، دون سند، ولم يذكرها أي مصدر آخر لا قبل ولا بعد. ولكن من الواضح أن الهدف منها هو أسطرة شخصية السيدة فاطمة الزهراء من أجل دس هذه الفقرة التي تشير الى نظرية الامامة الإلهية، على لسان الرسول الأعظم (ص): "وَسَيَجْعَلُ مِنْ نَسْلِهَا أَئِمَّةً فِي الْأُمَّةِ، وَيَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِهِ".

وعن هؤلاء الأئمة، نقرأ حديثا منسوبا الى الامام الباقر، عن حالات لهم مشابهة لحالة أمهم الزهراء، فيقول: "انّ الإمام يسمع الكلام في بطن امّه، فاذا هي وضعته سطع له نور ساطع الى السّماء وسقط وفى عضده الأيمن مكتوب "وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" فاذا هو تكلّم رفع الله له عمودا و يشرف به على الأرض يعلم به أعمالهم". [583] "فاذا قام بالأمر رفع الله له في كل بلد منارا ينظر الى أعمال الخلائق". [584]

وقال إسحاق القمي أنه سأل أبا جعفر (ع) قائلا: جعلت فداك ما قدر الإمام؟ قال يسمع في بطن امّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الايمن مكتوبا "وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ثمّ يبعث أيضا له عمودا من نور تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلائق كلّها، ثمّ يتشعب له عمود آخر من عند الله الى أذن الامام كلّما احتاج الى مزيد افرغ فيه افراغا".[585]

ونقل الباقر عن رسول الله (ص) أنه كان يقول:" أريكم من خلفي كما اريكم من بين يدى". [586] و "انّا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى من بين أيدينا". [587] ثم قال أمام جماعة من الشيعة، بحسب رواية عبد

---

[583]- الصفار، بصائر الدرجات: 431 و432 و435 و436

[584]- الصفار، بصائر الدرجات: 436

[585]- الصفار، بصائر الدرجات: 442

[586]- الصفار،بصائر الدرجات: 419

[587]- الصفار،بصائر الدرجات: 420

الرحمن بن كثير: "قوموا تفرّقوا عنّى مثنى وثلث فإنّى أريكم من خلفي كما أريكم من بين يدىّ فليس عبد في نفسه ما شاء فانّ الله يعرفنيه". [588]

## فاطمة الزهراء محدثة

ويضيف محدث شيعي متأخر هو الطبري الصغير (ت 410) حديثا عن أبي عَبْدِ اللَّهِ (ع) يَقُولُ: سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ مُحَدَّثَةً لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتُنَادِيهَا كَمَا كَانَتْ تُنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَتَقُولُ: "يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا فَاطِمَةُ، اقْنُتِي لِرَبِّكِ. الْآيَةَ" وَتُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهَا. فَقَالَتْ لَهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ: أَ لَيْسَتِ الْمُفَضَّلَةُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكِ سَيِّدَةَ عَالَمِكِ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. [589]

## رد الشمس للامام علي

ومن القصص الشهيرة التي يقدمها الامامية دليلا على إمامة علي بن ابي طالب، قصة رد الشمس له، في أثناء العودة من حرب الخوارج، كما يرويها الصفار في (بصائر الدرجات) في (باب في الإمام عليه السلام ان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سأله به أجيب) حيث يقول... عن أبي بصير عن جويرية بن مسهر قال اقبلنا مع أمير المؤمنين (ع) من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر، قال فنزل أمير المؤمنين ونزل الناس، فقال أمير المؤمنين يا أيها الناس ان هذه الأرض ملعونة وقد عذبت من الدهر ثلاث مرات وهي إحدى المؤتفكات وهي أول أرض عبد فيها وثن انه لا يحل لنبي ولوصي نبي أن يصلي فيها، فأمر الناس فمالوا عن جنبي الطريق يصلون وركب بغلة رسول الله فمضى عليها، قال فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورا حتى غابت الشمس قال فسببته أو هممت ان أسبه، قال فقال: يا جويرية اذن، قال فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال فنزل ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسبه الا بالعبرانية ثم نادى بالصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلى العصر وصليت معه قال فلما فرغنا من صلاته

---

[588]- الصفار، بصائر الدرجات: 420

[589] - الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 80 - 81

عاد الليل كما كان فالتفت إلى فقال: يا جويرية بن مسهر ان الله يقول "فسبح باسم ربك العظيم" فاني سألت الله باسمه العظيم فرد عليّ الشمس .[590]

**تكلم الحجر الأسود**

وقد ذكرنا في فصل سابق أيضا، قصة تحاكم زين العابدين مع عمه محمد بن الحنفية، الى الحجر الأسود، والتي رواها الصفار، والكليني ، وابن بابويه، والطبري الصغير، والطبرسي، و ابن شهر آشوب، واعتمد عليها الامامية في تأسيس نظرية الامامة الإلهية وربط سلسلة الأئمة الحسينيين بالامام علي،

وروى الكليني عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (ع) فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ وَرَثَةُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ؟ قَالَ لِي: نَعَمْ. قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَا عَلِمُوا وَعَمِلُوا؟ قَالَ لِي: نَعَمْ. قُلْتُ: فَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تُحْيُوا الْمَوْتَى، وَ تُبْرِئُوا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِإِذْنِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَدَنَوْتُ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِي وَوَجْهِي فَأَبْصَرْتُ الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبُيُوتَ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الدَّارِ. قَالَ: فَقَالَ: تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى هَذَا وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ تَعُودَ كَمَا كُنْتَ وَ لَكَ الْجَنَّةُ خَالِصَةً؟ قُلْتُ: أَعُودُ كَمَا كُنْتُ. قَالَ: فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيَّ فَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ. [591]

وقام الطبري الصغير (في القرن الخامس الهجري) برواية مجموعة أخرى من الأساطير، لم يذكرها أحد من قبله (كالصفار والكليني وابن بابويه) مثل هذه الأسطورة:

عن مُرَّةُ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، قَالَ: قَالَ لِي: جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ: رَأَيْتُ مَوْلَايَ الْبَاقِرَ (ع) وقَدْ صَنَعَ فِيلًا مِنْ طِينٍ فَرَكِبَهُ وَطَارَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ عَلَيْهِ وَرَجَعَ، فَلَمْ أُصَدِّقْ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى رَأَيْتُ الْبَاقِرَ (ع) فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَنِي جَابِرٌ عَنْكَ بِكَذَا وَ كَذَا، فَصَنَعَ مِثْلَهُ وَرَكِبَ وَحَمَلَنِي مَعَهُ إِلَى مَكَّةَ وَ رَدَّنِي. [592]

---

[590]- الصفار، بصائر الدرجات: 273

[591]- الكليني، الكافي، ج1 ص 470

[592]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 220 و نوادر المعجزات: 135/ 4

وعن حَكِيمُ بْنُ أَسَدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ (ع) وَبِيَدِهِ عَصًا يَضْرِبُ بِهَا الصَّخْرَ فَيَنْبُعُ مِنْهُ الْمَاءُ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: نَبْعَةٌ مِنْ عَصَا مُوسَى (ع) الَّتِي يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا. [593]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) وَهُوَ يُرِيدُ الْحِيرَةَ، فَلَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى كَرْبَلَاءَ قَالَ لِي: يَا جَابِرُ، هَذِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ لَنَا وَلِشِيعَتِنَا، وَحُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ جَهَنَّمَ لِأَعْدَائِنَا. ثُمَّ إِنَّهُ قَضَى مَا أَرَادَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا جَابِرُ. فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ سَيِّدِي. قَالَ لِي: تَأْكُلْ شَيْئاً. قُلْتُ: نَعَمْ سَيِّدِي. قَالَ: فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْحِجَارَةِ، فَأَخْرَجَ لِي تُفَّاحَةً لَمْ أَشَمَّ قَطُّ رَائِحَةً مِثْلَهَا، لَا تُشْبِهُ رَائِحَةَ فَاكِهَةِ الدُّنْيَا، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَكَلْتُهَا، فَعَصَمَتْنِي مِنَ الطَّعَامِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، لَمْ آكُلْ وَلَمْ أُحْدِثْ. [594]

وعن مُهَلَّبُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ (ع): بِأَيِّ شَيْءٍ يَعْرِفُ الْعَبْدُ إِمَامَهُ؟ قَالَ: أَنْ يَفْعَلَ كَذَا. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَائِطٍ، فَإِذَا الْحَائِطُ ذَهَبَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أُسْطُوَانَةٍ فَأَوْرَقَتْ مِنْ سَاعَتِهَا، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ. [595]

ويروي الصفار في (بصائر الدرجات) في عدة أبواب قصصا (اعجازية) كثيرة عن اطاعة الشجر للأئمة ، وقدرتهم على إحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص بإذن الله).

منها احياء الامام الصادق طفلا ميتا، واحياء ابنه موسى بقرة ميتة في منى، كما يقول: حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن علي بن المغيرة قال مر العبد الصالح (ع) بامرأة بمنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون وقد ماتت بقرة لها فدنا منها ثم قال لها ما يبكيك يا أمة الله قالت يا عبد الله ان لي صبيانا أيتاما فكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها فقد ماتت وبقيت منقطعة بي وبولدي ولا حيلة لنا، فقال لها: يا أمة هل لك ان أحييها لك؟ قالت فالهمت ان قالت نعم يا عبد الله، قال فتنحى ناحية فصلى ركعتين ثم رفع يديه وحرك شفتيه ثم قام فمر بالبقرة فنخسها نخسا أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة

---

[593]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 220 و نوادر المعجزات: 135/ 4

[594]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 221 و نوادر المعجزات: 135/ 6

[595]- الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ص 251 و نوادر المعجزات: 140/ 9

فلما نظرت المرأة إلى البقرة قد قامت صاحت: عيسى بن مريم ورب الكعبة . قال فخالط الناس وصار بينهم ومضى بينهم.[596]

ويقول الصفار: إن الأئمة (ع) يتكلمون الألسن كلها الفارسية والرومية والسقلبية، وغيرها، وانهم يعرفون منطق الطير. ويحلون الخلافات العائلية بين العصافير. وكذلك يعرفون منطق البهائم ويعرفونهم ويجيبونهم إذا دعوهم. وأيضا يعرفون منطق المسوخ، وان الأئمة قد أعطوا خزائن الأرض، ويستخرجون سبائك الذهب منها بضربة من أرجلهم. وانهم يسيرون في الأرض متى شاؤوا بقدرة الله التي أعطاهم الله. وانهم يرون ما بين المشرق والمغرب بالنور .

واذا كان الامامية يقدمون (رد الشمس) كأكبر دليل على الإمامة، بلا أي منطق علمي، أو دليل تاريخي، فلسنا بحاجة لمناقشة القصص (الاعجازية) الوهمية الأخرى، أو مطالبتهم بالأدلة على حدوثها، فان منطق نظرية الامامة الإلهية لا يقوم الا عليها.

**ب4 الامامة الكونية**

**ف1 تفضيل الأئمة على الملائكة والأنبياء والرسل**

استعرضنا في فصل سابق دور الامام محمد الباقر في مواجهة ظاهرة الغلو السبئية التي انتشرت في القرن الأول، وقالت بألوهية الامام علي، تلك الظاهرة التي تسللت في الحركة الكيسانية وشعبها المختلفة التي كانت تغالي في الامام الحسين وأخيه محمد بن الحنفية، وابنه أبي هاشم .[597] كالفرقة **"الحربية"** و"البربرية" و"البيانية" و"المنصورية" ومحاولة هؤلاء الاندساس في شيعة الامام الباقر في حياته وبعد وفاته، ولكن الامام الباقر نجح في اسقاط دعاويهم بألوهية الامام علي وأبنائه، الا أن بعض دعاويهم الأخرى كنسبة النبوة الى الأئمة، أو تفضيلهم على جميع الأنبياء والرسل ما عدا النبي محمد (ص) أو القول بالتفويض والولاية التكوينية، وجدت طريقها الى الثقافة الشيعية الإخبارية، كقول "المغيرة بن سعيد البجلي" الذي كان يقول بأفضلية الإمام علي على الأنبياء، ومساواته بالنبي محمد (ص) بالرغم من تحذير الامام الباقر الشيعة منه ، وقوله: إن مثل المغيرة مثل

---

596- الصفار، بصائر الدرجات، ص 292

597- الكشي والطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص 51 و النوبختي، فرق الشيعة، والأشعري، المقالات والفرق، ص 20 - 21

بلعم بن باعورا، الذي قال الله عز وجل: "الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان وكان من الغاوين".[598]

وقد رأينا في الباب الماضي أن تبني الامام الباقر لنظرية (المحدث) ساهمت أيضا في نشوء القول لدى بعض الشيعة بأن (الأئمة أنبياء) بالرغم من رفض الامام الباقر لهذه النتيجة المترتبة على تلك النظرية.

**طبيعة خلق الأئمة الخاصة**

بيد أن الأمر لم يتوقف عند القول بأن "الأئمة أنبياء" وانما تجاوز ذلك الى القول بأفضلية الأئمة على جميع الأنبياء والمرسلين، وحتى الملائكة المقربين، وولاء هؤلاء لهم، وذلك بأحاديث منسوبة الى الامام الباقر، نشرها جابر بن يزيد الجعفي، تتحدث عن خلق الأئمة بصورة خاصة استثنائية، تختلف عن خلق البشر، مثل هذا الحديث الذي يرويه الكليني في (الكافي):

1 - عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر (ع) قال :قال يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّدا (ص) وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله و نقدسه و نحمده و نعبده حقّ عبادته، ثمّ بدا لله أن يخلق المكان فخلقه و كتب على المكان "لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علىّ أمير المؤمنين ووصيّه، به أيّدته و نصرته" ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك. ثمّ خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار، فكتب عليهما مثل ذلك، ثمّ خلق الملائكة فأسكنهم السماء ثمّ خلق الهواء فكتب عليه مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّ فأسكنهم الهواء ثمّ خلق الأرض فكتب على أطرافها مثل ذلك فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد وثبتت الأرض ثمّ خلق الله آدم من أديم الأرض ثمّ ساق الحديث الطويل إلى قوله - فنحن أوّل خلق الله وأوّل خلق عبد الله وسبّحه ونحن سبب الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين.". [599]

2 - عن زرارة عن حمران، عن أبى جعفر (ع) قال: "إنّ الله تبارك و تعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا و ماء مالحا أجاجا، فامتزج الماءان فاخذ طينا من أديم الأرض فعركه عركا شديدا فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذرّ يدبّون إلى

---

[598]- الكشي، اختيار معرفة الرجال : 227 ، الحديث 406 ، والآية من الأعراف : 175

[599]- الكليني، الكافى: 1/ 169

الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال يدبّون الى النار ولا ابالى، ثمّ "قال أ لست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انّا كنّا عن هذا غافلين"، قال ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين فقال ألست بربّكم ثمّ قال: وانّ هذا محمّد رسول الله وانّ هذا عليّ أمير المؤمنين. قالوا بلى فثبتت لهم النبوّة وأخذ الميثاق على أولي العزم ألا إنّي ربكم ومحمّد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنّ المهدى انتصر به لديني وأظهر به دولتي وانتقم به من أعدائي وأعبد به طوعا وكرها، قالوا: أقررنا وشهدنا يا ربّ. ولم يجحد آدم ولم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة فى المهدي، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار وهو قوله عزّ وجلّ: "وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً" قال إنمّا يعني فترك، ثمّ أمر نارا فأجّجت فقال لأصحاب الشّمال ادخلوها فهابوها وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردا وسلاما، فقال أصحاب الشّمال: يا ربّ أقلنا، فقال: قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فثمَّ ثبتت الطّاعة والمعصية والولاية".[600]

3- عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر (ع) قال: قال :إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا. فقيل له: يا ابن رسول الله عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نورا؟ فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم، ثمّ عدّهم بأسمائهم.

ثمّ قال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله (ص) نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا، ونحن شجرة النبوة ومنبت الرّحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرّسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه فى عباده، وحرم الله الأكبر وعهده المسئول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا.

نحن الأسماء الحسنى الّتي **لا يقبل الله من العباد عملا إلّا بمعرفتنا**، ونحن والله الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، إنّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا و جعلنا عينه على عباده و لسانه النّاطق فى خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرّحمة ووجهه الّذي يؤتى منه وبابه الّذي يدلّ عليه، وخزّان علمه وتراجمة وحيه وأعلام دينه، والعروة الوثقى والدّليل الواضح لمن اهتدى، **وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثّمار وجرت الأنهار ونزل الغيث من السّماء ونبت عشب الأرض**، و بعبادتنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله، وأيم الله

[600]- الصفار، بصائر الدرجات: 70

لو لا وصيّة سبقت وعهد اخذ علينا لقلت: قولا يعجب منه، أو يذهل منه الأوّلون و الآخرون". [601]

4- حدثنا أحمد بن محمد عن الحسين بن محبوب قال حدثني شيخ من أهل المداين يسمى بشر ابن أبي عقبه عن أبي جعفر وأبى عبد الله (ع) قال إن الله خلق محمدا من طينة من جوهرة تحت العرش وانه كان لطينة نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله (ص) وكان لطينة أمير المؤمنين (ع) نضح فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين (ع) وكانت لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد ونحن خير لهم وهم خير لنا ورسول الله (ص) لنا خير ونحن له خير .[602]

5- حدثنا محمد بن عيسى عن أبي الحاج قال قال لي أبو جعفر (ع): يا أبا الحجاج ان الله خلق محمدا وآل محمد من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك وخلق شيعتنا من طينة دون عليين وخلق قلوبهم من طينة عليين فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد وان الله خلق عدو آل محمد من طين سجين وخلق قلوبهم من طين أخبث من ذلك وخلق شيعتهم من طين دون طين سجين وخلق قلوبهم من طين سجين فقلوبهم من أبدان أولئك وكل قلب يحن إلى بدنه .[603]

وفي الوقت الذي نحتمل جدا وضع هذه الأحاديث على لسان الامام الباقر، ولا سيما حديث المجلسي، الذي يدور حول (الاثني عشرية) التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، فان جو الغلو الذي كان يخيم على الشيعة في القرن الثاني الهجري أنتج أحاديث أخرى صبت في تفضيل الأئمة على الأنبياء والمرسلين، ومنها ما يلي:

- عن أبى بصير قال دخلت على أبي عبد الله (ع) وأبى جعفر (ع) وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله (ص)؟ قال: نعم ، قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّما علموا؟ فقال لي: نعم. (فقلت): أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم بإذن الله، ثم قال: ادن منّى يا أبا محمّد، فمسح يده على عيني و وجهي وأبصرت الشمس والسّماء والارض

---

601 - المجلسي، بحار الانوار: 25/ 4

602- الصفار، بصائر الدرجات: 70

603- الصفار، بصائر الدرجات: 70

والبيوت وكل شيء في الدار. قال: أ تحبّ ان تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيمة أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصا؟ قلت: أعود كما كنت، قال فمسح على عينيي فعدت كما كنت، قال علي فحدّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد انّ هذا حقّ كما انّ النّهار حقّ".[604]

- عن عبد الله بن وليد السّمان، قال: قال لي أبو جعفر (ع): يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ (ع) وموسى وعيسى؟ قال قلت: جعلت فداك، ومن أيّ حالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء. قال قلت: جعلت فداك، فما عسى أقول فيهم؟ فقال: هو والله أعلم منهما. ثمّ قال: يا عبد الله **أليس يقولون إنّ لعلي (ع) ما للرسول من العلم؟** قال قلت: بلى. قال: فخاصمهم فيه، إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى "و كتبنا له في الألواح من كل شيء" فأعلمنا انّه لم يبيّن له الأمر كلّه وقال الله تبارك وتعالى لمحمّد (ص): "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء".[605]

ونحن أمام هذه الأحاديث، بالخيار: اما تكذيب هؤلاء الرواة، والمناقشة في سند هذه الروايات، واما تصديقهم والتسليم بصدور تلك الأحاديث عن الامام الباقر، وفي هذه الحالة نقف أمام دعوى بتفوق الأئمة على الأنبياء والمرسلين (ما عدا النبي محمد) ابتداء من خلقهم قبل الأكوان، وأخذ العهد من الأنبياء بالولاء لهم، وانتهاء بعلمهم بأخبار السماء والأرض، واقترافهم للمعجزات التي لم يقدر عليها الا بعض الأنبياء في بعض الحالات.

واذا ما عرضنا هذه الأحاديث على القرآن الكريم، فانا لا نجد ما يؤيدها، ولا ما يؤيد أساس نظرية الامامة الإلهية، بل انه يرفضها تماما. ولكن المشكلة أنها دخلت في العقل الشيعي ولا تزال تصوغ الثقافة الامامية العامة، وهذا (مركز الأبحاث العقائدية، التابع لمكتب السيستاني) يجب سائلا بتاريخ 7 شعبان 1423 عما جاء في كتاب (روضة الواعظين للفتال النيسابوري المتوفى 508) من أن

---

604- الصفار، بصائر الدرجات: 269 .

605 - الصفار، بصائر الدرجات: 228. ملاحظة: المقطع الأول هو جزء من آية 41 من النساء "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا". وأما المقطع الثاني فهو جزء من آية 89 من سورة النحل: "ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين".

الامام علي قرأ التوراة والانجيل والقرآن عند ولادته، أمام رسول الله (ص) قبل أن يبعث بعشرة أعوام؟ فكان جواب المركز ما يلي:

"لقد روى أهل السنة كما روى الشيعة ان النبي محمد (ص) وعلياً (ع) كانا نوراً واحداً قبل ان يخلق الله آدم بأربعة الآف عام... هذا، وإذا قرأت القرآن الكريم وجدت ان القرآن الكريم كان في لوح محفوظ قبل نزوله (البروج : 21-22) وأنه " فِي كِتَابٍ مَّكنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ " (الواقعة:77-78).. والمطهرون هم أهل بيت العصمة (ع) بحسب آية التطهير (الأحزاب: 33).. وقد اطلعت على وجودهم النوراني قبل ولادتهم وخلقهم، فلا جَرَم بعد هذا ان يكونوا جميعاً - أي المعصومين - ممن علم بالقرآن قبل نزوله، وقد روى أهل السنة في حديث صحيح عندما سئل النبي (ص): متى كنت نبياً ؟ فقال (ص): " كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد ". انظر مسند أحمد 4: 66 والمستدرك على الصحيحين 2: 609.". [606]

## انّهم (ع) أول ما خلق الله

روى الكليني باسناده الى جابر الجعفى، عن أبى جعفر (ع) قال قال يا جابر: كان الله و لا شيء غيره و لا معلوم و لا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّدا (ص) وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لأسماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله و نقدسه و نحمده ونعبد حقّ عبادته ثمّ بدا لله أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان "لا إله إلّا الله محمّد رسول الله علىّ أمير المؤمنين و وصيّه، به أيّدته و نصرته" ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك.

ثمّ خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار، فكتب عليهما مثل ذلك، ثمّ خلق الملائكة فأسكنهم السماء ثمّ خلق الهواء فكتب عليه مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّ فأسكنهم الهواء ثمّ خلق الأرض فكتب على أطرافها مثل ذلك فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد وثبتت الأرض ثمّ خلق الله آدم من أديم

[606]- موقع السيستاني، مركز الأبحاث العقائدية، بتاريخ 7 شعبان 1423

الأرض ثمّ ساق الحديث الطويل إلى قوله- فنحن أوّل خلق الله وأوّل خلق عبد الله و سبّحه ونحن سبب الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين". [607]

وفي رواية أخرى قال جابر: قال لي أبو جعفر (ع) : "يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً (ص) وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس ، فبه كان يعبد الله وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء ، علماء ، بررة ، أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون".[608]

## ف2- شيعة الأئمة من الملائكة المقربين

استعرضنا في الأبواب السابقة كلا من نظرية الامامة العلمية الفقهية والسياسية، ونظرية الامامة الدينية، وكذلك الامامة النبوية، واستعرضنا في هذا الباب (الامامة الكونية) في الفصل السابق: موضوع تفضيل الأئمة على الأنبياء والمرسلين (ما عدا النبي محمد) وسوف نستعرض في هذا الفصل: دعوى ولاء الملائكة المقربين للأئمة. وبالطبع فان جميع هذه الدعاوى تأتي في اطار أساطير الغلاة الذين قالوا في البداية بأن الأئمة آلهة، كالسبئية والخطابية، ثم تنزل بعضهم كالمفضلية (أتباع المفضل بن عمر) الذي قالوا بالتفويض، ورووا عن الامام الصادق قوله لهم: "نزلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم". وبناء على ذلك اطلقوا لخيالهم العنان لكي يقولوا ما يشاءون من أجل تعظيم (الأئمة) ونسبة تلك الأقوال اليهم.

فقد روى الصفار، في ( باب ما خص الله به الأئمة من آل محمد ص عليهم أجمعين وولاية الملائكة) ما يلي:

1- عن جابر عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما" قال: عهد إليه في محمد والأئمة من بعده فترك

---

[607]- الكليني، الكافى: 1/ 169

[608]- الكليني، الكافي:442/1

ولم يكن له عزم فيهم انهم هكذا، وإنما سمى أولوا العزم (أولوا العزم) لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدى وسيرته، فأجمع عزمهم ان ذلك كذلك والاقرار به".[609]

2- عن جابر قال قال أبو جعفر (ع): "ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قط الا بها".[610]

**3-** عن مسمع كردين قال ابو عبد الله (ع): "إنا قوم تصافحهم الملائكة على فرشهم، قال قلت: ويظهرون لكم؟ قال: هم ألطف بصبياننا منا". [611]

## ف3- شيعة الأئمة من الجن

سنستعرض في هذا الفصل الأحاديث التي ينسبها الغلاة الى الامام الباقر (وابنه جعفر الصادق) حول ولاء الجن لهم وطاعتهم لهم، كدليل إضافي على "صدق" و"عظمة" الامامة.

1- ونبدأ بحديث يرويه الصفار عن عمرو بن يزيد بياع السابري قال قال أبو عبد الله (ع): بينا رسول الله (ص) ذات يوم جالس إذ اتاه رجل طويل كأنه نخلة فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم عرف نفسه بأنه (الهام بن هيم بن لاقيس بن إبليس). وانه قد تاب على يدي النبي نوح وركب معه في السفينة، فسأله النبي عن حاجته، فقال: حاجتي ان يبقيك الله لأمتك ويصلحهم لك **ويرزقهم الاستقامة لوصيك من بعدك فان الأمم السالفة إنما هلكت بعصيان الأوصياء**، وحاجتي يا رسول الله ان تعلمني سورا من القرآن اصلى بها.

فقال (النبي) لعلي: يا علي علم الهام وارفق به. قال: فعلمه علي سورا من القرآن، فقال هام: يا علي يا وصي محمد (ص) اكتفى بما علمتني من القرآن؟

---

[609]-الصفار، بصائر الدرجات، ص 90

[610] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 95

[611]- الصفار، بصائر الدرجات ، ص 110

قال: نعم يا هام قليل من القرآن كثير. ثم قام هام إلى النبي (ص) فودعه فلم يعد إلى النبي حتى قبض. [612]

2- عن جابر عن **أبي جعفر** (ع) قال: بينا أمير المؤمنين (ع) على المنبر إذ اقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد فهم الناس ان يقتلوه فأرسل أمير المؤمنين (ع) إليهم: أن كفوا. فكفوا، واقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول وسلم على أمير المؤمنين (ع)، فأشار أمير المؤمنين بيده فنظر الناس والثعبان في أصل المنبر حتى فرغ علي أمير المؤمنين (ع) من خطبته،
ثم اقبل عليه فقال له: من أنت؟
قال: انا عمرو بن عثمان خليفتك على الجن وإن أبى مات وأوصاني أن آتيك فاستطلع رأيك فقد اتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى؟
فقال له أمير المؤمنين (ع): أوصيك بتقوى الله وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن فإنك خليفتي عليهم.
قال (جابر) فودع أمير المؤمنين وانصرف فهو خليفته على الجن.
فقلت له (للصادق): جعلت فداك فيأتيك عمرو وذلك الواجب عليه؟
قال: نعم .[613]

ويحشد الصفار في كتابه عدة روايات حول تسخير الأئمة للجن في قضاء حوائجهم، فيقول في: (باب ان الجنّ يأتيهم عليهم السلام) ما يلي:

3- عن سدير الصّيرفى قال أوصانى أبو جعفر (ع) بحوائج له بالمدينة، قال فبينا أنا فى فجّ الروحاء على راحلتى اذا انسان يلوى بثوبه، قال فملت إليه وظننت أنّه عطشان فناولته الإداوة، قال فقال: لا حاجة لي بها، ثمّ ناولنى كتابا طينه رطب. قال فلمّا نظرت إلى ختمه اذا هو خاتم أبى جعفر، فقلت له: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: السّاعة. قال فاذا فيه أشياء يأمرنى بها، ثم قال: التفتّ فاذا ليس عندى أحد. قال فقدم أبو جعفر (ع) فلقيته فقلت له: جعلت فداك، رجل أتانى بكتاب وطينه رطب! قال: اذا عجّل لنا أمر أرسلت

---

[612] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 118 - 119

[613] – الصفار، بصائر الدرجات 97

بعضهم، يعنى الجنّ. يا سدير انّ لنا خدما من الجنّ فاذا أردنا السّرعة بعثناهم. [614]

كما يخصص الصفار في كتابه بابا (في الأئمة (ع) وان الجن يأتيهم فيسئلونهم عن معالم دينهم، ويرسلونهم في حوائجهم ويعرفونهم) .[615]

ولسنا في الحقيقة بحاجة لمناقشة هذه الروايات التي كان الغلاة يتداولونها عن علم الأئمة بالغيب، وقدرتهم على تسخير الجن، كدليل على ارتباطهم بالسماء، لأنها مخالفة لصريح القرآن الكريم الذي ينفي إمكانية رؤية الانسان للشياطين أو الجن، ويقول: "يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون". (الأعراف 27)

ولا نعرف بالضبط هل ان تلك الروايات من تأليف الغلاة؟ أم صادرة فعلا عن الامامين الباقر والصادق؟

## ف4- التفويض في التكوين (الولاية التكوينية)

[614] – الصفار، بصائر الدرجات 96

[615] – الصفار، بصائر الدرجات، ص 115

فتحت دعوى (التفويض في التشريع) شهية بعض الغلاة ليزعموا بأن الله تعالى قد فوض الى الأئمة الخلق والحياة والموت والرزق، وكان على رأس هؤلاء الغلاة المفضل بن عمر الجعفي (توفي سنة 179هـ )[616] الذي كان عضوا في فرقة (الخطابية) ولكن المفضل قام بالتنزل درجة عن الألوهية فقال بالتفويض. أي تفويض الله للإمام الصادق، والأئمة من أهل البيت بالخلق والرزق والحياة والموت والحساب يوم القيامة، وأسس فرقة عرفت باسم "المفوضة" أو "المفضلية".[617]

ويقول زرارة أنه أخبر الصادق: إن رجلا من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال: وما التفويض؟ قال: "إن الله تبارك وتعالى خلق محمدا وعليا صلوات الله عليهما ففوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا" فقال الصادق: كذب عدو الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: " أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار ". فانصرفت إلى الرجل فأخبرته فكأني ألقمته حجرا، أو قال: فكأنما خرس .

وقد نسب هؤلاء مقولتهم المنحرفة إلى الإمام الصادق، وروى أحدهم وهو مالك الجهني قال: كنا بالمدينة حين أجليت الشيعة وصاروا فرقا فتنحينا عن المدينة ناحية ثم خلونا فجعلنا نذكر فضائلهم وما قالت الشيعة إلى أن خطر ببالنا الربوبية ، فما شعرنا بشيء إذا نحن بأبي عبدالله واقف على حمار فلم ندرِ من أين جاء . فقال : يا مالك ويا خالد ! متى أحدثتما الكلام في الربوبية ؟ فقلنا: ما خطر ببالنا إلا الساعة ، فقال : اعلما أن لنا ربا يكلأنا بالليل والنهار نعبده ، يا مالك و يا خالد قولوا فينا ما شئتم ، واجعلونا مخلوقين ، فكررها علينا مرارا وهو واقف على حماره .[618]

وروى شخص آخر من هذه الجماعة واسمه كامل التمار قال : كنت عند أبي عبدالله ذات يوم فقال لي :" يا كامل اجعل لنا ربا نؤب إليه ؟ وقولوا فينا : ما شئتم".[619]

---

[616] - قال عنه **النجاشي**:" مفضل بن عمر أبو عبد الله ، قيل أبو محمد الجعفي : كوفي ، فاسد المذهب ، مضطرب الرواية ، لا يعبأ به . وقيل : إنه كان خطابيا ، وقد ذُكِرَت له مصنفات لا يعول عليها ، وإنما ذكرنا [ه ] للشرط الذي قدمناه . وقال عنه **ابن الغضائري** : " ضعيف ، متهافت ، مرتفع القول ، خطابي. وقد زيد عليه شيء كثير ، وحَمَل الغلاة في حديثه حَمْلا عظيما ، ولا يجوز أن يكتب حديثه ، وروى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ". وقد نقل كلام ابن الغضائري فيه ابن داود في رجاله والعلامة في الخلاصة آخذين بقوله .

[617] - رجال الكشى : 145

[618] - كشف الغمة : 237 : من كتاب الدلائل للحميري

[619] - آمالي الصدوق : 130

وخلف المفضلَ محمد بن سنان الزاهري الهمداني (ت 220 هـ) وقد روى هذا عن أبي جعفر الثاني (محمد الجواد) أنه قال: "إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفردا بوحدانيته ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجر ى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم (وفي رواية أخرى: وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق ، لانهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوابه وحجابه ) فهم يحلون ما يشاؤن ويحرمون ما يشاؤن ولن يشاؤا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى . ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد" .[620]

وقد أسس هؤلاء الغلاة "المفوضة" الذين ادعوا أن الإمام الصادق سمح لهم بالتقول عليه ما يشاءون، لنوع خطير من الغلو بالأئمة يسبغ عليهم صفات الله وأعماله، ويرفعهم فوق البشر. وقد اختلف "المفوضة" عمن سواهم من الغلاة الذين كانوا يؤلهون الأئمة، باعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم ودعواهم أن الله تعالى تفرد بخلقهم خاصة ، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال.

وقد تصدى الإمام الصادق لهم، واحتج عليهم بالقرآن الكريم الذي يقول بصراحة: "الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون". واعتبر الصادق "المفوضة" مشركين، ولعنهم أشد اللعن. وعندما دخل حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبدالله فقالا له : جعلنا فداك إن المفضل بن عمر يقول : إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال :" والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إلي الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم ، فعندها طابت نفسي ، لعنه الله وبرئ منه، قالا : أفنلعنه ونتبرأ منه ؟ قال: نعم ، فلعناه وبرئنا منه، برئ الله ورسوله منه".[621]

## ف 5 - الأئمة يحاسبون الخلق يوم القيامة، ويدخلون شيعتهم الجنة وأعداءهم في النار

بعد تطور نظرية الامامة من امامة فقهية وامامة سياسية (تنفيذية للشريعة الإسلامية) الى امامة دينية ونبوية تشكل امتدادا لنبوة النبي محمد (ص) ادعى غلاة

---

620 - الصفار، بصائر الدرجات : 112

621 - الكشي ، في ترجمة عامر بن جذاعة والمفضل بن عمر.

الامامية بأن (الأئمة) يحتلون مكانة دينية خاصة وعالية عند الله، تشبه مكانة الأنبياء والملائكة، أو أعلى منهم، بحيث يمتلكون القدرة على الشفاعة يوم القيامة، وإنقاذ العاصين من النار، وتطور دور (الأئمة) من مهمة التعليم والإرشاد والتنفيذ، الى دور أبعد وأوسع من فترة الحياة الدنيا، ليشمل الحساب في القبر ويوم القيامة، وهذا ما كان يتطلب (الولاء) للأئمة في حياتهم وبعد مماتهم، وذلك بالإحسان لهم، ونصرتهم، وزيارة قبورهم والتوسل بهم، وطلب الشفاعة منهم.

يروي الكليني في (الكافي): أن شيخا وقف على باب دار الامام محمد الباقر، وسلم عليه، وقال: والله إني لأحبكم وأحب من يحبكم، ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا. والله إني لأبغض عدوكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه. والله إني لأحل حلالكم وأحرم حرامكم وأنتظر أمركم فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال الباقر: " إن تَمُتْ ترِدْ على رسول الله (ص) وعلى علي والحسن و الحسين وعلي بن الحسين ويثلج قلبك ويبرد فؤادك وتقر عينك وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين ولو قد بلغت نفسك ههنا - وأهوى بيده إلى حلقه - وإن تعش ترى ما يقر الله به عينك وتكون معنا في السنام الأعلى". ثم أقبل بوجهه على القوم فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.[622]

ولم يقتصر الأمر على ادعاء قيام "الأئمة" بالشفاعة للموالين الصالحين، وإنما الشفاعة خصوصا للعاصين والمذنبين، فقد روى زياد الأسود بأنه كان يقترف الذنوب، حتى خاف على نفسه من الهلاك، حتى ذهب لأبي جعفر، وقال له: إني ألـمُّ بالذنوب حتى إذا ظننت أني قد هلكت ذكرت حبكم فرجوت النجاة وتجلى عني، فقال أبو جعفر: وهل الدين إلا الحب؟ قال الله تعالى: "حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم" وقال: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" وقال: " يحبون من هاجر إليهم" إن رجلا أتى النبي (ص) فقال يا رسول الله أحب المصلين ولا أصلي، وأحب الصوامين ولا أصوم؟ فقال له رسول الله (ص): أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت. وأضاف أبو جعفر: ما تبغون وما تريدون؟ أما إنها لو كان فزعة من السماء فزع كل قوم إلى مأمنهم وفزعنا إلى نبينا وفزعتم إلينا.[623]

## حضور "الأئمة" عند احتضار الشيعي

---

[622] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ج 8 ص 76 -77 ح رقم 30

[623] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 35

ولم يقتصر دور الأئمة على الشفاعة للشيعة يوم القيامة، وانما يتمثل بالحضور عند احتضار الإنسان الشيعي، وإسعافه في أول محطة من محطات الآخرة.[624] كما يقول عقبه: أن أبا عبد الله أقسم أن الميت يرى رسول الله (ص) وعليا، وإنه قال له:

يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الأمر الذي أنتم عليه (أي التشيع) وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثم أهوى بيده إلى الوريد ثم اتكأ ... فقلت: يا ابن رسول الله فإذا بلغت نفسه هذه أي شئ يرى؟ فقلت له بضع عشرة مرة: أي شئ؟ فقال في كلها: يرى. ولا يزيد عليها، ثم جلس في آخرها فقال: يا عقبة! فقلت: لبيك وسعديك، فقال: أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت: نعم يا ابن رسول الله إنما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك، كيف لي بك يا ابن رسول الله كل ساعة، وبكيت فرق لي؟ فقال: يراهما والله، فقلت: بأبي وأمي من هما؟ قال: ذلك رسول الله (ص) وعلي (ع) يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبدا حتى تراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه إذا نظر إليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئا؟ قال: نعم يدخلان جميعا على المؤمن فيجلس رسول الله (ص) عند رأسه وعلي (ع) عند رجليه فيكب عليه رسول الله (ص) فيقول: يا ولي الله أبشر أنا رسول الله إني خير لك مما تركت من الدنيا ثم ينهض رسول الله (ص) فيقوم علي (ع) حتى يكب عليه، فيقول: يا ولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه أما لأنفعنك. ثم قال: إن هذا في كتاب الله عز وجل، قلت: أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟ قال: في (يونس) قول الله عز وجل ههنا: " الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم".[625]

واستنادا لأحاديث تؤكد على عودة الميت إلى الحياة في قبره، توصي أحاديث أخرى، على تلقين الميت عند دفنه بمبادئ الدين والولاية. كما في رواية عن أبي عبد الله يقول فيها: إذا أردت أن تدفن الميت ... تدني فمك إلى سمعه وتقول: "اسمع افهم - ثلاث مرات - الله ربك ومحمد نبيك والإسلام دينك - وفلان - إمامك اسمع وافهم " وأعدها عليه ثلاث مرات هذا التلقين.[626] وفي رواية أخرى عن زرارة، قال: إذا وضعت الميت في لحده قرأت آية الكرسي واضرب يدك

---

624 - الكليني، الكافي، ح رقم 4323 - 2

625 - الكليني، الكافي، ج 3 ص 128 ح رقم 4324 - 1

626 - الكليني، الكافي، ح رقم - **5**

على منكبه الأيمن ثم قل: " يا فلان قل: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد (ص) نبيا وبعلي إماما " وسم إمام زمانه.[627]

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر: أصلحك الله من المسؤولون في قبورهم..وعمَّ يُسألون؟ قال: عن الحجة القائمة بين أظهركم، فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان ابن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقال: نم أنام الله عينك. ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة ويقال للكافر: ما تقول في فلان ابن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به وما أدري ما هو، فيقال له: لا دريت. قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرها إلى يوم القيامة.[628]

وقال أبو عبد الله: يُسأل الميت في قبره عن خمس، عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعليَّ تمامه.[629]

وبغض النظر عن صحة نسبة هذه الروايات للأئمة، فإنها تحبك خيوطا من الولاء للأئمة في حياتهم وبعد مماتهم، وفي حياة الانسان الشيعي وبعد وفاته.

## يوم المحشر.. مملكة الأئمة الخاصة

ونصل أخيرا الى يوم المحشر، الذي تصوره بعض الأدعية والزيارات والأحاديث، بأنه مملكة الأئمة الخاصة، فهم الذين يتولون محاسبة الناس يوم القيامة، كما في (الزيارة الجامعة) المروية عن الامام علي الهادي، والتي يخاطب فيها الشيعة عامة الأئمة لدى زيارة قبورهم: إن "اِيابُ الْخَلْقِ اِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ". وذلك خلافا لقول الله تعالى في سورة الغاشية:"إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ". (25 - 26)

وقد روى الصفار في (بصائر الدرجات) عدة أحاديث في هذا الشأن، في ( باب في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار):

وروى في ( باب في أمير المؤمنين ع انه قسيم الجنة والنار) ما يلي:

---

627- الكليني، الكافي، ح رقم 4571 – 7 والمفروض أن الأئمة يتسلسلون الى يوم القيامة.

628 - الكليني، الكافي، ح رقم 4720 - 8

629 - الكليني، الكافي، ح رقم 4727 - 15

عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال علي (ع): "انا قسيم الجنة والنار ادخل أوليائي الجنة وادخل أعدائي النار".[630]

عن أبي الصامت الحلواني عن أبي جعفر (ع) قال قال أمير المؤمنين (ع): "انا قسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلهما داخل الا على قسمين وانا الفاروق الأكبر".[631]

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال: يا أبا حمزة لا تضعوا عليا (ع) دون ما وضعه الله ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله، كفى لعلي ان يقاتل أهل الكرة وأن يزوج أهل الجنة".[632]

عن الهلقام عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: "وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم" قال: "نحن أولئك الرجال، الأئمة منا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح".[633]

وعن سعد الإسكاف قال قلت لأبي جعفر (ع) قوله عز وجل: "وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم"؟ فقال: يا سعد انها أعراف لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه، وأعراف لا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه، وأعراف لا يعرف الله الا بسبيل معرفتهم، فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة ومن ذهب مذهب الناس! ذهب الناس إلى عين كدرة يفرغ بعضها في بعض ومن أتى آل محمد أتى عينا صافية تجرى بعلم الله ليس لها نفاد ولا انقطاع، ذلك وان الله لو شاء لا ريهم شخصه حتى يأتوه من بابه لكن جعل الله محمدا وآل محمد الأبواب التي تؤتى منه، وذلك قوله: "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها".[634]

وعن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل "وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم" قال: "الأئمة منا أهل البيت في باب من ياقوت أحمر

---

630 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 435

631 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 435 وكذلك عن المفضل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله (ع) مثله.

632 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 435

633 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 515 وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع): قال: "هم الأئمة".

634 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 519 و520

على سور الجنة، يعرف كل امام منا ما يليه. قال رجل: ما معنى ما يليه؟ قال: من القرن الذي هو فيه إلى القرن الذي كان".[635]

**ب 5 – الوجه الآخر لنظرية الامامة: الموقف السلبي من الشيخين واتباعهم، ومن الزعماء المنافسين للأئمة**

ان الوجه الآخر لنظرية الامامة الإلهية التي تحصر الحق في الحكم في السلالة العلوية الحسينية، هو الموقف السلبي من أي (امام ليس من الله).

وقد انعكست، على قراءة ما جرى في التاريخ الإسلامي، وبالخصوص على تجربة الصحابة في اختيار أبي بكر كخليفة للرسول الأعظم، التي قامت على مبدأ (الشورى) وحق الأمة في اختيار الامام، وهو ما كانت ترفضه نظرية الامامة أشد الرفض، وتعتبر استخلاف أبي بكر "اغتصابا" لحق الامام علي "المنصوص عليه من الله". ومن هنا اتخذ أصحاب النظرية موقفا سلبيا عنيفا ضد أبي بكر وعمر وعامة الصحابة الذين أيدوا (الشورى) وكذلك من أتباعهم ومن يؤمن بشرعية حكمهم، الى يوم القيامة.

وحفل التراث الامامي بأحاديث كثيرة منسوبة للإمامين الباقر والصادق، بتحميل أبي بكر وعمر مسؤولية ما جرى من مآس على (أهل البيت) على مدى التاريخ، بالرغم من وجود أحاديث أخرى مناقضة لها تمدح أبا بكر وعمر وتجلهما وتأمر بتوليهما، ولكن الامامية يفسرون الأحاديث الإيجابية بالتقية. وقد استعرضنا في الفصل الأول موقف الامام علي بن الحسين من (الشيخين) في مقابل السبئية الذين ابتدأوا وابتدعوا السب واللعن للشيخين بناء على نظرية (الوصية) التي قال بها عبد الله بن سبأ. وكان موقف زين العابدين امتدادا لموقف جده الامام علي بن أبي طالب الإيجابي من الشيخين، والنابع من إيمانه بمبدأ (الشورى). مما يدل على أن الموقف السلبي منهما والمنسوب سرا للإمامين الباقر والصادق يرتبط بنظرية الامامة التي يقال انهما كانا يتبنيانها سرا أيضا، وان الموقف الآخر الإيجابي المنسوب اليهما أيضا ينسجم مع موقفهما المعلن، النافي لنظرية الامامة، والمتبرئ من القول بها.

---

635 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 520

إذن.. فان ثمة تلازما بين القول بالشورى والموقف الإيجابي من الشيخين، كما يوجد تلازم بين القول بنظرية الامامة والموقف السلبي منهما ومن موضوع (الشورى).

وسوف نستعرض فيما يلي النصوص المختلفة الواردة في التراث الامامي عن الامام الباقر وابنه جعفر الصادق، ونترك الحكم على صحة تلك النصوص الى تقدير القارئ الكريم، بعد تقديره بصحة أو عدم صحة النصوص الواردة حول الامامة والتي استعرضناها في الأبواب والفصول الماضية.

## ف 1- الموقف الإيجابي

ان الموقف الشيعي الإيجابي من الشيخين كان سمة القرن الأول الهجري، بسبب عدم وجود أية نظرية سياسية دينية خاصة بهم كنظرية الامامة الالهية التي ولدت فيما بعد، فقد كان موقفهم من الشيخين الجليلين الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) موقفا إيجابيا وعاديا كموقف بقية المسلمين، وكانوا يكنون لهما كل المحبة والتقدير، بل وعمل بعض قادة الحزب الشيعي ولاة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، مثل سلمان الفارسي الذي أصبح والي المدائن، وعمار بن ياسر والبراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وحجر بن عدي، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر.

وروى ابن عبد ربه في (عقده الفريد): لما قبض أبو بكر سجي بثوب، فارتجت المدينة من البكاء، ودهش القوم، كيوم قبض رسول الله (ص)، وجاء علي بن أبي طالب باكيا مسرعا، مسترجعا حتى وقف بالباب، وهو يقول:

"رحمك الله أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاما وأصدقهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول الله (ص)، وأحدبهم على الإسلام، وأحماهم عن أهله، وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا، وهديا وسمتا، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسماك الله في كتابه صديقا فقال: " والذي جاء بالصدق وصدق به "، يريد محمدا ويريدك، كنت والله للإسلام حسنا، وللكافرين ناكبا، لم تفلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله (ص) : ضعيفا في بدنك، قويا في دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في الأرض، كبيرا عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا

هوى، فالضعيف عندك قوي، والقوي عندك ضعيف، حتى تأخذ الحق من القوي، وترده للضعيف، فلا حرمك الله أجرك، ولا أضلنا بعدك".[636]

وهكذا كان موقف الامام علي (ع) ايجابيا من أخيه عمر بن الخطاب (رض). وعندما استشار عمر علياً في الشخوص لقتال الفرس بنفسه، قال له الإمام:

- "إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من الله. والله منجز وعده وناصر جنده.

ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه. فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا.

والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطبا، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك.

فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة".[637]

وهناك رواية يذكرها إبراهيم الثقفي الكوفي (ت 283) في كتاب (الغارات) تؤكد هذا المعنى، وتقول:

- إن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبي، دخلوا على علي ، فسألوه عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ وقالوا: بين لنا قولك فيهما وفي عثمان. فقال علي: وقد تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت؟ إني مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ما سألتموني عنه فاقرأوه على شيعتي، فأخرج اليهم كتابا فيه:

- "... فلما مضى (رسول الله) تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر عني، فما راعني الا

---

[636] - ابن عبد ربه: العقد الفريد 5 / 18 - 19.

[637] - الامام علي، نهج البلاغة، ج2 ص 29 خطبة رقم 146

إقبال الناس على أبي بكر، وإجفالهم عليه، فأمسكت يدي، ورأيت أني أحق بمقام محمد في الناس ممن تولى الأمور علي، فلبثت بذلك ما شاء الله، حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام، فخشيت إن أنا لم انصر الاسلام وأهله أن أرى في الاسلام ثلما وهدما، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولاية أمركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول منها ما كان كما يزول السراب، فمشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته، ونهضت معه في تلك الاحداث حتى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، وأن يرغم الكافرون. فتولى أبو بكر رضي الله عنه تلك الأمور فيسّر وسدّد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحا وأطعته فيما اطاع الله فيه جاهدا، فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا، وبايعنا وناصحنا، فتولى تلك الأمور فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة أيام حياته ، فلما أحتضر قلت في نفسي: ليس يصرف هذا الامر عني، فجعلها شورى وجعلني سادس ستة... ثم قالوا لي: هلم فبايع عثمان، والا جاهدناك، فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا...".[638]

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته التي بعث بها إلى أهالي مصر مع قيس بن سعد بن عبادة واليه على مصر:

- ".. فلما قضى (رسول الله) من ذلك ما عليه قبضه الله (عز وجل) صلى الله عليه ورحمته وبركاته، ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنة و أحسنا السيرة ولم يعدُوَا لِسُنَّتِهِ ثم توفّاهما الله عز وجل رضي الله عنهما".[639]

وقال عليه السلام عن أخيه عمر بن الخطاب بالخصوص:

- "..لقد قوَّم الأود وداوى العمد وأقام السنة و خلَّف الفتنة، ذهب نقيَّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها و سبق شرَّها، أدَّى إلى الله طاعته واتَّقاه بحقِّه".[640]

ونظرا للعلاقة الأخوية بين علي وعمر، فقد زوج علي ابنته أم كلثوم لعمر، فأولدت زيدا ورقية.

وتجلى هذا الموقف الإيجابي من الشيخين أيضا في ثقافة أهل البيت (ع) وخصوصا في دعاء الامام السجاد علي بن الحسين، الذي يقول فيه:

---

[638] - الثقفي، إبراهيم بن محمد بن هلال، الغارات، ج1 ص 302 – 308 المكتبة الشيعة اون لاين والدينوري، ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج1 ص 133-134

[639] - الثقفي، إبراهيم بن محمد بن هلال، في كتابه: " **الغارات** " ج1/ص210 ، و السيد علي خان الشوشتري في كتابه " **الدرجات الرفيعة** " ص 336 ، و الطبري في **تاريخ الأمم و الملوك**، ج3/ص550

[640] - نهج البلاغة، الخطبة 228

- "... اللهمّ وأصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث اسمعهم حُجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، وما كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهمّ تركوا لك وفيك وأرضهم من رضوانك".[641]

وقد روى الكليني في (الروضة من الكافي) عن أبي بصير قال: "كنت جالساً عند أبي عبد الله (ع) إذ دخلت علينا أم خالد تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما – أي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما – فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم".[642]

وروى الامام الصادق حديث جده الامام أمير المؤمنين عن إخوانه الطيبين صحابة رسول الله (ص): **"**لقد رأيت أصحاب محمد (ص) فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، وإذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب".[643]

وهناك نص مهم يرويه الصفار عن الامام الصادق، وهو يتبرأ من المتطرف الغالي أبي الخطاب (الذي قال بألوهية الامام الصادق) يكشف عن التلازم بين الغلو وبين الموقف السلبي من الشيخين، تماما كما فعل ابن سبأ. يقول الصفار: عن حبيب الخثعمي قال ذكرت لأبي عبد الله (ع) ما يقول أبو الخطاب فقال أذكر لي بعض ما يقول. قلت في قول الله عز وجل "وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم" إلى آخر الآية يقول إذا ذكر الله وحده أمير المؤمنين (ع) وإذا ذكر الذين من دونه فلان وفلان. فقال أبو عبد الله (ع): "من قال هذا فهو مشرك – ثلثا - انا إلى الله منهم برئ - ثلثا - بل عنى الله بذلك نفسه بل عنى الله بذلك نفسه".
وأخبرته بالآية في حم "ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم" ثم قلت: عنى بذلك

---

641 - الصحيفة السجادية: الدعاء الرابع
642 - الكليني، الكافي، ج 8 ص 101
643 - نهج البلاغة، الخطبة 97

أمير المؤمنين (ع) قال أبو عبد الله (ع): "من قال هذا فهو مشرك انا إلى الله منه برئ - ثلثا - بل عناه بذلك نفسه" .[644]

وتنقل المصادر السنية عن الامام محمد الباقر (ع) قوله لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ويزعمون أني أمرتهم بذلك. فابلغهم أني الى الله منهم بريء. والذي نفس محمد بيده **لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم**. لا نالتني شفاعة محمد أبدا إن لم اكن استغفر لهما وأترحم عليهما. وقال لتلميذه سالم: **يا سالم تولهما، وابرأ من عدوهما، فانهما كانا إمامي هدى رضي الله عنهما**. وقال لمن سأله عن حلية السيف: لا بأس به فقد حلى ابو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه. وعندما تعجب السائل وقال: وتقول الصديق؟ وثب الامام الباقر وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة.[645]

## ف 2 - الموقف السلبي من الشيخين

وفي مقابل ذلك الموقف الإيجابي، ثمة روايات كثيرة تنسب الى الامام محمد الباقر، تتضمن موقفا سلبيا جدا من الشيخين أبي بكر وعمر "لاغتصابهما" حق الامام علي في الخلافة، ومنها:

1- عن أبي عبد الله (ع) في قول الله تعالى: " إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى": فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الايمان في ترك ولاية أمير المؤمنين (ع) قلت: قوله تعالى: " ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر" قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما وهو قول الله. [646]
2- عن جابر قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله"؟ قال: هم والله **أولياء فلان وفلان**، اتخذوهم أئمة دون الامام الذي جعله الله للناس إماما، فلذلك قال: "ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك

---

644 - الصفار، بصائر الدرجات، 556

645 - الجندي، الامام جعفر الصادق، ص 143

646 - الكليني الكافي 1 ص 420

يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هو بخارجين من النار" ثم قال أبو جعفر (ع): هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم.[647]

3- عن جابر عن أبي عبد الله قال لما نزلت هذه الآية "يوم ندعو كل أناس بإمامهم" قال فقال المسلمون: يا رسول الله (ص): ألست امام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: " أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وانا منه برئ".[648]

4- روى ابو حمزة الثمالي رواية سرية يقول فيها انه قال لعلي بن الحسين: أسألك - جعلت فداك - عن ثلث خصال انفي عني فيه التقية، قال فقال: ذلك لك، قلت أسألك عن فلان وفلان؟ قال: "فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم".[649]

5- عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد. قال الراوي فقلت: عمار؟ قال: كان جاض جيضة (أي عدل عن الحق، أو حاص حيصة، أي أنهزم) ثم رجع، ثم قال: إن أردتَ الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه أن عند أمير المؤمنين (ع) اسم الله الأعظم، لو تكلَّم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا، وأما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين (ع) بالسكوت، ولم يأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلا أن يتكلم.[650]

6- عن الحكم بن الصلت عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص): خذوا بحجزة هذا الأنزع - يعنى عليا - فإنه الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل من أحبه هداه الله ومن أبغضه أضله الله ومن تخلف عنه محقه الله ومنه سبطا أمتي الحسن والحسين هما ابناي ومن الحسين أئمة الهدى أعطاهم الله فهمي وعلمي فاحبوهم وتولوهم ولا تتخذوا وليجة من

---

[647] - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

[648] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 53

[649]- الصفار ، بصائر الدرجات، ص 289

[650] - الكشي، والطوسي، اختيار معرفة الرجال: 5 و11

دونهم فيحل عليكم غضب من ربكم ومن يحلل عليه غضب من ربه فقد هوى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور".[651]

7- عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: قال رسول الله (ص): ان الله تبارك وتعالى يقول إن من استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية على واختار ولاية من والى أعدائه وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده فان فضلك فضلهم وحقك حقهم وطاعتك طاعتهم ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك جرى فيهم روحك وروحهم جرى فيك من ربك وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك قد اجرى الله فيهم سنتك وسنة الأنبياء قبلك وهم خزاني على علمي من بعدك حقا على لقد اصطفيتهم و انتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم ونجى من أحبهم ووالاهم وسلم بفضلهم".[652]

8- عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر (ع) قال لقى أمير المؤمنين (ع) أبا بكر في بعض سكك المدينة فقال له ظلمت وفعلت، فقال له: ومن يعلم ذلك؟ قال يعلمه رسول الله (ص) قال: وكيف لي برسول الله (ص) حتى يعلم ذلك لو أتاني في المنام فأخبرني لقبلت ذلك. قال علي (ع) فأنا أدخلك على رسول الله (ص) في مسجد قبا، قال فادخله مسجد قبا فإذا برسول الله (ص) في مسجد قبا فقال له رسول الله (ص): اعتزل عن ظلم أمير المؤمنين (ع) فخرج من عنده فلقيه عمر فأخبره بذلك، فقال له: اسكت أما عرفت سحر بنى عبد المطلب". [653]

9- وفي رواية أخرى أكثر تفصيلا، ينقلها معاوية الدهني، يقول: ... فاخذ بيده فخرج به إلى مسجد قبا فإذا رسول الله جالس في القبلة فقال: يا عتيق وثبت على علي وجلست مجلس النبوة وقد تقدمت إليك في ذلك فانزع هذا السربال الذي تسربلته فخله لعلى والا فموعدك النار قال ثم اخذ بيديه فأخرجه ... قال فلقي أبو بكر عمر فقال له: أراني علي كذا وكذا، فقال له عمر: ويلك ما أقل عقلك فوالله ما أنت فيه الساعة ليس الا من بعض سحر ابن أبي كبشة قد نسيت سحر بني هاشم ومن أين يرجع محمد، ولا يرجع

---

651 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 73

652 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 73

653 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 296

من مات ، ان ما أنت فيه أعظم من سحر بني هاشم فتقلد هذا السربال ومر فيه .[654]

10- عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك ما أقلَّنا! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة. قال حمران: فقلت: جعلت فداك، ما حال عمار؟ قال: رحم الله عماراً أبا اليقظان، بايع وقُتل شهيداً، فقلت في نفسي: ما شيء أفضل من الشهادة. فنظر إلي فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة؟ أيهات، أيهات.[655]

11- روي أن الكميت سأل الإمام الباقر والصادق عن أبي بكر وعمر، فأجاباه بالنفي فقال: الله أكبر الله أكبر، حسبي حسبي![656]

12- قال الكميت: يا سيدي أسألك عن مسألة وكان متكئا فاستوى جالساً وكسر في صدره وسادة ثم قال: سل فقال: أسألك عن الرجلين؟ فقال: يا كميت بن زيد ما أهريق في الإسلام محجمة من دم ، ولا اكتسب مال من غير حله ، ولا نكح فرج حرام الا وذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا ، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا بسببهما والبراءة منهما .[657]

13- عن جابر قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله"؟ قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الامام الذي جعله الله للناس إماما، فلذلك قال: "ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هو بخارجين من النار" ثم قال أبو جعفر (ع): هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم.[658]

14- عن سدير قال: دخلت على أبي جعفر (ع) ومعي سلمة ابن كهيل ، وأبو المقدام ثابت الحداد ، وسالم بن أبي حفصة ، وكثير النواء ، وجماعة، وعند أبي جعفر أخوه زيد بن علي، فقالوا لأبي جعفر: نتولى علياً وحسناً

---

654 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 298

655 - الكليني، الكافي 244/2

656 - الكليني، الكافي : 8 / 102

657 - الكشي، 465/2

658 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: نعم ، قالوا: فنتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: فالتفت إليهم زيد بن علي (ع) وقال لهم: "أتتبرؤون من فاطمة (ع)؟! بَتَرْتُمْ أمرنا بتركم الله" فيومئذ سموا البترية .[659]

15- عن جابر عن أبي عبد الله قال لما نزلت هذه الآية "يوم ندعو كل أناس بإمامهم" قال فقال المسلمون: يا رسول الله (ص): ألست امام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: " أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وانا منه برئ".[660]

16- عن محمد بن منصور قال سألت عبدا صالحا (ع) عن قول الله تبارك وتعالى "إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن"؟ فقال: "إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل من الكتاب وهو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق".[661]

17- عن بريد العجلي عن أبي جعفر (ع) في قول الله تبارك وتعالى "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت": فلان وفلان، "ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ": يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلا "أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، أم لهم نصيب من الملك": يعنى الامام والخلافة "فإذا لا يؤتون الناس نقيرا": عن الناس الذين عنى الله".[662]

18- عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: ... ومن زعم أن لهما في السلام نصيبا.[663]

19- عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟

---

659 - الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، 544/4

660 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 53

661 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 53

662 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 54

663 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

قال: فاستوى أبو عبد الله (ع) جالسا فأقبل علي كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال، ألا تسمع لقول الله عز وجل: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله وقال: "والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات".[664]

20- عن محمد بن منصور قال سألته عن قول الله تعالى "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون"؟ فقال: أرأيت أحدا يزعم أن الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو بشئ من هذه المحارم؟ فقلت: لا ، فقال: ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمر بها ؟ فقلت: الله أعلم ووليه، قال: فان هذه في أئمة الجور ادعوا أن الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمر الله بالايتمام بهم فرد الله ذلك عليهم وأخبرنا انهم قد قالوا عليه الكذب فسمى الله منهم فاحشة".[665]

وجاء في (بحار الانوار) للمجلسي، ج 30 ص 371-391 ما يلي:

21- عن سالم بن أبي حفصة قال: دخلت على أبي جعفر (ع) فقلت: أئمتنا وسادتنا نوالي من واليتم ، ونعادي من عاديتم ، ونبرأ من عدوكم .فقال : بخ بخ يا شيخ ! إن كان لقولك حقيقة . قلت: جعلت فداك ، إن له حقيقة . قال: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: إمامان عادلان رحمهما الله ؟ قال: يا شيخ ! والله لقد أشركت في هذا الأمر من لم يجعل الله له فيه نصيباً.

22- عن سورة بن كليب قال: سألت أبا جعفر (ع) عن أبي بكر وعمر؟ قال: هما أول من ظلمنا حقنا، وحملا الناس على رقابنا، قال: فأعدت عليه فأعاد عليّ ثلاثا، فأعدت عليه الرابعة فقال: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلما.

23- عن كثير النوا، عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن أبي بكر وعمر؟ فقال: هما أول من انتزى على حقنا، وحملا الناس على أعناقنا وأكتافنا، وأدخلا الذل بيوتنا.

---

[664] - الكليني، الكافي، ج1 ص 375

[665] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 54

24- عن بشير قال: سألت أبا جعفر (ع) عن أبي بكر وعمر فلم يجبني، ثم سألته فلم يجبني، فلما كان من الثالثة قلت: جعلت فداك أخبرني عنهما؟ فقال: ما قطرت قطرة دم من دمائنا ولا من دماء أحد من المسلمين إلا وهي في أعناقهما إلى يوم القيامة.

25- عن بشير بن أبي أراكة البتال (النبال) قال: سألت أبا جعفر (ع) عن أبي بكر وعمر؟ فقال كهيئة المنتهر: ما تريد من صنمي العرب، أنتم تقتلون على دم عثمان بن عفان، فكيف لو أظهرتهم البراءة منهما، إذا لما ناظروكم طرفة عين.

26- عن حجر البجلي قال: شككت في أمر الرجلين، فأتيت المدينة فسمعت أبا جعفر (ع) يقول: إن أول من ظلمنا وذهب بحقنا وحمل الناس على رقابنا أبو بكر وعمر.

27- عن سلام بن سعيد المخزومي، عن أبي جعفر (ع) قال: ثلاثة لا يصعد عملهم إلى السماء ولا يقبل منهم عمل: من مات ولنا أهل البيت في قلبه بغض، ومن تولى عدونا وترك ولايتنا، ومن تولى أبا بكر وعمر.

28- عن أبي جعفر (ع) في قوله عز وجل :"وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا" قال: أسر إليهما أمر القبطية، وأسر إليهما أن أبا بكر وعمر يليان أمر الأمة من بعده ظالمين فاجرين غادرين.

29- عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) من طرق مختلفة أنهم قالوا - وكل منهم -: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، من زعم أنه إمام وليس بإمام، ومن جحد إمامة إمام من الله، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيبا.

30- عن معمر بن خيثم قال: بعثني زيد بن علي داعية، فقلت: جعلت فداك ما أجابتنا إليه الشيعة فإنها لا تجيبنا إلى ولاية أبي بكر وعمر، قال لي: ويحك!.. أحد أعلم مظلمته منا، والله لئن قلت إنهما جارا في الحكم لتكذبن، ولئن قلت إنهما استأثرا بالفئ لتكذبن، ولكنهما أول من ظلمنا حقنا وحمل الناس على رقابنا، والله إني لأبغض أبناءها من بغضي آبائهما، ولكن لو دعوت الناس إلى ما تقولون لرمونا بقوس واحد.

31- عن محمد بن فرات الجرمي قال: سمعت زيد بن علي يقول: إنا لنلتقي وآل عمر في الحمام فيعلمون أنا لا نحبهم ولا يحبونا، والله إنا لنبغض الأبناء لبغض الآباء.

32- عن العباس بن الوليد الاعذاري قال: سئل زيد بن علي عن أبي بكر وعمر فلم يجب فيهما، فلما أصابته الرمية نزع الرمح من وجهه واستقبل

الدم بيده حتى صار كأنه كبد، فقال: أين السائل عن أبي بكر وعمر؟! هما والله شركاء في هذا الدم، ثم رمى به وراء ظهره. [666]

وكما يلاحظ فان معظم روايات المجلسي (المتوفى سنة 1111) مرسلة بلا اسناد، ومنسوبة الى الامام زيد بن علي المعروف باحترامه للشيخين، ورفضه التبرؤ منهما، مما أدى الى انفضاض (الرافضة) عنه في ثورته على هشام بن عبد الملك.

33- قال الإمام الصادق: " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا" نَزَلَت في مَن غَصَبَ أَميرَ المؤمنينَ حَقَه وأخذَ حق فاطمة وآذاها ، وقد قالَ رَسولُ الله (ص): من آذاها في حياتي كَمَن آذاها بعد موتي ومن آذاها بعد موتي كَمَن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله وهو قوله عز وجل : " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا" . [667]

- روى العياشي في تفسيره عن بريد بن معاوية قال: كنت عند أبي جعفر (ع) فسألته عن قول الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنْكُمْ " قال فكان جوابه أن قال: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ": فلان وفلان، "وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ": الأئمة الضالة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلاً" . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً".
-
- عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في السلام نصيبا. [668]

---

666 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 29 ص 561- 562

667 - القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي ج 2 - ص 196

668 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

## ف 3- الموقف السلبي من الزعماء المنافسين للأئمة

ومن الجدير بالذكر ان هذا الموقف السلبي من الشيخين لا يقتصر عليهما، وانما يمتد لكل من نافس (الأئمة) في الزعامة. ويحفل التراث الامامي بمواقف سلبية مضادة حتى للعلويين من غير السلالة الحسينية، كما يروي الصفار في (بصائر الدرجات) في باب (من ادعى الإمامة وليس لها باهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها باهل):

- عن سورة ابن كليب، عن أبي جعفر (ع) قال: قلت له: قول الله عز وجل : "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"؟ قال: من قال: إني إمام وليس بإمام. قال: قلت: وإن كان علويا؟ قال: وإن كان علويا، قلت وإن كان من ولد علي ابن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وإن كان.
- عن الفضيل، عن أبي عبد الله (ع) قال: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر. [669]
- عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في السلام نصيبا. [670]
- عن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله"؟ قال: كل من زعم أنه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطميا علويا؟ قال وإن كان فاطميا علويا. [671]
- عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (ع) قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيبا.

---

669- الصفار، بصائر الدرجات، ص 372

670 - الكليني، الكافي، ج1 ص 374

671 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 372

- عن الوليد بن صبيح قال: سمعت أبا عبد الله يقول إن هذا الامر لا يدعيه غير صاحبه إلا تبر لله عمره.
- عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (ع) قال: من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركا بالله.
- عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله (ع): رجل قال لي: اعرف الآخر من الأئمة ولا يضرك أن لا تعرف الأول، قال: فقال: لعن الله هذا، فاني أبغضه ولا أعرفه، وهل عرف الآخر إلا بالأول. [672]
- عن ابن مسكان قال: سألت الشيخ، عن الأئمة (ع) قال: من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات. [673]
- عن جابر قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله" قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الامام الذي جعله الله للناس إماما، فلذلك قال " ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هو بخارجين من النار" ثم قال أبو جعفر: هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم.
- وروى الصفار في باب (فيمن دان الله عز وجل بغير امام من الله جل جلاله): عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن (ع) في قوله الله عز وجل: " ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله" قال: يعني من اتخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمة الهدى.

وروى الكليني، في (الكافي) في باب (من ادعى الإمامة وليس لها بأهل) ما يلي:

- عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شانئ لاعماله، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلما جنها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها، فحنت إليها

---

672 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 373

673 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 373

واغترت بها، فباتت معها في ربضتها، فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك، فإنك تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة نادة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهرا عادلا أصبح ضالا تائها وإن مات على هذه الحال ما ت ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد. [674]

- عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة صدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ قال: فاستوى أبو عبد الله (ع) جالسا فأقبل علي كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قال، ألا تسمع لقول الله عز وجل: " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله وقال: "والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات " إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الاسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله عز وجل خرجوا بولايتهم إياه من نور الاسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار، ف " أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون". [675]
- عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر (ع) قال: قال الله تبارك وتعالى: "لأعذبن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة".

---

[674] - الكليني، الكافي، ج1 ص 374 ح 11

[675] - الكليني، الكافي، ج1 ص 375

- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال: إن الله لا يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية وإن الله ليستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة. [676]

وروى الكليني في باب (من مات وليس له امام من أئمة الهدى) ما يلي:

- عن الفضيل بن يسار قال: ابتدأنا أبو عبد الله (ع) يوما وقال: قال رسول الله (ص): من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، فقلت: قال ذلك رسول الله؟ فقال: إي والله قد قال، قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟! قال: نعم. [677]
- عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول رسول الله (ص) : من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، قال: قلت :ميتة كفر؟

قال :ميتة ضلال، قلت: فمن مات اليوم وليس له أمام، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم. [678]

- عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: " لكن الله يشهد بما انزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا" قال: وسمعته يقول: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا "ان الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا " إلى قوله " يسيرا " ثم قال: " يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية على فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا بولايته فان لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله عليما حكيما ". [679]

وروى الكليني في (الكافي) في باب: **(من ادعى الإمامة وليس لها باهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها باهل)**:

---

[676] - الكليني، الكافي، ج1 ص 376

[677] - الكليني، الكافي، ج1 ص 376

[678] - الكليني، الكافي، ج1 ص 376

[679] - الكليني، الكافي، ج1 ص 376

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي سلام، عن سورة ابن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: قول الله عز وجل " :ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"؟ قال: من قال: **إني إمام وليس بامام قال: قلت: وإن كان علويا؟ قال: وإن كان علويا، قلت وإن كان من ولد علي ابن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وإن كان.** [680]

- محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان عن الفضيل، **عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر**[681].

- 3الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن الحسين بن المختار قال: **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله "؟ قال: كل من زعم أنه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطميا علويا؟ قال وإن كان فاطميا علويا.** [682]

## ب 6 موقف الزيدية من نظرية الامامة الإلهية

يشكل موقف الحسنيين وحتى أبناء الامام علي بن الحسين (اخوة الامام محمد الباقر) وعامة الهاشميين، وكذلك عامة الشيعة، امتدادا لفكر الامام علي بن أبي طالب والحسن والحسين، القائم على مبدأ الشورى، والرافض لنظرية الامامة الإلهية التي قال بها الامام الباقر، وقد كان رموز العلويين الأوائل، كالحسن بن الحسن المثنى (37 – 97) وابنه عبد الله المحض (70 – 145) واللاحقين كمحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية (100 – 145) يرفضون وجود النص الجلي على الامام علي بالامامة من الله، وكانوا يرفضون بالتالي حصر الامامة العادية فضلا عن الدينية، في البيت الحسيني.

وقد نقلت المصادر الامامية قول عبد الله بن الحسن بن الحسن: **"ليس فينا امام..** والامام علي (ع) لم يكن إماماً معينا من الله، وليس عندنا علم الا ما عند الناس**!** و ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا **!"**. [683] **وأنه جادل الباقر قائلا:" كيف**

---

[680] - الكليني، الكافي، ج1 ص 372

[681] - الكليني، الكافي، ج1 ص 372

[682] - الكليني، الكافي، ج1 ص 372

[683] - - الصفار ، بصائر الدرجات، ص 173

صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة؟ وهما في الفضل سواء؟ ألا إن للحسن على الحسين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل".[684]

و لما لم يكن عبد الله بن الحسن يعرف نظرية الامامة الإلهية، فقد اتخذ موقفا إيجابيا من أبي بكر وعمر، ولم يقل باغتصابهما للخلافة، وكذلك ابنه محمد ذو النفس الزكية.

وكذلك فعل اصحاب الحديث الشيعة كالحسن بن صالح بن حي، وكثير النوا، وسالم بن ابى حفصة، والحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وابو المقدام ثابت الحداد، ومن قال بقولهم ، فانهم دعوا إلى ولاية عليّ ثم خلطوها بولاية ابي بكر وعمر واجمعوا جميعا أن عليا خير القوم جميعا وافضلهم. وقد ظل هؤلاء على إيمانهم واحترامهم للشيخين، فأطلق عليهم الاماميون لقب (البترية).

وكما يقول سعد بن عبد الله الأشعري القمي في كتابه (المقالات والفرق) عن (البترية) أنها " قالت ان عليا (رحمة الله عليه) كان اولى الناس بعد رسول الله بالناس ، لفضله وسابقته وقرابته وعلمه ، وهو افضل الناس كلهم بعده واشجعهم واسخاهم واورعهم وازهدهم واعلمهم ، واجازوا مع ذلك خلافة ابي بكر وعمر، ورأوهما أهلا لذلك المكان والمقام، واحتجوا في ذلك بأن زعموا أن عليا سلم لهما الأمر ورضي بذلك، وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه لهما ، فنحن راضون كما رضى المسلمون له ولمن تابع، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع أحد الا ذلك، وان ولاية أبي بكر صارت رشدا وهدى لتسليم على (صلى الله عليه) له ذلك ورضاه...وهم أوائل البترية.

وخرجت من هذه الفرقة فرقة فقالوا على بن ابى طالب افضل الناس بعد رسول الله لقرابته وسابقته وعلمه ، ولكن كان جائزا للناس ان يولّوا عليهم غيره اذا كان الوالى الّذي يولونه مجزئا، احب علي ذلك أم كرهه فولاية الوالى الّذي ولوا على انفسهم برضا منهم رشد وهدى وطاعة لله ، وولايته وطاعته واجبة من الله فاذا اجتمعت الامة على ذلك وتوالت ورضيت به فقد ثبتت إمامته واستوجب الخلافة، فمن خالفه من قريش وبنى هاشم على كان او غيره من الناس ، فهو كافر ضال هالك".[685]

---

684 - الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص 246

685 - الاشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 17 -18 والنوبختي، فرق الشيعة.

وقد دخل جماعة منهم على أبي جعفر الباقر ، فقالوا له: نتولى عليا وحسنا وحسينا ونتبرأ من أعدائهم، قال: نعم، قالوا: نتولى أبا بكر، وعمر ونتبرأ من أعدائهم. [686]

ويبدو من خلال قراءة التاريخ أن نظرية الامام الباقر، في الامامة الإلهية وحصرها في البيت الحسيني، لم تلق آذانا صاغية في التيار الشيعي العام في بداية القرن الثاني الهجري، إذ مال عامة الشيعة الى التيار البتري، وانصرفوا عن الباقر.[687]

وقد اشتهر عن الامام زيد بن علي قوله: "ليس الامام منا من جلس في بيته وأرخى ستره وثبط عن الجهاد، ولكن الامام منا من منع حوزته وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده ودفع عن رعيته وذبّ عن حرمه".[688] و "ان الائمة أربعة، ثلاثة مضوا، والرابع هو القائم".

وهو موقف معروف يؤكده المؤرخون الشيعة. فقد كان الامام زيد يتصرف انطلاقا من إيمانه بحقه في الثورة والامامة العادية السياسية (وليست الإلهية) ولذلك، ولم يكن يصغى لأخيه الباقر الذي كان يحذره من الخروج، وقد مضى لما يريد بعد وفاته ببضع سنوات.

وفي الحقيقة تتفق المصادر الامامية والزيدية والسنية على موقف الامام الزيد الرافض لنظرية الامامة، وهناك قصة معروفة يرويها محمد بن علي النعمان الأحول المعروف بمؤمن الطاق: "أنّ زيد بن علي بن الحسين (ع) بعث إليه وهو مستخف، فأتيته فقال لى:

- يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه، فقلت له:
- إن كان أباك أو أخاك خرجت معه، فقال لي:
- فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي، قلت:
- لا.. ما أفعل جعلت فداك، فقال لي:
- أترغب بنفسك عني؟ قلت له:
- إنما هي نفس واحدة فإن كان لله في الارض حجّة فالمتخلّف عنك ناج والخارج معك هالك، وإن لا تكن لله حجّة في الارض فالمتخلّف عنك والخارج معك سواء، فقال لي:

---

686 - الكشي ، ترجمة أم خالد وكثير النوا وأبي المقدام

687- الذي كان يشعر بقلة الأصحاب، حتى قال: " لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها". الكليني، الكافي 244/2

688- الكليني، الكافى 1/ 356- 357 الكليني، الكافي: الجزء 1، كتاب الحجّة 4، باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الامامة 81، الحديث 16

- يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرّد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة علي ولم يشفق عليّ من حرّ النار، إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟ فقلت له:
- جعلت فداك، من شفقته عليك من حرّ النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار، واخبرني أنا فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الانبياء؟ قال:
- بل الانبياء، قلت:
- يقول يعقوب ليوسف: "يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً" لمَ لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك، فكذلك أبوك كتمك لأنه خاف عليك". [689]

ان هذه الرواية تكشف عن عدم معرفة الامام زيد بنظرية الامامة الإلهية وعدم اعترافه بما كان ينسب لأخيه الامام الباقر، وهو ما سار عليه أتباعه الذين عرفوا بالزيدية، كما يقول الامام الزيدي أحمد بن يحيى ابن المرتضى (ت 840): " الزيدية منسوبة إلى زيد بن علي (ع) يجمع مذهبهم تفضيل علي (ع) وأولويته بالإِمامة وقصرها في البطنين، واستحقاقها بالفضل والطلب لا بالوراثة ووجوب الخروج على الجائرين".[690]
وكما يقول الشيخ المفيد (ت 413) أيضا: "وأمّا الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين وزيد بن علي (ع) وبإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد ".[691]
ويمكننا أيضا معرفة عقيدة الامام زيد السياسية، وعدم إيمانه بنظرية الامامة الإلهية أو النص على الامام علي، من خلال موقفه الإيجابي المعروف من الشيخين أبي بكر وعمر، حيث لم يقل باغتصابهما للخلافة، كما يقول الامامية، وقد كان موقفه هذا سببا من أسباب تفرق (الرافضة) عنه عشية قيامه بالثورة على هشام بن عبد الملك، عام 122 فقد روى أبو مخنف في (تاريخه): "أن

---

689 - الكليني، الكافي، باب الاضطرار إلى الحجّة 1، الحديث 5 ص 174 والكشي، ترجمة أبي جعفر الاحول محمد بن علي بن النعمان . والطوسي، اختيار معرفة الرجال للكشي، برقم – 328 والطبرسي، احمد بن علي بن ابي طالب، الاحتجاج، ج 2 ص 140 – 141

690 - الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى (المتوفى: 840 هـ)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، مكتبة أهل البيت (ع) الطبعة: الأولى، 1444 هـ - 2022 م

691 - المفيد : أوائل المقالات، ص 39

بعض الشيعة أتوا إلى الإمام زيد بعد أن بلغهم أن والي الكوفة قد علم بأمر الإمام زيد فقالو له:

- رحمك الله ! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد:
- رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا:
- فلمَ تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد:
- إن أشد ما أقول فيما ذكرتم: إنا كنا أحق بسلطان رسول الله (ص) من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد وَلَوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا:
- فلم يظلمك هؤلاء إن كان أولئك لم يظلموك؟ فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟! فقال:
- إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل.

ففارقوه ونكثوا ببعته، وقالوا: سبق الإمام. وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام".

وقال عبد القادر البغدادي: " كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجلٍ من أهل الكوفة، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي قالوا له:

- إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب، فقال زيد :
- إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار.

ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم "رفضتموني "ومن يومئذٍ سموا رافضة".[692]

وقد ورد في (مسند الامام زيد بن علي) ما يلي: "أما السيد زيد بن علي زين العابدين ... وهو الذي تنسب إليه الزيدية، وقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه، فقال: كلا، بل أتولاهما. فقالوا: اذن نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة، فسموا رافضة من

---

692 - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 120

حينئذ. وجاءت طائفة وقالوا: نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم فقاتلوا معه فسموا زيدية ".[693]

وقال الإمام يحيى بن حمزة المؤيد بالله (ت 745هـ): "روي أن الإمام زيد بن علي كان كثير الثناء على الشيخين أبي بكر وعمر والترحم عليهما، وينهى عن سبهما، ويعاقب على ذلك، والمشهور أن بعض الناس قالوا: لا نبايعك حتى تبرأ من الشيخين فقال: كيف أتبرأ منهما وهما صهرا جدي وصاحباه ووزيراه؟ وجعل يثني عليهما، فرفضوه". [694]

وفيما عدا (الرافضة) فان التيار الشيعي العام كان يؤمن بالشورى، ولم يكن يؤمن بنظرية الامامة الحادثة. ويؤكد ذلك اجتماعي الهاشميين في الأبواء عام 125 ومبايعتهم محمد بن عبد الله النفس الزكية، وطلبهم من جعفر الصادق مبايعته، مما يدل على عدم معرفتهم أو إيمانهم بنظرية الامامة.[695]

وقد حاول عبد الله بن الحسن أن يستميل الامام الصادق الى جانب ثورة ابنه محمد النفس الزكية، وقال له: قد جئتك معتمدا لما أعلم من برك، واعلم - فديتك - إنك إذا أجبتني لم يتخلف عني أحد من أصحابك ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم، وإن الناس ما دون أعناقهم إليك وإن أجبتني لم يتخلف عني أحد ولك أن لا تكلف قتالا ولا مكروها.[696]

وعندما ظهر محمد بن عبد الله ودعا الناس لبيعته، واستوثق الناس لبيعته لم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي.

---

693 - مسند الامام زيد بن علي، ص 46، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com

694 - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن. ولد في صنعاء. وأظهر الدعوة بعد وفاة " المهدي " محمد بن المطهر (سنة 729 هـ) وتلقب بالمؤيد باللَّه (أو المؤيد برب العزة) واستمر إلى أن توفي في حصن هران سنة 745هـ و له (الرسالة الوازعة للمعتدين عَن سب أَصْحَاب سيد الْمُرْسلين).

695 - الصفار، بصائر الدرجات، ص 189 ونظرا لموقف الهاشميين والحسنيين ولا سيما عبدالله المحض وابنه محمد ذي النفس الزكية، المعتدل من الشيخين، فقد كان له صدى طيب في علماء البصرة الذين جاءوا الى المدينة وبايعوه، وكان منهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم ، وابن عجلان، ومالك بن أنس، وأبو حنيفة ، وغيرهم ! وأفتوا بوجوب الخروج معه وبأن بيعة المسلمين للمنصور باطلة لأنها بيعة إكراه !

696 - الكليني، الكافي، ج1 ص 358 - 365

## الخاتمة
## نهاية نظرية الامامة ووصولها الى طريق مسدود

لقد واجهت نظرية الامامة الدينية الإلهية النبوية، التي قال بها الامام الباقر، أو نسبت اليه، لدى نشوئها، عدة عقبات مثل:

1- عدم وجود نص صريح بامامة الامام علي بن أبي طالب (ع) لا في القرآن ولا في أحاديث النبي الأكرم.
2- عدم وجود نصوص على الامامين الحسن والحسين.
3- عدم وجود أي نص أو وصية على زين العابدين.
4- عدم وجود نص من زين العابدين على محمد الباقر.
5- غموض النص والوصية على الامام جعفر الصادق،[697] ولذلك لم يعرف أعمدة الشيعة الامامية في البداية امامة الصادق.[698]
6- اشارة الصادق الى ابنه إسماعيل الذي توفي في حياته فقال: "لقد بدا لله في إسماعيل" ولم يسم بعد ذلك أحدا من أبنائه.
7- قول الصادق: ان الامامة في الأكبر من ولدي، مما أدى الى ذهاب عامة الشيعة الى القول بإمامة ابنه عبد الله الأفطح.
8- وفاة الأفطح دون عقب، وتفرق شيعته الى ثلاث فرق: فرقة انتقلت الى أخيه موسى بن جعفر وجمعت بينهما، فسميت بالفطحية، وفرقة شطبت اسم الأفطح من قائمة الأئمة، وقالت بأنها أخطأت في الذهاب اليه، وفرقة ثالثة أصرت على امامته وادعت وجود ولد مخفي له اسمه (محمد بن عبد الله) وقالت: انه غائب في اليمن، وانه المهدي المنتظر.
9- انتقال شيعة الأفطح الى أخيه موسى الكاظم.
10- الوقف من قبل معظم الشيعة على الكاظم وعدم الاعتراف بوفاته.
11- عدم اعتراف الشيعة بامامة علي الرضا، ما عدا قليل منهم.
12- رفض كثير من شيعة الرضا الاعتراف بامامة ابنه الصغير محمد الجواد الذي كان يبلغ من العمر سبع سنوات، مما ترك سؤالا عن كيفية تعيين الله لطفل صغير لم يبلغ الحلم، ومحجور عليه، وتكليفه بقيادة الأمة

---

[697]- الكليني، الكافي ، ج 1 ص 306 -307

[698]- الكليني، الكافى: 1/ 397

الإسلامية، وهذا ما أدى الى انفضاض قسم مما تبقى من الشيعة عن القول بإمامة محمد الجواد بن علي الرضا.

13- تكرار أزمة طفولة الامام مرة أخرى بعد وفاة الجواد قبل أن يبلغ ابنه علي الهادي.

14- قيام الهادي بالإشارة الى ابنه محمد لخلافته، ووفاته في حياته، وقوله: " لقد بدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل" وتعيين ابنه الآخر الحسن العسكري وقوله له: " يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمرا".

15- وفاة الحسن العسكري دون عقب ظاهر، مما أدى الى حدوث أزمة كبرى في صفوف الشيعة الامامية الذين تفرقوا الى اربع عشرة فرقة، ووقوعهم في الحيرة.

16- ادعاء شخص واحد هو عثمان بن سعيد العمري، وجود ولد مخفي للعسكري، ولد سرا في حياة أبيه، هو (محمد المهدي) وانه الامام الثاني عشر. وبأنه كان بعمر الخامسة عند وفاة أبيه، ولكنه ظل مستورا وغائبا ولم يظهر للملأ، وادعاء النيابة الخاصة والسفارة عن ذلك الطفل، وتوريث النيابة الى ابن العمري محمد، ثم الى النوبختي وبعده الصميري، في ما عرف (بالغيبة الصغرى) التي امتدت حوالي سبعين عاما من 260 هـ الى 329 هـ

17- ولادة النظرية (الاثنا عشرية) التي جاءت بأحاديث سنية وشيعية على كون الأئمة (اثني عشر اماما).

وقد بحثنا دعوى وجود الولد السري والغائب للامام الحسن العسكري، واستعرضنا مختلف الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية، التي قدموها لإثبات ذلك، وردها في كتابنا (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه: الامام المهدي محمد بن الحست العسكري.. حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية) ونريد الآن أن نوضح أن هذه النظرية (الاثني عشرية) هي حركة واقفية مناقضة لفلسفة (الامامة الإلهية) التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، ونسبت الى الامام محمد الباقر. ولكي نسلط الضوء على هذا التناقض لا بد من العودة الى الأحاديث التي استعرضناها في الأبواب والفصول السابقة، ونكتفي هنا ببيان ملخصها:

**الامامة الإلهية من بداية الدنيا الى آخر يوم**

فقد قال الامام الباقر: "والله ما ترك الأرض منذ قبض الله آدم الّا وفيها إمام يهتدى به الى الله وهو حجّة الله على عباده ولا تبقى الأرض بغير امام حجّة الله

على عباده".[699] و "ما كانت الأرض الّا ولله فيها عالم".[700] و " لا تبقى الأرض بغير امام ظاهر".[701] وقال:" ليس تبقى الأرض يوما واحدا بغير حجّة لله على النّاس و لم تبق منذ خلق الله جلّ وعزّ آدم (ع) وأسكنه الأرض".[702] و"إنّ الأرض لن تخلو إلّا وفيها منّا عالم".[703]

ويشرح الباقر في رواية أخرى وظيفة (الامام) فيقول: " إن الله لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان من دين الله عز وجلّ فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم واذا نقصوا أكمله لهم، ولولا ذلك لا لتبس على المسلمين أمرهم".[704] ويقول: " والله ما ترك الله أرضه منذ قبض الله آدم إلّا وفيها إمام يهتدى به الى الله وهو حجّته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده".[705]

وقال الامام الصادق: "ما زالت الأرض الا ولله الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله ولا ينقطع الحجة من الأرض الا أربعين يوما قبل يوم القيمة" .[706] وأن الأرض لا بد لها من امام، والا لساخت.

ويروي الامام الباقر عن رسول الله انه قال: "إنّى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض" .[707] و" لا يزال كتاب الله والدليل منّا يدلّ عليه حتّى يردا علىّ الحوض".[708]

---

[699] - الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات: 485.

[700] - الصفار، بصائر الدرجات: 485.

[701] - الصفار، بصائر الدرجات: 486

[702] - الصدوق، كمال الدين: 233. الكليني، الكافي ، ج 1 ص 431

[703] - الصدوق، كمال الدين: 228.

[704] - الصدوق، علل الشرائع: 1/ 191 و كمال الدين: 204 ، و 232 و الصفار، بصائر الدرجات، ص 251

[705] - النعماني، محمد بن أبي زينب، الغيبة: 138 الكافي ج 1 ص 179

[706] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 504

[707] - الصفار، بصائر الدرجات: 413 و 414

[708] - الصفار، بصائر الدرجات: 414

وورد عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر قال: " قال رسول الله (ص): من سره أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي... فليتولَّ علي بن أبي طالب (ع) وأوصياءه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى ... وإني سألت ربي ألا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا علي الحوض ".[709]

وهذا الحديث المشابه لحديث الثقلين المشهور يؤكد استمرار نظرية الامامة الى يوم القيامة (حتى يردا علي الحوض)

ويفهم من بعض الأحاديث المروية عن الامام محمد الباقر حول نزول الملائكة في ليلة القدر على الأئمة، ان الامامة مستمرة الى يوم القيامة، كما في هذا الحديث: "إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وإن لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله (ص)".[710] و"لا بد لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض **إلى آخر فناء الدنيا** أن تكون على أهل الأرض حجة ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحب من عباده..".[711]

وكما يلاحظ فان كل هذه الروايات تؤكد على ضرورة وجود الامام الرباني المعين من قبل الله لقيادة الأمة الإسلامية فقهيا وسياسيا، الى يوم القيامة، وعدم جواز انتخاب أو اتباع أي إمام آخر ليس من الله.

وقد روى الباقر حديثا عن رسول الله (ص) يقول فيه: "سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مِنَ اللَّهِ يَقُومُونَ فِي النَّاسِ".[712] وحصَر الباقر الإمامة في ذرية النبي.[713] ونفى أن تكون الامامة في ولد جعفر أو العباس أو سائر بطون بني عبد المطلب.[714] فضلا عن سائر الناس.

ثم حصر الباقر الامامة في ذرية الحسين "ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا، وإن هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده".[715] واتهم أولاد الحسن الذين كانوا يدعون الامامة بأنهم ستسود وجوههم يوم القيامة، لادعائهم الامامة.[716]

---

709 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 6

710 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 2

711 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1و4 و 7 والكافي، ج1 ص 250

712 - البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 155

713 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

714 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

715 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

716 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 3

وقال: انّ الحسين دفع كتابا ملفوفا ووصيّة ظاهرة ووصيّة باطنة الى علي بن الحسين ثمّ صار ذلك إلينا... فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم الى ان تفنى الدّنيا.[717] وبالطبع لم يحدد الباقر الامامة في أثني عشر اماما فقط.

وقال أبوعبد الله: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين (ع) إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب، ثم هكذا أبدا.

وظهر جليا من خلال أقوال الامام الباقر: أن الامامة (أي الرئاسة والحكم) في نظره تنحصر في البيت الحسيني، بصورة وراثية، الى يوم القيامة، وأنها من الله، وبالتالي فلا يجوز لأي أحد أن يتصدى لها وقد "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً جَائِراً لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً وَ لَأَعْفُوَنَّ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً هَادِياً مِنَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً".[718]

وقال في تفسير قول الله عز وجل: " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"؟ قال: من قال: إني إمام وليس بإمام، وإن كان علويا، وان كان فاطميا. [719]

وقال أبو عبد الله (ع): من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر. [720]

وكما يلاحظ فان كل هذه الاحاديث ترفض رفضا مطلقا أي نظام سياسي لا يخضع لإمام معين من قبل الله، حسب نظرية الامامة الإلهية.

ولأن نظرية الامامة في عهد الصادق، كانت ممتدة الى يوم القيامة، ولم تكن محددة بعدد معين، ولا توجد قائمة بأسماء الأئمة، فلم يكن الأئمة أنفسهم يعرفون

---

[717] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 148 والكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 1 و 2

[718]- البرقي، احمد بن محمد بن خالد (274) المحاسن، ج1 ص 93 و الكليني، الكافي، ج1 ص 372

[719] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 372 الكليني، الكافي، ج1 ص 372

[720]- الصفار، بصائر الدرجات، ص 372 الكليني، الكافي، ج1 ص 372

خلفائهم، الا في آخر دقيقة تبقى من روح الأول.[721] حيث يروي الصفار في (بصائر الدرجات) باب: ان الأئمة يعلمون الى من يوصون قبل وفاتهم مما يعلمهم الله ، حديثا عن الإمام الصادق يقول فيه:" ما مات عالم حتى يعلمه الله الى من يوصي" .[722] ، كما يرويه الكليني في (الكافي) عنه أيضا: "لا يموت الإمام حتى يعلم مَن بعده فيوصي اليه".[723] وهو ما يدل على عدم معرفة الأئمة، من قبلُ، بأسماء خلفائهم ، أو بوجود قائمة مسبقة بهم . وقد ذهب الصفار والصدوق والكليني ابعد من ذلك، فرووا عن أبى عبد الله الصادق ، انه قال: "ان الإمام اللاحق يعرف إمامته وينتهي اليه الأمر، في آخر دقيقة من حياة الأول".[724]

ونتيجة لذلك فقد طُرحت عدة أسئلة في حياة أهل البيت ، وهي : كيف يعرف الإمام إمامته إذا مات أبوه بعيدا عنه في مدينة أخرى؟ وكيف يعرف انه إمام، إذا كان قد أوصى الى جماعة؟ أو لم يوصِ أبدا؟.. وكيف يعرف الناس أنه اصبح إماما؟.. خاصة إذا تنازع الاخوة الإمامة وادعى كل واحد منهم الوصية؟ كما حدث لعدد من الأئمة في التاريخ؟

ومن باب أولى لم يكن الشيعة يعرفون هوية الامام التالي، وكانوا يتوسلون لكل إمام ان يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد.[725]

وكانوا يسألون الأئمة دائما عن الموقف الواجب اتخاذه عند وفاة أحد الأئمة. وفي هذا المجال ينقل الكليني وابن بابويه والعياشي حديثا عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله، قال:" قلت له: إذا حدث للإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: يكونوا كما قال الله تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ، لعلهم يحذرون" التوبة 112 ، قلت : فما حالهم ؟ .. قال: هم في عذر ما داموا في الطلب ، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع اليهم أصحابهم" .[726]

ويروي الكليني في (الكافي) حديثا طويلا ومهما جدا حول طبيعة نظرية الامامة في عهد الصادق، وطريقة انتقالها من واحد الى آخر، يقول: علي بن

---

[721] - الكليني، الكافي، ج1 ص 274- 275 (باب وقت ما يعلم الامام جميع علم الإمام الذي كان قبله) و الصفار، بصائر الدرجات، ص 486

[722] - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص 374

[723] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 277

[724] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 478، والصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، باب 19، ص 84 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 275

[725] - راجع: بصائر الدرجات، لصفار، والكافي للكليني، وقرب الإسناد للحميري ، وتفسير العياشي، والإرشاد للمفيد، وإثبات الهداة للحر العاملي.

[726] – الصدوق، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 77 ، والكليني، الكافي، ج 1 ، ص 378، وتفسير العياشي، ج 2 ، ص 117

إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن قال: حدثنا حماد، عن عبد الاعلى قال:
سألت أبا عبد الله (ع) عن قول العامة: إن رسول الله (ص) قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية؟
فقال: الحق والله،
قلت: فإن إماما هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيه لم يسعه ذلك؟
قال: لا يسعه، إن الامام إذا هلك وقعت حجة وصيه على من هو معه في البلد وحق النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، إن الله عز وجل يقول: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ".
قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟
قال: إن الله عز وجل يقول: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ".
قلت: فبلغ البلد بعضه فوجدك مغلقا عليك بابك، ومرخي عليك سترك، لا تدعوهم إلى نفسك ولا يكون من يدلهم عليك فبما يعرفون ذلك؟
قال: بكتاب الله المنزل.
قلت: فيقول الله عز وجل كيف؟
قال: أراك قد تكلمت في هذا قبل اليوم،
قلت: أجل،
قال فذكر ما أنزل الله في علي (ع) وما قال له رسول الله (ص) في حسن وحسين (ع) وما خص الله به عليا (ع) وما قال فيه رسول الله (ص) من وصيته إليه ونصبه إياه وما يصيبهم وإقرار الحسن والحسين بذلك و وصيته إلى الحسن وتسليم الحسين له بقول الله: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله".
قلت فإن الناس تكلموا في أبي جعفر (ع) ويقولون: كيف تخطت من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أسن منه وقصرت عمن هو أصغر منه؟
فقال: يعرف صاحب هذا الامر بثلاث خصال لا تكون في غيره: هو أولى الناس بالذين قبله وهو وصيه، وعنده سلاح رسول الله (ص) ووصيته وذلك عندي، لا أنازع فيه،
قلت: إن ذلك مستور مخافة السلطان؟
قال: لا يكون في ستر إلا وله حجة ظاهرة، إن أبي استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودا فدعوت أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، قال: اكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه " يا بني إن الله اصطفى

لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" و أوصى محمد بن علي إلى ابنه جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمع وأن يعممه بعمامته وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع، ثم يخلي عنه، فقال: اطووه، ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت بعد ما انصرفوا: ما كان في هذا يا أبت أن تشهد عليه؟ فقال: إني كرهت أن تغلب وأن يقال: إنه لم يوص، فأردت أن تكون لك حجة فهو الذي إذا قدم الرجل البلد قال: من وصي فلان، قيل فلان.
قلت: فإن أشرك في الوصية؟
قال: تسألونه فإنه سيبين لكم. [727]

وقال محمد بن مسلم:
قلت لأبي عبد الله (ع): أصلحك الله بلغنا شكواك وأشفقنا، فلو أعلمتنا أو علمتنا من؟
قال: إن عليا (ع) كان عالما والعلم يتوارث، فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله،
قلت: أ فيسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفوا الذي بعده؟
فقال: أما أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إن الله يقول: " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ".
قلت: أرأيت من مات في ذلك
فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، قال:
قلت: فإذا قدموا بأي شئ يعرفون صاحبهم؟
قال: يعطى السكينة والوقار والهيبة. [728]

ونظرا لعدم وجود قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر، فقد أوصى الامام الصادق في البداية الى ابنه إسماعيل بالامامة، ولكنه توفي في حياته، فقال: " لقد بدا لله في إسماعيل". ثم لم يسم أحدا بعينه وقال: ان الامامة في الأكبر من ولدي ومن يجلس مجلسي.

---

[727] - الكليني، الكافي، ج1 ص 378 – 379

[728] - الكليني، الكافي، ج1 ص 379

وهكذا فقد جلس مجلسه بعد وفاته أكبر أولاده "عبد الله الأفطح" وادعى الوصية عنه، وأجمع الشيعة "الجعفرية" عليه.[729]

ويؤكد التاريخ الشيعي بأن زرارة بن أعين (الذي كان من كبار تلامذة الباقر والصادق) لم يكن يعرف هوية خليفة الصادق، وذلك عندما سمع بوفاته، وهو على فراش الموت في الكوفة، فأرسل ابنه عبيد الله إلى المدينة لكي يستطلع له هوية الإمام الجديد، الا انه توفي قبل أن يعود ابنه من المدينة بالجواب، فوضع زرارة المصحف على صدره وقال:" اللهم اشهد إني اثبت من يقول بإمامته هذا الكتاب".[730]

ويروي الكليني في (الكافي) في (باب ثبات الإمامة في الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرهما من القرابات) الحديث التالي عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، عن أبي عبد الله (ع) قال: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين (ع) إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب".[731]

ويقول أحد العلويين وهو عيسى بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع) انه سأل الامام الصادق عن خليفته، قال: قلت له: إن كان كون - ولا أراني الله - فبمن أأتم؟ فأومأ إلى ابنه موسى، قال: قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أأتم؟ قال: بولده، قلت. فإن حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا، فبمن أأتم؟ قال: بولده ثم واحدا فواحدا. (وفي نسخة الصفواني): ثم هكذا أبدا.[732]

وبما أن نظرية الامامة كانت مفتوحة الى يوم القيامة، ولا تعرف التحديد في عدد معين من الأئمة، ولا وجود لقائمة مسبقة بأسماء الأئمة، فقد وقف عامة شيعة الامام موسى الكاظم عليه، وقالوا بغيبته ومهدويته، ولم يعرفوا امامة ابنه علي الرضا، الا عدد قليل منهم.[733]

---

[729] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351 كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 6 ، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87 و النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78 و الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 87 – 88.

[730] - الكشي، ترجمة زرارة بن أعين. والصدوق، إكمال الدين، ص 75 و76

[731] - الكليني، الكافي، ج1 ص 285

[732] - الكليني، الكافي، ج1 ص 286 و ص 309

[733] - الكليني، الكافي، ج1 ص 380

وتقول روايات عديدة يذكرها الكليني والمفيد والطوسي: ان الإمام علي الهادي أوصى في البداية الى ابنه السيد محمد ، ولكنه توفي في حياة أبيه ، فأوصى للإمام الحسن العسكري وقال له: " لقد بدا لله في محمد كما بدا في إسماعيل.. يا بني أحدث لله شكراً فقد احدث فيك أمراً، أو نعمة".[734]

## التطور الاثنا عشري: حركة واقفية

ولكن هذه النظرية (الامامية) وصلت الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري سنة 260 للهجرة، دون عقب، واعلانه ذلك أمام محكمة سامراء والقاضي الحسين بن أبي الشوارب، وأمام الملأ من أهل سامراء، مما أدى الى انهيار النظرية، وتفرق شيعة العسكري الى أربع عشرة فرقة، ووقوع الحيرة الكبرى.[735]

وقد ذكر الكليني والنعماني والصدوق مجموعة كبيرة من الروايات التي تؤكد وقوع الحيرة بعد غيبة صاحب الأمر، واختلاف الشيعة ، وتشتتهم في ذلك العصر، واتهام بعضهم بعضا بالكذب والكفر، والتفل في وجوههم ، ولعنهم، وانكفاء الشيعة كما تُكفأ السفينة في أمواج البحر، وتكسرهم كتكسر الزجاج أو الفخار.[736]

وأشار الشيخ محمد بن علي الصدوق، في مقدمة كتابه: (إكمال الدين وإتمام النعمة) الى حالة الحيرة تلك، التي عصفت بالشيعة وقال:" وجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة" " وقد كلمني رجل بمدينة السلام (بغداد) فقال لي: إن الغيبة قد طالت، والحيرة قد اشتدت ، وقد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول الأمد".[737]

وقال محمد بن أبي زينب النعماني، يصف حالة الحيرة التي عمّت الشيعة في ذلك الوقت:" إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ والى متى يغيب؟وكم يعيش هذا، وله الآن نيّف وثمانون سنة؟.. فمنهم من يذهب الى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة، ويستهزئ بالمصدق به،

---

[734] - الكليني،الكافي، ج 1 ، ص 326 و328 والمفيد، الإرشاد، ص 336 و337 والطوسي ،الغيبة، ص 120، 122

[735] - الكليني، الكافي، ج1 ص 366، 338، 340، والنعماني، الغيبة، ص 89، 206، 208، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 168 ، وإكمال الدين، ص 408

[736] - الكليني، الكافي، ج1 ص 366، 338، 340، والنعماني، الغيبة، ص 89، 206، 208، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 168 ، وإكمال الدين، ص 408

[737] - الصدوق، إكمال الدين، ص 2 و 16

ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمد". ويقول النعماني:" أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلق العظيم والجمّ الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسير، وذلك لشك الناس".[738]

وقد دفع (الاعتقاد بحصر الامامة في السلالة العلوية الحسينية الموسوية، واستمرارها بصورة عمودية الى يوم القيامة، وعدم جواز انتقالها الى أخوين بعد الحسن والحسين، أو انتقالها الى عم أو ابن عم) فريقا من الشيعة الى افتراض وجود ولد مخفي للامام الحسن العسكري الذي توفي دون عقب ظاهر، في حين ذهب الشيعة الفطحية الى القول بامامة جعفر الزكي بن علي الهادي، وكما هو معروف فان الفطحية كانوا يجيزون الانتقال الى الأخ عندما لا يوجد عقب للامام السابق، وقد جمعوا قبل ذلك بين عبد الله الأفطح وأخيه موسى بن جعفر. ولكن التيار المتشدد رفض الخيار الفطحي، وأصر على افتراض وجود ولد في السر هو (محمد بن الحسن العسكري).

وبما ان ذلك الامام المفترض لم يكن حقيقة تاريخية، فقد اضطر القائلون بوجوده الى الادعاء بأنه غائب خوفا من السلطة العباسية، وتحوير الأحاديث السابقة التي تحتم وجود الامام في كل زمان، بالقول انه لا يجب ان يكون ظاهرا، كما فعل محمد بن علي الصدوق الذي جاء في ما اطلق عليه الشيعة الاثنا عشرية بالغيبة الكبرى، فروى حديث الامام الباقر: "لا تبقى الارض بغير امام" بإضافة (ظاهرا أو باطنا).[739] في تعديل ينسجم مع ظاهرة (الغيبة) الطارئة.

وعندما آمن الشيعة بوجود (الامام الغائب) لم يؤمنوا في البداية بأنه خاتم الأئمة، وظلوا يتلون هذا الدعاء التالي حول (صاحب الزمان) :" ... اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده" .[740] وقال النوبختي: "إن الإمامة ستستمر في أعقاب الإمام الثاني عشر الى يوم القيامة".[741]

وعندما امتدت الغيبة عقودا طويلة من الزمن اضطر الامامية الى ختم الامامة بالثاني عشر، والقول بأن الأئمة هم اثنا عشر اماما فقط، وأن هذا الامام الغائب

---

[738] - النعماني، الغيبة، ص 113، و 186

[739] - الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: 1/ 188

[740] - القمي، مفاتيح الجنان، ص 542

[741] - النوبختي، فرق الشيعة، الفرقة التي قالت بوجود ولد للعسكري. ويحتمل جدا إضافة تلك الأحاديث الى كتاب (بصائر الدرجات) للصفار الذي توفي عام 290

هو خاتم الأئمة، وانه المهدي المنتظر الذي سيظهر في آخر الزمان قبل يوم القيامة.

وقام (الإثنا عشرية) بتأليف مجموعة من الأحاديث على لسان أهل البيت، وعلى رأسها حديث (اللوح السماوي) النازل بأسماء الأئمة الاثني عشر، وهو كما يرويه الصدوق عن أبى عبد الله عن جابر بن عبد الله الأنصاري، انه دخل على فاطمة الزهراء في حياة رسول الله ليهنئها بولادة الحسين، فرأى في يدها لوحا أخضر ، ورأى فيه كتابا شبه نور الشمس ، فسألها عن ذلك فقالت له : هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله ، فيه اسم أبى واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي ، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك... وكان فيه أسماء الأئمة الاثني عشر واحدا واحدا .. وان الأخير منهم (م ح م د ) يبعثه الله رحمة للعالمين" .[742]

ومن تلك الأحاديث الموضوعة ما رووه عن الامام الصادق: " إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله، أولهم أمير المؤمنين، وآخرهم بقية الله في الأرض وصاحب الزمان".[743] و"نحن اثنا عشر محدثا" .[744] وما عن أبي جعفر قال: قال رسول الله: " من أهل بيتي اثنا عشر محدثا" .[745] و"الاثنا عشر الأئمة من آل محمد كلهم محدث من ولد رسول الله (ص) وولد علي (ع)".[746]

وما عن سليم بن قيس الشامي (الهلالي) انه سمع عليا (ع) يقول: "إنى وأوصيائي من ولدي مهديون كلنا محدثون". [747]

واستعان الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت 381) بحديث جابر بن سمرة السوائي عن رسول الله (ص) المروي في مجامع أهل السنة بصيغ عديدة: " لا يزال أمر أمتي ظاهرا حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش".[748] أو" لا تزال هذه الأمة صالحا أمرها ظاهرة على عدوها حتى يمضي اثنا عشر ملكا - أو قال: اثنا عشر خليفة - ثم قال: كلمة خفيت علي فسألت أبي فقال: قال: كلهم من

---

[742] - المصدر نفسه، ص 305 ، والكافي، ج1 ، ص 527

[743] - المصدر نفسه، ص 342

[744] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 339

[745] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 340

[746] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 340

[747] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 392

[748] - **الصدوق** ، الأمالي، ص 387 – 388

قريش".[749] أو " إن هذا الامر لن ينقضي حتى يملك اثنا عشر خليفة كلهم، فقال كلمة خفية لم أفهمها فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: قال عليه السلام: كلهم من قريش".[750]

وقد روى البخاري ومسلم حديث جابر هكذا: "لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً". و" لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً".[751]

وهذه أحاديث كلها من طرق أهل السنة، وقد رواها الصدوق وعلق عليها قائلا: " نقل مخالفونا من أصحاب الحديث نقلا ظاهرا مستفيضا من حديث جابر.. وقد أخرجت طرق هذا الحديث... فدل على ان الأخبار التي في أيدي الإمامية عن النبي والأئمة بذكر الأئمة الاثني عشر أخبار صحيحة".[752]

وكما يلاحظ فان حديث جابر لا يحصر الخلفاء أو الأمراء باثني عشر فقط، وانما يربط عز الدين أو صلاح الأمة وظهورها على عدوها بالاثني عشر خليفة. إضافة الى أنه لم يتحدث عن الأئمة من أهل البيت، ولم يذكر أسماءهم، وانما قال (اثني عشر خليفة، أو أميرا كلهم من قريش). وعلى أي حال هو خبر واحد غامض وضعيف، ولم يعبأ به محدثو أهل السنة، ولكن الامامية تشبثوا به، واستعاروه لكي يبنوا عليه نظريتهم (الواقفية) الجديدة: (الاثني عشرية).

وقد روى الكليني (ت 329) في (الكافي) حوالي سبع عشرة رواية حول الاثني عشرية، وروى الصدوق (ت 381) في (إكمال الدين) حوالي بضع وثلاثين رواية.. وروى علي بن محمد الخزاز (ت 400) في (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) حوالي مائتي رواية.[753]

ولكن هذه الروايات لم يكن لها أي أثر في القرن الثالث الهجري، حيث لم يشر اليها الشيخ علي بن بابويه الصدوق (ت 329) في كتابه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة) كما لم يشر اليها النوبختي في كتابه: (فرق الشيعة) ولا سعد بن عبد الله الاشعري القمي في: (المقالات والفرق).

---

[749] - الصدوق، **الخصال**، ص 74

[750] - الصدوق، **الخصال**، ص 47

[751] - البخاري، الحديث رقم 6796 ومسلم، الحديث 1821

[752] - الصدوق، إكمال الدين، ص 67 - 68

[753] - لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب (نقد الأحاديث الشيعية والسنية الواردة حول الإثني عشرية) للمؤلف ، والموجود على شبكة المعلوماتية (الانترنت) في موقع الكاتب.

وبالرغم من أن حديث الاثني عشرية خبر آحاد، فان الخزاز في (كفاية الأثر) والطوسي في (الغيبة) ادعيا **تواتر** أحاديث (الاثني عشرية) عن طريق الشيعة.[754] ولكن هذه الدعوى مخالفة للحقيقة، ولا أساس لها من الصحة ، إذ لم يكن يوجد لها أي أثر في الأجيال الأولى، وخاصة في عهود الأئمة من آل البيت (ع)، وإنما اختلقها بعض الرواة المتأخرين من أمثال أبو سمينة والعبرتائي وعلي بن إبراهيم القمي، ودسوها في (كتاب سليم) الموضوع في عصر الحيرة.

وكان أول من ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بالتفصيل، هو (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الذي زعم "ان الشيعة كانوا يحتفظون بالقائمة الاثني عشرية في بيوتهم خلال القرون الثلاثة السابقة، وإنها كانت معروفة منذ عهد رسول الله ، وانه هو الذي قد أعلنها من قبل". وهذا خلاف التاريخ الشيعي الذي لم يكن الأئمة أنفسهم يعرفون خلفاءهم من قبل، ولذلك حدث البداء لديهم مرتين.

وكان (كتاب سليم) هذا ، قد ظهر في بداية القرن الرابع الهجري ، وتضمن قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر ، وكذلك القول بأن الأئمة ثلاثة عشر.

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة 345 هـ ) في ( التنبيه والاشراف):" ان أصل القول في حصر عدد الأئمة باثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه". [755]

وقال محمد بن ابراهيم النعماني المعروف بابن ابي زينب (ت 360) :" ليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر الأصول التي يرجع اليها الشيعة ويعولون عليها".[756]

وقد اعتمد الكليني والنعماني والصدوق في قولهم بالنظرية (الاثني عشرية) على كتاب سليم، ولكن عامة الشيعة في ذلك الزمان كانوا يشكون في وضع واختلاق كتاب سليم، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصيرفي أبو سمينة) الكذاب المشهور، و (احمد بن هلال العبرتائي) الغالي الملعون، وقد قال العالم الرجالي الشيعي احمد بن الحسين المعروف بابن الغضائري (ت 450): " كان أصحابنا يقولون: ان سليماً لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا".[757]

وقد ضعّف الشيخ المفيد (كتاب سليم) وقال:" انه غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس ، فينبغي للمتدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل

---

754 - الخزاز ، كفاية الأثر، ص293

755 – المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 198 ، والأميني، الغدير، ج 1، ص 195

756 – النعماني، الغيبة، ص 61

757 - الحلي، الخلاصة، ص 83

على جملته والتقليد لروايته، وليفزع الى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد". [758] ولذلك انتقد الشيخ المفيدُ الشيخَ الصدوقَ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلك الى منهج الصدوق الأخباري، وقال عنه:" انه على مذهب أصحاب الحديث، في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" .[759]

ومن هنا فقد اعترض الزيدية على الامامية الاثني عشرية، وقالوا:" ان الرواية التي دلّت على ان الأئمة إثنا عشر، قولٌ أحدثه الامامية قريباً، وولّدوا فيه أحاديث كاذبة" . واستشهدوا على ذلك بتفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام الى عدة فرق وعدم معرفتهم للإمام بعد الإمام، وحدوث البداء في إسماعيل ومحمد بن علي، وجلوس عبد الله الأفطح للإمامة، وإقبال الشيعة اليه، وحيرتهم بعد امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم الى نفسه، وموت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام. [760]

وبالرغم من تلك الأحاديث المختلقة حول (الاثنا عشرية) فان هذه النظرية لم تستقر في العقل الامامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري .. حتى أن الشيخ محمد بن علي الصدوق أبدى شكه بتحديد الأئمة في اثني عشر إماما فقط ، وقال: "لسنا مستعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعده" . [761] وروى عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامة بعد الثاني عشر، وعدم الاقتصار عليه ، وكان منها رواية عن الإمام أمير المؤمنين (ع) حول غموض الأمر بعد القائم ، وان رسول الله (ص) قد عهد اليه: " ان لا يخبر أحدا بذلك إلا الحسن والحسين" وانه قال:" لا تسألوني عما يكون بعد هذا، فقد عهد اليّ حبيبي ان لا اخبر به غير عترتي".[762]

وروى الطوسي: ان رسول الله (ص) قال لعلي: " يا علي انه سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا، فأنت يا علي أول الاثني عشر الإمام ... ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا". [763]

وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الأئمة، بعد القول بوجود وغيبة ( محمد بن الحسن العسكري) ، كاد الشيعة الامامية يختلفون فيما بينهم حول تحديد عددهم باثني عشر أو ثلاثة عشر ، إذ برزت في ذلك الوقت روايات تقول : بأن عدد الأئمة ثلاثة عشر ، وقد نقلها الكليني

---

[758] – المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

[759] - المصدر نفسه، ص 242

[760] – الصدوق، إكمال الدين، ص 75 – 76

[761] - الصدوق، إكمال الدين، ص 77

[762] - الصدوق، إكمال الدين، ص 78

[763] - الطوسي، الغيبة ، ص 97

في (الكافي). [764] و وُجدت في الكتاب الموضوع الذي ظهر في تلك الفترة ونُسِبَ الى (سليم بن قيس الهلالي) كما تقول إحدى الروايات: ان النبي قال لأمير المؤمنين: " أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق" . وهذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب ، حفيد أبى جعفر محمد بن عثمان العمري، الذي كان يتعاطى (الكلام)، لأن يؤلف كتابا في الإمامة ، يقول فيه : ان الأئمة ثلاثة عشر، ويضيف الى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله) .

## تناقض (الغيبة) مع فلسفة الإمامة

لكي نفهم موضوع (الغيبة) على حقيقته، لا بد أن نفهم أولا نظرية (الإمامة الإلهية) كما كان يقول بها المتكلمون الاماميون الأوائل الذين أسسوا لها . تقول نظرية (الإمامة): إن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام ( أي من حكومة ودولة ) وان الإمام ، (أي الرئيس أو الخليفة أو القائد الأعلى) ، يجب أن يكون معصوما ومعينا من قبل الله ، وان الشورى باطلة ولا يجوز انتخاب الإمام من قبل الأمة ، وتقول النظرية الموسوية (المتفرعة عن الامامية والموازية للفطحية) : إن الإمامة تتسلسل بشكل وراثي عمودي في ذرية علي والحسين الى يوم القيامة .

ومن هنا فقد افترض المتكلمون الاماميون وجود وولادة ( ابن ) للإمام الحسن العسكري، بالرغم من عدم وجود أدلة تاريخية كافية ، ورفض بعضهم الإيمان بإمامة جعفر بن علي الهادي ، لعدم جواز الجمع بين أخوين بعد الحسن والحسين، وقالوا : لا بد أن يكون قد ولد الإمام الحجة بن الحسن العسكري ، وان أباه قد أخفاه عن أعين الناس .

ولكن السؤال الكبير الذي فرض نفسه هو: إذا كانت الإمامة محصورة في هذا الشخص، ولا تجوز لغيره من الناس العاديين غير المعصومين وغير المعينين من قبل الله تعالى ، فلماذا يغيب ويختفي ولا يظهر ليقود الشيعة والمسلمين، ويؤسس الحكومة الإسلامية التي لا بد منها؟ ما دام ان الأرض لا يجوز ان تخلو من إمام ، والإمام الغائب لا يمكن ان يمارس إمامته وقيادته للناس ؟. وما هو السر في الغيبة ؟ والى متى يغيب؟ وما هو واجب الشيعة في حالة الغيبة؟

لقد كانت النتيجة الطبيعية واللازمة لذلك الفكر هو مبدأ (الانتظار) وتحريم النشاط السياسي في (عصر الغيبة) وهو المبدأ الذي ساد قرونا طويلة من الزمن، ولا يزال بعض آثاره مستمراً، بالرغم من القول بنظرية (النيابة العامة وولاية الفقيه) حيث انتهت نظرية المتكلمين المثالية الى غيبة الشيعة عن الحياة وافتقادهم للإمامة ، لعدم ظهور (الإمام المعصوم). وهذا ما شكل تناقضا صارخا مع فلسفة الإمامة التي تقول بوجوب الإمام في الأرض، ووجوب كونه معصوما، ووجوب تعيين الله له في كل زمان ومكان، من اجل تطبيق الشريعة الإسلامية وقيادة المسلمين والإفتاء لهم وحل مشاكلهم التشريعية.

---

[764] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 534

وكان الشيعة الامامية (الموسوية) قد خاضوا تجربة مرّة مماثلة مع (الحركة الواقفية) التي ادعت غيبة الإمام موسى الكاظم ، ووقفوا منها موقفا رافضا ، وذلك لتناقض الغيبة مع فلسفة الإمامة ، حيث قال لهم الإمام علي بن موسى الرضا : " سبحان الله !.. يموت رسول الله ولا يموت موسى !.. قد والله مضى كما مضى رسول الله" .[765] واتهم الواقفية الذين زعموا ان أباه لم يمت ، بالكذب والكفر بما انزل الله عز وجل على محمد (ص) وقال :" لو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه ، لمدّ الله في أجل رسول الله (ص)" . [766]

واخذ الإمام الرضا يناقش (الواقفية ) في معنى "الإمام" وفائدة قولهم بالإمامة ، إذا كانوا يعلقون التزامهم بإمام غائب لا وجود له في الحياة ، وينبههم الى ضرورة التفاعل مع الإمام الحي الظاهر ، وينقل عن آبائه قولهم :" ان الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حيّ يُعرف . ومن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية.. إمام حي يعرفه. وقد قال رسول الله (ص): من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية. ومن مات وليس عليه إمام حيّ ظاهر مات ميتة جاهلية .. إمام حيّ" .[767] مما يكشف عن رفض الإمام الرضا لنظرية الغيبة في أيام الإمام ، وذلك لسقوط الحجة عن الناس في حالة الغيبة ، وضرورة حضور الإمام بينهم ومعرفتهم له ، والاستماع إليه وطاعته ، والتفاعل معه ، إذا كان يجب على الله ان يبعث إماما من قبله.

إذاً فإن الغيبة تشكل تناقضا صارخا مع (ضرورة وجود الإمام ) الذي يفترض ان يتصدى لقيادة المسلمين ، ولا يجوز له ان يغيب عن الساحة .

وقد اخرج احمد بن إسحاق القمي ( أحد أركان نظرية الغيبة) كتابا عن (الإمام الحجة ابن الحسن) قال : انه أرسله إليه ، جوابا عن رسالة كان قد بعثها إليه ، واستفسر فيها عن علة الغيبة، وقد جاء في ذلك الكتاب (التوقيع):" لا تسألوا عن أشياء ان تبدَ لكم تسؤكم" ! وبناء على ذلك فقد قال الشيخ الصدوق: " ان الله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. ولا يقال له : لمَ؟ ولا كيف؟.. وهكذا إظهار الإمام ،الى الله الذي غيبه، فمتى أراده أذن فيه فظهر". [768]

وقال أيضا:" لا يصح إيمان عبد حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى، ويسلم في جميع الأمور تسليما، ولا يخالطه شك ولا ارتياب، والإسلام هو الاستسلام والانقياد. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" .[769]

---

[765] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 380
[766] - الكشي، الرجال، ص 378
[767] - الكيني، الكافي، ج 1 ، ص 177 والحميري ، قرب الإسناد، ص 203
[768] - الصدوق، إكمال الدين، ص 88
[769] - المصدر نفسه، ص 531

وروى الصدوق حديثا عن الإمام الصادق يعتذر فيه عن بيان وجه الحكمة في (غيبة صاحب الأمر) وذلك لأمر لم يؤذن له بكشفه للناس ، ويقول: " ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره.. وانه أمر من أمر الله ، وسرٌّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ".[770]

ورفض الشيخ المفيد سلوك طريق العقل والاعتبار في التحري عن سبب الغيبة ، وقال: "ان المصلحة لا تُعرف إلا من جهة علام الغيوب، المطلع على الضمائر، والعالم بالعواقب، الذي لا تخفى عليه السرائر". [771]

وطالب الكراجكي الشيعة بالكف عن التفكير في هذه المسألة ، بعد الإيمان بوجود الإمام وعصمته، وانه لا يفعل شيئا إلا بإذن الله. والتسليم لكل خطوة أو فعل أو موقف يتخذه (الإمام المعصوم) حتى مع عدم معرفة الأسباب والأغراض، وقال:" انه ليس يلزمنا معرفة هذا السبب ولا يتعين علينا الكشف عنه، ولا يضرنا عدم العلم به".[772] ونفى الشيخ الطوسي الحاجة الى تكلف الكلام في سبب غيبة الإمام بعد ثبوت وجوده .[773]

وبعد اعتراف أركان نظرية (الغيبة) بعدم وجود تفسير معقول وأكيد للغيبة ، لا تبقى حاجة لمناقشة الروايات والنظريات المختلفة، التي قدموها لتبرير الغيبة، بالحكمة المجهولة ، أو بتمحيص الشيعة وغربلتهم ، أو بخوف صاحب الزمان على حياته من القتل ، فان رواتها غلاة وضعاف ، ومضمونها لا ينطبق على (محمد بن الحسن العسكري) .

وقد اعرض معظم الكتاب الذين ألفوا حول الغيبة كالمفيد والمرتضى والطوسي ، عن تبني نظرية (التمحيص) ما عدا الشيخ الصدوق الذي اهتم بها بعض الشيء ، وان لم يتبنها تبنيا كاملا ، خاصة بعد انقراض الجيل الأول الذي تعرض للتمحيص حتى لم يبق منه أحد .

ولذا فمن الضروري التوقف فقط ، عند نظرية الخوف ، التي فسر بها بعض المتكلمين كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي والكراجكي حالة (الغيبة) . وقد اعتمد القائلون بنظرية الخوف على مجموعة روايات ضعيفة السند وعامة لا تحدد اسم القائم ، وهي مروية عن زرارة عن الإمام الصادق (ع) قبل اكثر من مائة عام من وفاة الإمام الحسن العسكري .

وإذا صحت نظرية الخوف من الأعداء فلماذا يستتر المهدي عن أوليائه؟ ولقد قام مئات الملايين من الشيعة عبر التاريخ بانتظار (الإمام المهدي) وإعلان الاستعداد لنصرته ، وقامت لهم دول تتبنى الإيمان به ، فلماذا لم يظهر مع ارتفاع الخوف بالتأكيد؟

---

[770] – الصدوق، علل الشرائع ، ص 246 ، والأمالي، ص 426

[771] - المفيد، الفصول المختارة ، مسألة من الغيبة، ص 266 و269

[772] - الكراجكي، كنز الفوائد، ج 1 ، ص 371

[773] - الطوسي، الغيبة، ص 3- 4

وهذا سؤال طرحه بعض رؤساء الدولة البويهية الشيعية التي قامت في القرن الرابع الهجري ، على الشيخ المفيد ، وطالبه بالإجابة عليه ، فأحال المفيد الإجابة على الله وقال: "ان سرَّ الغيبة لا يعلمه إلا هو" واعترف بكثرة الشيعة في ظل الدولة البويهية ، ولكنه شكك في صدقهم وشجاعتهم وتقواهم .[774]

والآن.. وبعد مضي اكثر من ألف عام على القول بنظرية (الخوف) في تبرير (الغيبة).. وبعد سقوط عشرات الدول وقيام أضعافها ، فان تلك النظرية تبدو بعيدة جدا عن الواقع ، وعارية عن أية مصداقية ، ولا تشكل سوى فرضية وهمية لتبرير فرضية وجود الإمام (محمد بن الحسن العسكري) وتناقض غيبته مع مسئولية الإمامة الملقاة على كاهله من الله . وهذا ما يثبت عدم صحة فرضية ولادة ووجود (الإمام الحجة بن الحسن). وإلا فلو كان حقا موجوداً لكان يجب عليه الظهور والقيام عند أول فرصة تسمح له بذلك ، وعدم جواز إبقاء الأمة مهملة بدون قيادة شرعية .

لقد طالب أصحاب نظرية الخوف، الشيعة ، بأن يزيلوا الأسباب التي دفعت (الإمام المهدي) الى الغيبة ، وذلك بتمكينه وإعداد العدة لنصرته ، أو العزم على نصرته ومعاضدته والانقياد له والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوته للخروج ، وقال السيد المرتضى في (الشافي):" ان المكلفين متمكنون مما إذا فعلوه زالت تقية الإمام وخوفه، ووجب عليه الظهور.. وقد بينا ان سبب الغيبة هو فعل الظالمين، وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبيّنا انهم (الشيعة) مع الغيبة ، متمكنون من مصلحتهم ، بأن يزيلوا السبب الموجب للغيبة ليظهر الإمام وينتفعوا بتدبيره وسياسته".[775]

وقد زال الخوف اليوم ، وأزال الشيعة الأسباب التي دفعت الإمام الى الغيبة ، وأعدوا العدة لنصرته ، وعزموا على معاضدته والانقياد له والكف عن نصرة الظالمين ، ودعوه للخروج ، ولكنه لم يخرج ! بالرغم من قول السيد المرتضى بوجوب الظهور عليه في هذه الحال.

وكان الشيخ الصدوق قد رفض التصديق بقول الواقفية، في غيبة الإمام الكاظم ومهدويته، لأن عمره كان قد تجاوز يوم ذاك العمر الطبيعي المعهود ، ومع ذلك فقد روى هو والطوسي روايات تقول بأن عمر المهدي قد يطول مثل عمر نوح ، وجواز ان ينقض الله العادة لضرب من المصلحة .[776]

---

774 - المفيد، الأمالي، ص 390

775 - المرتضى، الشافي، ج 1 ، ص 147

776 - الطوسي، الغيبة، ص 76 و78